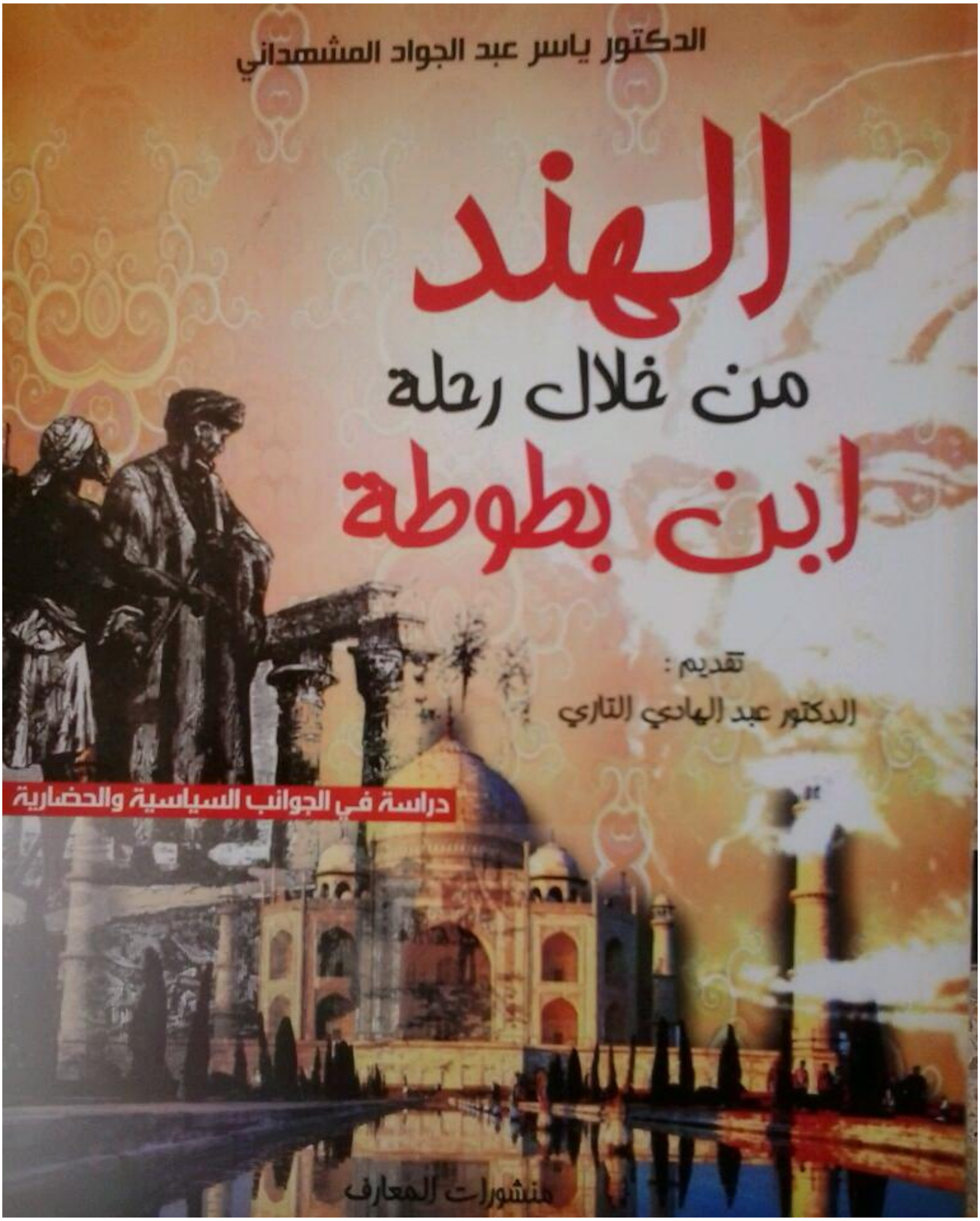

الدكتور ياسر عبد الجواد المشهداني
الهند
من خلال رحلة
ابن بطوطة
تقديم :
الدكتور عبد الهادي التاري
دراسة في الجوانب السياسية والحضارية
منشورات المعارف

الاهداء

الى روح والدتي الطاهرة التي كانت تزرع الامل فينا ..

أسكنها الله فسيح الجنان .

الى والدي رمز العطاء والتضحية والصبر و الذي مازال عطفه

دافيء فاق حرارة البركان .

الى من شاركتني هموم الحياة والدراسة وخففّت عني بعضها ..

الزوجة الغالية فيان .

الى من أقترن تخصصي باسمها وأعطاني حبها دافعاً لأكمال العمل .. طفلتي

هند عجيبة الزمان .

الى من سيعوضني عناءات الاطروحة في أيامي القادمة ..

طفلي محمد الامين .. والامان .

الى كل من يحب أن اكون ما أنا عليه الان .

أهدي هذه الاطروحة .

ياسر المشهداني .

شكر وتقدير

يطيب لي ان أسجل خالص الشكر والتقدير لجهود نخبة من الأساتذة الذين كان لهم الأثر الاعظم في متابعة هذا العمل واخراجه بالصورة المطلوبة ، وفي مقدمتهم : الدكتور المشرف : حسين علي الطحطوح لمتابعتهِ الحثيثة وتعامله الابوي – العلمي ، كما أتقدم بالشكر لأساتذتي في قسم التاريخ ولا سيما : الاستاذ الدكتور جزيل الجومرد والاستاذ الدكتور نزار محمد قادر والدكتور هاشم الخطيب ، ومن قسم اللغة العربية الدكتور خزعل فتحي ، ومن قسم الجغرافيه الدكتور فوزي يونان . ومن جامعة بغداد – أشكر الاستاذة الدكتورة خولة الدجيلي ، وأعرب ايضاَعن شكري العميق للأساتذة من المغرب العربي الشقيق وبخاصة الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي والاستاذة الدكتورة رشيدة بالسرورعلى التشجيع المتواصل ومباركة هذا الاتجاه وتزويد نا بما أمكن من مطبوعات واراء قيمة .

كما أغتنم الفرصة للتعبير عن أمتناني لزملائي في جامعة الموصل وأخص منهم : الدكتور ريان ذنون والدكتور ياسر الدليمي والأخ محمد نزار الدباغ والاخ فواز موفق والاخ صفوان الناصر على أسدائهم لعدد من النصائح والمداخلات حول الموضوع ، ومن ثم الى جميع العاملين في المكتبة المركزية في جامعة الموصل وعلى رأسها الآمين العام الدكتور ناصر عبد الرزاق على تعاونهم معنا في الحصول على الادبيات ذات الصلة .

د. ياسر المشهداني

المحتويـات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نشأت في بلاد الهند أحد أبرز الحضارات القديمة اصالةَ ، وكان لها صلات بالمراكز الحضارية الاصيلة في بلاد العرب ، ومما يدل على ذلك تماثل الاوجه الحضارية بين الطرفين . وبعد ظهور الدين الاسلامي في القرن السابع للميلاد ، شهدت العصور الوسطى الاسلامية اللاحقة تطوّر صلات الهند بالعرب والمسلمين ، كما شهدت ايضاَ ترسيخ مبادىء الاسلام ونظامه السياسي هناك ، ومن ثم تعزيز تراثها المحلي بالتراث العربي الاسلامي الذي يعد بحق مفخرة للعرب والهنود على حدِ سواء .

ونظراَ لأهمية هذا التراث وديمومته من جهة ، وتداخل عوامله ومكوناته من جهة أخرى فقد كان من الطبيعي أن تحظى عدد من جوانب هذا التراث وعصوره بعناية عدد من الدراسات العلمية ، ومن بينها موضوع : " **الهند من خلال رحلة أبن بطوطة** " الذي يلتقي في سياقه العام وهدفه مع غيره من الدراسات التي سبقته ، إذْ تكمن أهميته في ان أبن بطوطة كان الرحالة الوحيد الذي دخل الهند ومكث فيها قرابة عشر سنوات ودوّن عنها كثيراَ من المعلومات ، كما حصل على التوظيف الرسمي قاضياَ للمالكية في دلهي ، وصاهر أُسراَ معروفة هناك ، وقد شكلت رواياته عن الجوانب السياسية والحضارية أهمية كبيرة لكل من يتصدى للبحث عن تاريخ الهند في القرن الثامن للهجرة /الرابع عشر للميلاد ، كما أنْ رحلته والمعلومات الفريدة التي أوردها تعد احد اشكال جسور التواصل مع الحضارة العريقة الاخرى في الهند على سبيل رؤية الحاضر بعين الماضي من أجل أدامة الصلات السابقة بين الطرفين.

أن ما يميّز الموضوع هو الدافع الطوعي الذي حدا بأبن بطوطة الى القيام برحلته فهو لم يكن تاجراَ ولا مؤرخاَ ولا مغامراَ ، بل أستطاع أن يوازن بين عنايته بوصفه فقيها وعالماَ دينياَ وبين الامور الاخرى المتعلقة بمختلف جوانب الحضارة والحياة ، كما أنّ ميزة الموضوع الاخرى هي أنّ ابن بطوطة كان شاهد عيان مباشر على أغلب الاحداث باستثناء عدد من الاخبار التي رواها عن العلماء الثقاة الذين التقى بهم هناك مما يعطي رواياته موثوقية أكثر .

يهدف الموضوع الى تحقيق غايتين : الاولى هي الوقوف على صحة ودقّة المعلومات التي قدّمها ابن بطوطة عن الهند من خلال التطرق الى من شكك ومن أشاد به من المؤرخين ومحاولة الوصول الى الحقيقة من خلال مناقشة أهمية ما أورده عن الهند وتفنيد ما ذُكِرَ ضدّه والهدف الثاني هو توظيف الرحلة بوصفها مصدراَ للتاريخ الحضاري للهند في تلك المدّة وإبراز الاثر العربي الاسلامي فيها ، ومن أجل الوصول الى الحقيقة فقد أعتمد البحث على تحليل

الروايات ومن ثم مقارنتها بما ذكرته المصادر الرديفة السابقة او المعاصرة او اللاحقة له مع الابتعاد عن السرد النظري .

ارتأى الباحث وحسب طبيعة المعلومات الواردة أن تتضمن الاطروحة أربعة فصول وتمهيد ، فضلا عن المقدمة والخاتمة والخرائط المساعدة والملاحق .جاء التمهيد في بيان طبيعة عصر ابن بطوطة وسيرته ورحلته وكيفية دخوله الهند حتى خروجه منها وكذلك الإشارة الى طبعات كتاب الرحلة وبيان اعتمادنا على أي منها وسبب ذلك ومن ثم بيان حدود الهند ووصفها وما كانت تضمه من أقاليم ومدن آنذاك .

عالج الفصل الأول (الجوانب السياسية والادارية) ثلاثة مباحث ، تناول المبحث الاول نشوء عصر السلطنات الإسلامية في دلهي قبل واثناء وصول ابن بطوطة أليها وبيان طبيعة حكمها وأهم نظمها السياسية ومن ثم محاولة تكوين صورة واضحة عن شخصية سلطان الهند محمد تغلق من خلال كتاب الرحلة . في حين ضم المبحث الثاني أعمال السلطان محمد تغلق على الصعيدين السياسي والاداري ، وتناول المبحث الثالث العلاقات الخارجية للهند في تلك المدة .

اما الفصل الثاني (النظم الاقتصادية) فقد أشتمل على مبحثين تطرق المبحث الاول الى مرويات ابن بطوطة عن الزراعة وما يتعلق بها من المحاصيل وطرائق الري ومواسم الزراعة والاجراءات التي إتخذتها السلطنة عند حدوث الكوارث والمجاعات ، ولم يغفل المبحث الإشارة الى الصناعات الغذائية والإنتاجية وبيان المواد المستخدمة فيها وأماكن تمركزها ، فضلا عن ذكر العوامل التي ساعدت على إنعاش الوضع الاقتصادي الهندي ولاسيما دعم السلطنة للتجار والفلاحين وأهل الحرف ، واستقرار قيمة العملة الخ..، في حين تحدث المبحث الثاني عن التجارة الداخلية والخارجية وبيان أهم الصادرات والواردات فضلا عن التطرق الى أهم النقابات التجارية التي أدت دورا متميزا في الحياة الاقتصادية ليس في الهند فحسب بل في كافة الدول التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية بحرية .

كما أحتوى الفصل الثالث (الحياة الاجتماعية) على مبحثين : إذ عدد المبحث الاول أهم الطبقات الاجتماعية والطوائف الدينية في الهند ، وتناول المبحث الثاني مرويات الرحالة عن المظاهر والتقاليد السلطانية التي كانت تخص الاسرة الحاكمة في الهند ، وكذلك المظاهر الاجتماعية والتقاليد المحلية الأخرى والدينية التابعة للهنود وما يتعلق بحياتهم اليومية وأفراحهم وأحزانهم .. ثم الاشارة الى مكانة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية وتقديم ما ذكره عن تقاليد الزواج في مختلف المدن في الهند ، كما كما اشار المبحث الى ظاهرتي الحرق ، والغرق اللتان تحدث عنهما الرحالة السابقون بإسهاب .

اما الفصل الرابع (الحياة الثقافية) فقد جرى تناول ثلاث مباحث : الاول ذكر دور العلم سواء كانت مساجد ومدارس وغيرها وبيان طبيعة العلوم السائدة ، وتخلل ذلك بيان أهم مناهج التعليم في الهند . اما المبحث الثاني فأحتوى عرضاً لسير عدد من العلماء المسلمين الذين التقى بهم ابن بطوطة في الهند ومن ثم ذكر رعاية السلاطين الهنود لهم .وفي المبحث الثالث جرى تناول الحركة العمرانية من أبنية ومساجد لعدد من المدن الهندية كدلهي **Delhi** وسيوستان **Sehwan** وهنور **Hanovar** وبيان الأثر العربي الإسلامي في فن العمارة على الطرز الهندوسية القديمة التي امتزج معها .

نظرة في المصادر والمراجع

استوجبت طبيعة الموضوع الرجوع الى مصادر كثيرة ومتنوعة ما بين مصادر التاريخ العام والتاريخ المحلي والرحلات ، والمصادر البلدانية ومصنفات التراجم وغيرها . وسيجري هنا تناول أهمها على حسب سنوات وفاة مؤلفيها ، ويأتي في مقدمتها : كتاب (فتوح البلدان) ليحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٣م) و كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي لحسن علي بن لحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) إذ تمّت الافادة مما قدماه للبحث من معلومات تخص التعرف على بلاد الهند ومساحتها وحدودها فضلا عن طبيعة سكانها . وكذلك كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) لأبي الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) وتأتي أهميته في انه استقر في الهند قبل ابن بطوطة لمدة طويلة وخصّها بمجوعة من الكتب والموسوعات إذ قدم روايات عديدة عن عدد من نظمهم وحياتهم اليومية وطقوسهم الدينية والاجتماعية مما أفاد البحث ولاسيما الفصل الاجتماعي بكثير من المعلومات .

كما أفاد البحث من عدد من المصادر الجغرافية والبلدانية لتحديد اسماء المواقع الجغرافية للمدن الهندية ، ولتسليط الضوء على مجريات الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تخص الموضوع من قريب أو بعيد ومنها كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) للرحالة ابي عبد الله محمد بن أدريس الادريسي (ت٥٦٠هـ / ١١٦٤م) الذي وصف عدد من المدن الهندية قبل زيارة ابن بطوطة لها مما يقرب من قرنين . وقد تناول الدكتور مقبول

احمد بصحيح اسماء الامراء والملوك والمواقع الهندية التي ذكرها الادريسي في نزهته وذلك من خلال كتابه : (الهند وماجاورها من الاقاليم من خلال رحلة الادريسي) :

India & the Neighbouring Territories ..

كما جرى التركيز على رحلة ماركو بولو الايطالي Marco Polo الذي سبق أبن بطوطة في زيارته لعدد من المناطق مما يقرب من قرن وجاءت مشاهداته على قدر من الاهمية من أجل تعزيز روايات أبن بطوطة عن عدد من الاحداث .

اما المصادر المعاصرة لأبن بطوطة فمنها كتاب(نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لشيخ الربوة ابي عبد الله محمد الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) إذ افادنا المعلومات التي أوردها عن الجوانب الاجتماعية لكونه نقل عن عدد من التجار والرحالة الذين وصلوا الى المنطقة . ومن ثم كتاب (المختصر في أخبار البشر) لعماد الدين أسماعيل أبي الفدا (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) لما تناوله من روايات ساعدت البحث في تعزيز عدد من النتائج المتعلقة بالنواحي السياسية والاسر الحاكمة في الهند ، كما كان لمصنفي ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) الموسومين : (التعريف بالمصطلح الشريف) و (مسالك الابصار في ممالك الامصار) أهمية للبحث لما تضمّناه من معلومات تناولت بعض اوضاع الهند الداخلية اثناء مدة زيارة ابن بطوطة لها .

كما تمت الاستعانة بعدد من المصادر اللأحقة التي أعقبت الرحلة وضمّت معلومات مهمة تعزز ما ذُكِرَ فيها ، منها : كتاب (صبح الاعشى في صناعة الانشا) لأحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤٢٢م) إذ أفاد البحث بما ورد فيه من نظم سياسية وأدارية فضلا عما فيه من معلومات عن النظم الاقتصادية التي كانت موجودة في بلاد الهند اثناء عصر السلطنة الاسلامية ، وافدنا من كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لأبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٥٢م) الذي تضمن سير وتراجم عدد من العلماء والتجار والامراء الذين لقيهم ابن بطوطة في الهند .

اما المراجع فقد تنوعت هي الاخرى ما بين (عربية وهندية مترجمة وأستشراقية) إذ كانت للمراجع العربية فائدة خاصةً في توضيح عدد من الأحداث عن تلك المدة ومنها : كتاب (تاريخ الاسلام في الهند) للدكتور عبد المنعم النمر ، وكتاب (تاريخ المسلمين وحضارتهم في شبه القارة الهندية) للدكتور أحمد الساداتي ، وكانت ميزة هذين المرجعين في انهما ركّزا على المدة التي تناولها البحث بالشرح والدراسة . كما تم تناول مرجع مهم أخر هو (أبن بطوطة ورحلته) للدكتور شاكر خصباك إذ اورد في بعض فصوله تحليلات وأراء لكبار المؤرخين عن ابن بطوطة وذكر مشاهداته عن جزر الهند الشرقية وغيرها .

اما المراجع الهندية المترجمة فابرزها مجموعة الكتب التي قدمها الدكتور عبد الحي الحسني وهي : (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) و (الهند في العصر الإسلامي) إذ وجد فيهما معلومات مهمة نقلها المؤلف من المصنفات الاصيلة ذات الصلة تتعلق بألآسلام وانتشاره في الهند والأقاليم المجاورة لها ولاسيما اسماء وسير عدد من العلماء والشيوخ والفقهاء والدعاة الهنود الذين التقى ابن بطوطة بعدد منهم وجرى التاكّد من سيرهم وجمع بعض المعلومات عنهم من تلك المراجع وقد غطّت بذلك جزءا كبيرا من الفصل الثقافي .

أما الدراسات الاستشراقية باللغة الانكليزية فقد جرى تناول ترجمة رحلة أبن بطوطة الى اللغة ألآنكليزية والتي اصدرها الدكتور هاملتون كيب H.Gibb بعنوان

The Travels Of Ibn Battuta ,Hakluyt Socity , (Cambridge-1958) 3 vol.

وعلى الرغم عدم وجود الجزء الثالث الخاص والمتعلق بالهند فقد تمت الاستعانة بعروض الكتب (Review) والاشارات غير المباشرة اليه من بعض المراجع المتوافرة . ومن الكتب الاخرى كتاب **Cathay and The Way Thither,Hakluyt .Society, (London-1915) , 4 Vol.** للمستشرق هنري يول (**Henry Yule**) إذ أعطى تقويماً وشرحا للرحلة ولاسيما الى المناطق القريبة من الصين (جزر الهند الشرقية) ، فضلا عن الحصول على بحث مهم للدكتور جارلس بيكنكهام Beckingham الذي اكمل الترجمة الانكليزية للرحلة وتتبّع بنفسه خط سير ابن بطوطة وهو في طريقة الى الصين مارا بعدد من مناطق الجنوب الهندي ،وهو بعنوان :

In Search Of Ibn Battuta , Asian Affair ,Vol.8 ,(London –1977).

كما تم تناول كتاب A History of Muslims in Bengal (Arryadh–1986) 2 Vol. للدكتور Mohammad Moher Ali الذي تطرق الى إيضاح أهمية اقليم البنغال من الناحية السياسية والاقتصادية والاشارة الى زيارة ابن بطوطة له ورواياته عنه .

لقد صادفت الباحث عدة صعوبات ومشاكل يتصدرها ندرة بعض المصادر الاصيلة وعدم توافرها في مكتباتنا ولعل ابرز المصنفات التي تناولت الاسر الحاكمة في الهند في القرن ٨هـ/١٤م :تاريخ فيروزشاهي للمؤرخ الهندي ضياء الدين البراني (ت٧٥٠هـ/١٤٥٠م) وفتوح السلاطين للمؤرخ أُسامي (توفي منتصف القرن ٩هـ/١٥م) فضلا عن مصنف تاريخ فرشته للمؤلف الفارسي محمد قاسم هندوشاه (٩٦٦-١٠٢٦هـ/ ١٥٦٠-١٦٢٠م) الذي استقر في الهند والفّ كتابه أثناء الفترة المغولية ويعد من أهم المصادر التي تحدثت عن الوجود الإسلامي في الهند منذ الفتح وحتى القرن العاشر للهجرة /السابع عشر للميلاد واعتمد فيه على روايات أبن بطوطة . وتأتى أهمية تلك المصادر في أنها عاصرت الرحالة ابن بطوطة ، وحفلت بمعلومات

متعددة عن الجوانب الحضارية كافة في مختلف أقاليم الهند وما جاورها بالعرض والتفصيل ولكن ومما يؤسف له أن تلك المصادر لم تصلنا .

ومن هنا فقد بادر الباحث الى محاولة تعويض تلك المصنفات بكل الوسائل المتاحة ، فتمّ الاعتماد على (المراسلة البريدية ، والسفر ، وشبكة المعومات الدولية –الانترنيت) وقد اثمرت عدد من تلك المحاولات الحصول على اشارات قيّمة وظّفت في الاطروحة . فالمراسلة البريدية توّجت بالحصول على مراجع ومقالات من جهات متعددة في مقدمتها مجموعة رسائل متبادلة مع الدكتورعبد الهادي التازي من المغرب♦ الذي شجّع العمل وتمنى له النجاح وارسل مشكوراً بعض المصورات التي تخدم البحث ومنها : بحثه الموسوم : (اقدم نقش مغربي في المالديف يتحدث عن المغرب) إذكان البحث يعاني من نقص في المعلومات عن تلك الجزر وطبيعة اسلام اهلها وحياتهم اليومية ، فضلا عن حصولنا على المرجع الاهم وهو كتاب الأستاذ الهندي :اغا مهدي حسين حول عصر السلطنة الإسلامية في دلهي حيث قدّم دراسة نقدية لأبن بطوطة وما ذكره فيما يتعلق بالجانب السياسي والاداري كما ضمّ اشارات مقتبسة من المصادر المفقودة التي لم نعثر عليها وهو تحت عنوان :

Le Gouvernement Du Sultanat De Delhi , (Paris - 1936) .

امّا السفر الى البلدان المجاورة كالاردن وسوريا فقد أثمر في الحصول على عدد من البحوث من مجلّة ثقافة الهند والتي لم تصل اعدادها الاخيرة الى قطرنا ، هذا في الوقت الذي لم تصلنا أية ردود على مراسلات أخرى أجريناها من مراكز بحثية وجامعات في الهند وباكستان وجزر المالديف وغيرها .

كما خدمتنا شبكة المعلومات الدولية الانترنيت (Internet) خدمة جليّة لمعرفة ما يكتب من مواضيع وبحوث وكتب عن الرحلة من بعض المواقع العلمية والمكتبية ، وبالفعل تمّت الاستفادة من مجموعة من النصوص من المصنفات المفقودة فضلا عن الحصول على عدّة عروض وملخّصات لكتب صدرت حديثاً عن الرحلة باللغة الإنكليزية ومنها ملخّص كتاب

Ross .E . Dunn : Adventures Of Ibn Battuta , (California –1986) .

أخيراً .. آمل أنْ يكون هذا العمل وهذا الجهد مفيداً لتعزيز تراثنا العربي الأسلامي كما أطمح أن يكون قد سد جزءا مما تحتاجه المكتبة العربية .

والله من وراء القصد

الباحث

جامعة الموصل /٢٠٠٥م

♦ ينظر ملحق المراسلات .

التمهيد

عصر أبن بطوطة وسيرته

تدوين الرحلة وطبعاتها

عصر ابن بطوطة وسيرته

١ـ طبيعة العصر

كان القرن الثامن للهجرى /الرابع عشر للميلاد عصر التمزق وانعدام الوحدة السياسية بين البلدان العربية الاسلامية نتيجة لما حصل اثر أجتياح المغول لبغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ومن ثم أنهيار نظام الخلافة العباسية فانقسم العالم الاسلامي الى عدة بلدان خضع بعضها تحت الاحتلال المغولي أو ما سمي بالايلخانات (كالعراق وبلاد فارس) والذي أستمر حتى ظهور الجلائريين عام ٧٣٧ هـ/ ١٣٣٧م ، وبعضها الاخر تحت حكم دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) (كمصر وبلاد الشام والحجاز وبلاد اليمن) فيما ظلّت تونس تحت حكم الحفصيين ، إلا أن ذلك كله لم يكن ليمنع بقاء وحدة ثقافية بين البلدان الاسلامية والتي لم تكن تتطلب وجود رابطة سياسية بينها ، وفي الهند التي عدت أيضا ضمن دار الاسلام ظهرت السلطنة الإسلامية فيها لاول مرة منذ القرن ٧هـ/ ١٣م على يد السلطان قطب الدين ايبك (٦٠٢-٦١٦ هـ/ ١٢٠٥-١٢١٩م) كما ظهرت عدد من السلطنات في عدد من الأقاليم المستقلة عن المركز [١] .

أما المغرب فقد كان تحت حكم بني مرين (٥٩٥-٨٧٠هـ-١١٩٨-١٤٦٥م) والذي شهد استقرارا وتوطيدا لأسس ألدولة إذ ان أعظم المنشآت الدينيه والثقافيه والعمرانيه يرجع بعضها الى هذا العصر كما ان اهم المنجزات السياسيه والعسكريه قد حققت ايضا في تلك المدة [٢]ولاسيما في عهد السلطان ابي عنان فارس بن ابي الحسن المريني الملقب بالمتوكل(ت ٧٥٩هـ/١٣٥٧م) وبرز كثير من علماء اللغة والفقه والتصوف والادب من الذين كانت نتاجاتهم امهّات الكتب التي استفاد منها اهل المغرب واهل المشرق على السواء ، ويكفي ان نشير الى أسماء لامعة منهم كأبي عبد الله محمد بن داوود الاجرومي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) صاحب كتاب (الاجرومية) في النحو ، وعبد المؤمن بن محمد الجاناتي (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٦م) وله عدة مصنفات في الفقه ، واحمد بن محمد بن عمر السلوي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الذي برع في

---

(١) ينظر خارطة رقم (٢) ، ص ١٦٦ التوزيع السياسي للعالم الاسلامي.

(٢) محمد بن احمد بن شقرون : مظاهر الثقافة المغربيه ، مطبعة الرسالة ، (الرباط-١٩٨٢) ، ص٤٨.

التصـوّف[٣] ، فضــلا عــن ظهــور مجموعــة مــن الرحالــة الــذين سـبقوه كــابن سـعيد المغربــي (ت٦٨٥هـــ/١٢٨٧م) أو الـــذين عاصـــروه كرحلـــة محمـــد بـــن محمـــد العبـــدري (ت قرابـــة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م) وأبن رشيد السبتي (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) وأبن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مما يعني ان العصر كان عصر الرحلات المزدهر والذي تميّز فيه ابن بطوطة عن هؤلاء باتساع رحلاته ووصوله الى الهند .

٢ – *سيرة ابن بطوطة*

هو أبو عبد الله ، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يوسـف [٤] **اللـواتي** [٥] **الطنجـي**[٦] المغربـي المعـروف والملقّب **بـابن بطّوطـه**[٧] بالتضـعيف اي

([٣]) ابوعبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب: الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : يوسف الطويل ، دار الكتب (بيروت –٢٠٠٣) ، ج١، ص٣٥٠ ؛ ابو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، دار الكتاب (الدار البيضاء –١٩٥٦) ، ج٢ ، ص٩٩،ج٣ ص١٨١ ؛ ابن شقرون : المرجع السابق ، ص٤٥.

([٤]) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج٣ ، ص٢٠٦ ذكر انه دخل الاندلس بصفته طبيب ؛ احمد بن علي بن حجر العسقلاني : الدرر الكامنه في اعيان المائة الثامنه ، دائرة المعارف العثمانيه ،(حيدر اباد الدكن –١٩٧٢) ج٥، ص٢٢٧ .

([٥]) قبيلة مغربيه من قبائل زناته تقع اماكنها الاصليه في برقة من ارض طرابلس الغرب واهلها خليط من العرب والبربر تنقّل قسم منهم الى جهات من المغرب ونبغ منهم الكثير من الفقهاء والاعلام كاسرة بني سمجون وابن القابسي شيخ القاضي عياض وغيرهم . وقد ورد في مخطوطة خطها ابن بطوطة بنفسه في دمشق وينسب نفسه فيها الى قبيلة جراوه وليس لواته ،وايّا كان نسبه فالقبيلتان ترجعان الى زناته التي انضوت تحت لوائها اكبر القبائل المغربية المشهورة ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩٢) ج٧، ص ١٠ ؛ عبد الله كنون : ذكريات مشاهير رجال المغرب ابن بطوطة ، منشورات الايسسكو (الرباط –١٩٩٦) ص٩؛ عبد العزيز الساوري : "ابن بطوطة لواتي ام جراوي"، مجلة المناهل ، ع ٦٠ (الرباط –٢٠٠٠) ، ص ٢٤٥؛ انظر الملحق رقم(٢) ، ص ١٥٩ خط ابن بطوطة ونسبه .

([٦]) احدى بلدان الشمال الافريقي الواقعة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيره الخضراء فتحها القائد موسى بن نصـير سـنة٨٩هـ/٦٩٧م وولاها لطـارق بـن زيـاد . ينظـر: جـابر بـن يحيـى الـبلاذري : فتـوح البلـدان ، دار الكتب(بيروت–١٩٧٨)، ص٢٣٢ ؛ ابو عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر (بيروت –١٩٥٧) ج٤ ، ص٤٣.

([٧]) ذهب أحد المؤرخين الى ان معنى بطوطة نسبة الى جدّة له تحمل كناية بطة على نحو فاطمة ،عائشة وهي عادة افريقية قديمة،ولكن الكلمة في اللغة مشتقه من بطط وتعني الاعاجيب ، ومن الصدف ان هناك توافقاً بين عنوان كتاب الرحلة واسم ابن بطوطة.ينظر : محيي الدين محمد الفيروزابادي :القاموس المحيط،(لبنان–لات) ،

تشديد الطاء على حسب ما اكده المستشرق فيشر **Ficsher** ولكن قسما من الباحثين يجعلها مخففه ويبدو انه اصح [٨] . ولد ابن بطوطة في يوم الاثنين ١٧ رجب ٧٠٣هـ/١٣٠٣م ونشا في كنف اسرة علميه ظهر فيها القضاة والشيوخ ولاسيما والده الذي كان فقيها وابن عمّه الفقية ابو القاسم محمد بن يحيى أبن بطوطة قاضي حصن رندة الواقع بين اشبيلية ومالقة من ارض الاندلس[٩].

على الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي اجريت حول ابن بطوطة إلا أنّ احداً منها لم يتطرّق الى ذكر ترجمة وافية لسيرته قبل بدء رحلاته ولاسيما فيما يتعلق منها بنشأته وطفولته او بشبابه واخلاقه ولذلك نجد كثيراً من المعلومات عن هذه الجوانب متجلية في رحلاته ، ومن المحتمل انه كان قد تلقى تعليمه منذ مرحلة شبابه الاولى وحتى بدء رحلاته أي بين عامي ٧١٢-٧٢٥ هـ/١٣١٢-١٣٢٥م وفي مثل تلك الاجواء الثقافيه في الكتاتيب والمدارس الدينيه وربما كانت المدرسة الصفارية احداها إذ عرفت بتدريس الفقه على المذهب المالكي[١٠] ، وبالرغم من عدم ذكره لأيّ من شيوخه إلا أنّ من المرجّح أنه درس على يد اهل العلم والشيوخ المعروفين امثال الشيخ محمد بن احمد التلمساني المقري (ت ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) صاحب كتاب (الحقائق والرقائق) وشيخ الصوفية ابي عبد الله محمد بن مرين (ت ؟) ، والشيخ عيسى بن مسعود الزواوي (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٣م) [١١] .

كما يظهر من خلال عزمه على أداء فريضة الحج تاركا اهله والدايه اللذين كانا على قيد الحياة وهو بعمر واحد وعشرين عاما إذ أنه تلقى تربية دينية متينة فكان محافظاً على اداء الشعائر الدينية واثقاً بالعناية الالهية ، ويمكن تلمس ذلك من خلال إستعانته بالدعاء كثيرا في اوقات الضيق والمحن التي تعرّض لها اثناء الرحلة [١٢] فضلا عن تقربه من العلماء والشيوخ وقد

باب الطاء والباء ؛ عبد الهادي التازي :" اقدم نقش مغربي في المالديف" مجلة البحث العلمي ،ع (٤٠) ، (الرباط-١٩٩٠) ، ص ٤٤.

([٨]) اغناطيوس كراتشوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، (القاهرة -١٩٦٣) ، ج١، ص٤٢١ .

([٩]) الحموي : المصدر السابق ، ج٣،ص٧٢.

([١٠]) هي المدرسة التي أسسها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م . ينظر : مزاحم علاوي محمد: الدولة المرينية في عصر ابي الحسن علي بن عثمان ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة الموصل ،(الموصل -١٩٨٥) ، ص ٢٠٥ .

([١١]) ابن الخطيب :الاحاطة ،ج٢، ص١٩١؛ محمد : المرجع السابق ، ص١٠٩ ؛ على حامد الماحي : المغرب في عصر ابي عنان المريني، دار النشر المغربية (المغرب - ١٩٨٦) ، ص ٢٠٨ .

([١٢]) كان يستفتح القرآن الكريم في الامور المهمة، ومنها انه عندما قررالسلطان جمال الدين المنوري غزو مدينة سندابور استشارابن بطوطة الذي فتح المصحف فوجد قوله تعالى﴿ ولينصرنّ الله من ينصره﴾ حينئذ قاد

أوضح ذلك الشيخ ابن مرزوق (٧١١-٧٨١هـ/١٣١١-١٣٧٩م) بقوله : " **كان جواداً حسناً**"[١٣].

كما يظهر حبه للعلم وبخاصة علم الفقه من خلال الرحلة حيث تولى القضاء اربع مرات في اماكن مختلفة فضلا عن حفظه الاشعار ونظمه لها وحصوله على اجازات في علم الفقه وعلم الحديث[١٤] ، الامر الذي يعني اولاَ أن رحلاته تلك كانت بدافع اخر هو طلب العلم فضلا عن دافع الحج ، وثانياَ انّ للرجل تمكنًا واضحا وعنايةَ خاصة بالفقه وعدد من العلوم الدينية علماَ بأن المصادر لم تتطرق الى حصوله على أية إجازة علمية قبل أن يبدأ رحلاته .

ومن اخلاقه يتضح انه كان سريع التاقلم والاندماج مع المجتمعات التي دخلها وربما يعود ذلك الى بيئته الاولى التي نشأ فيها وهي مدينة طنجة التي كانت محطة رئيسة بين الشرق والغرب وطبيعة اهلها المرحة [١٥].

٣- رحلته وتدوينها ، وطبعاتها

عرف ابن بطوطة برحلاته الواسعة التى طالت بلدانا عديدة من المشرق والمغرب الاسلاميين في العصور الوسطى والتي كانت متعددة الاهداف وشاملة [١٦]، وقد قسّمت هذه الرحلات الى ثلاثة اقسام : بدأت انطلاقته الاولى في يوم الثاني من رجب عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م من طنجه متوجها لأداء فريضة الحج ودخل تلمسان ثم التحق مع عدد من الحجاج التونسيين الى زيارة الديار المقدسة في الحجاز ومر بالاسكندرية من ديار مصر في اواسط عام

السلطان الحملة وتحقق النصر من عند الله .ومنها حينما وقع في الاسر في منطقة بين السند والهند أوحادثة التسليب الذي تعرض له في قرية نيطرون **Netaron** بين هنور وفاكنور وأنقذه منها احد الشيوخ وهو دلشاد (أي القلب الفرح) فضلا عن نجاته من حوادث هياج البحر والغرق اثناء سفره الى الصين فعلى الرغم من كل ذلك كان يردد﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ .ان هذا ليعكس اولا ايمان الرجل بربه ، وثانيا طبيعة العصر الذي كانت فيه العودة الى الله كثيرة كما يؤكد التزام الرجل بالمذهب المالكي الذي يرى ضرورة الالتزام بالقرآن الكريم والحديث الثابت في تفسير الظواهر . ينظر: القرآن الكريم ، سورة الحج ، اية٤٠، وسورة ال عمران ، اية ١٧٣ ؛ رحلة أبن بطوطة : تحقيق : عبد الهادي التازي ، (الرباط-١٩٩٧) ، ج ٤، ص ١٤،٤٨، ٩٨ ؛ محمد :المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(١٣) أبن حجر : المصدر السابق، ج ٥،ص ٢٢٧. وابن مرزوق هو محمد بن احمد بن مرزوق التلمساني وزير في فاس وعالم مشهور بالفقه والاصول ، له كتاب ازالة الحاجب عن شرح ابن الحاجب .ينظر : خير الدين الزركلي :الاعلام ،دار العلم للملايين (بيروت -١٩٧٩) ، ج ٥، ص٣٢٨ .

(١٤) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج١، ص٣٣٤.

(١٥) كنون : المرجع السابق ، ص ١٢.

(١٦) محمد بن عثمان المكناسي : الاكسير في فكاك الاسير ، تحقيق:محمد الفاسي ، جامعة محمد الخامس (المغرب-لات) ، صفحات المقدمة.

٧٢٦هـ/١٣٢٦م والتقى هناك بمجموعة من رجالات الفكر والعلم امثال الشيخ الفقيه برهان الدين والشيخ ابي عبد الله المرشدي اللذين التقى بهما في الاسكندريه وتنبئا له بزياره الهند [١٧] ، وربما كانا قد أقترحا عليه زيارتها .

ثم سافر من شمال مصر بقصد زيارة بلاد الشام التي دخلها في عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م وزار منها مدن القدس وبعلبك ثم دمشق التي وصلها في رمضان من عام ٧٢٧هـ، ثم زار شبه جزيرة العرب وتوجه الى مكة وادى الفريضة وتوجه الى العراق وبلاد فارس (ايران) في نهاية جمادي الاولى ٧٢٧هـ وعاد فحج ثانية وجاور بمكة قرابة سنتين وبعدها توجه الى بلاد اليمن وانطلق منها الى ظفار والبحرين وسيراف من الخليج العربي وذلك خلال عام ٧٢٩هـ/١٣٢٩م ، ثم دخل عدد من مدن اسيا الصغرى وبلاد الاناضول (تركيا) ، ثم وصل الى شمالي اسيا الصغرى وزار القسطنطينية عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م وعبر بحر الاورال (البلطيق) ودخل الهند براَ بعدما اخترق طريق خوارزم وزار بخارى وسمرقند وغيرها من بلاد ما وراء النهر (أسيا الوسطى)[١٨].

ثم عبرجبال هندوكوش[١٩] وزار غزنة**Ghazni** [٢٠] ومنها الى جبل بشاي **Pashai** ثم دخل مدينة قندهار **Kandahar** وكابل **Kabul** [٢١] وبيشاور **Beshawer** (في باكستان) ثم

---

(١٧) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج١، ص ١٨٦، ١٩٢.

(١٨) قصد بها الاراضي الواقعة خلف نهري سيحون وجيحون وتسمى Transoxiana وسيحون يتكون من التقاء نهري كرين Krain وكرداريا Kardariea وهو غير صالح للملاحة ،وجيحون يقع بوسط اسيا واسمه القديم اوجزوس ويصب في الاورال .ينظر: شيخ الربوة محمد الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة بريل (ليدن – ١٩٢٧) ،ص ٩٤ ؛ ابو القاسم الزياني : الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحراَ ، تحقيق :عبد الكريم الفيلالي، نشر وزارة الانباء (الرباط –١٩٦٧) ، ص٢٠٠.

(١٩) جبال عالية يصل ارتفاعها الى سبعة الاف متر تقع في الجزء الشمالي وتمتد حتى جبال سليمان في الجزء الجنوبي ، وكوش تعني بالهندية قاتل وهي إشارة الى خطورة هذه الجبال وشدة البرودة فيها حيث يموت العديد من الهنود هناك .ينظر : ابن بطوطة: المصدر السابق ،ج٣ ، ص ٦٥ ؛ هاشم خضير الجنابي :جغرافية اوراسيا ،مطبعة جامعة الموصل (الموصل – لات) ، ص ٨٤ .

(٢٠) مدينة كبيرة بأطراف خراسان وهي الحد بين ما وراء النهر والهند برز فيها العديد من العلماء ، وكانت بلدة السلطان محمود الغزنوي . ينظر :الحموي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٠١.

(٢١) قندهار من فتوح السند أفتتحها القائد عبّاد بن زياد في العصر الاموي وسميّت بالعبادية ، وكابل مدينة بين الهند وغزنة ، فتحت في نهاية العهد الاموي .ينظر : الحموي :المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٠٣ ، ٤٢٦ ؛ زكريا بن محمد القزويني:اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر، (بيروت–١٩٦٠) ، ص ٢٤٣؛ ينظر الخارطة رقم (١) ، ص ١٦٥ الهند في القرن الثامن للهجرة .

وصل الى منطقة البنجاب (الروافد الخمسة) التي كان نهر مهران إحداها [٢٢] . قال ابن بطوطة : " **وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذي ألحجه واستهل علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام اربعة وثلاثين وسبعمائة ومن هنالك كتب المخبرون بخبرنا الى ارض الهند وعرفوا ملكها بكيفية احوالنا** " [٢٣] ، ويبدو من خلال استقراء هذا النص ان قوانين المرور كان معمولا بها في الهند في العصور الوسطى إذ لايمكن لاحد ان يعبر الى أية دولة دون اذن من السلطان او معرفة مسبقة بامره ، ومسالة الاستئذان هذه او رسم الاقامة يعرفنا به ابن بطوطة مثل أي مؤرخ او بلداني اوسائح أخر.

وبقى في الهند قرابة ثمانية أعوام (٧٣٤-٧٤٢هـ/١٣٣٤-١٣٤١م) حيث عمل قاضيا ثم مديراً لخدمة أحد المراقد ، وجال في الكثير من مدنها وتعرض لاخطار لم يتعرض اليها من قبل [٢٤] ثم كلف رسميا من سلطانها برئاسة سفارة الى الصين مر خلالها بجزيرة سيلان وجزر المالديف وعدد من جزر الهند الشرقية ، ثم دخل جنوب الصين ورجع بعد مدة الى سواحل الهند الجنوبية الغربية وعدد من المدن العربية ثم وصل الى فاس عام ٧٥٠هـ/١٣٥١م، ليبدأ رحلته الثانيه الى الاندلس قرابة عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٢م و من ثم أختتم رحلته الثالثه الى غرب افريقيا والسودان عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م وقد اعتاد ان لايتخذ الطريق نفسه في العوده مما هيّأ له فرصة مشاهدة واسعة في مختلف الاقطار .[٢٥]

ويبدو ان رحلاته كان قد خطط لها منذ مدة طويله تسبق يوم ٢٤/شعبان ٧٢٢هـ/١٣٢٣م عندما إنطلق من موطنه ، وعلى الرغم مما ذهب اليه كراتشوفسكي[٢٦] من القول بأن أبن بطوطة لم يدر بخلدة انه سيجوب بعض تلك الاقطار ويقطع كل تلك المسافة بل انه كان ينوي اداء فريضة الحج فقط ، فقد ظهر من خلال متابعة خطوط رحلته كلها انه لم يكن على مدى التسع والعشرين عاما من اسفاره قد احس بالغربه والحنين للوطن الا عندما يعتريه

---

(٢٢) يقع في السند وعليه عدة مدن مثل بسمد والديبل القريبة منه ومنبعة من جبال جيحون وهو نهر كبير وعذب ويسقي الاراضي الزراعية المجاورة له .ينظر : ابو القاسم محمد ابن حوقل النصيبي : صورة الارض ، دار الحياة (بيروت –١٩٧٩) ص ٢٧٦-٢٨٠.

(٢٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ٦٥.

(٢٤) حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته ،دار المعارف(القاهرة – ١٩٨٠)ص١٥٢.

(٢٥) ابن الخطيب : الاحاطة ...،ج٣ص٢٠٦؛ شاكر خصباك : رحلة مع ابن بطوطة ، مطبعة النجف ، (النجف –١٩٧٩) ص ٤٩؛ كراتشوفسكي : المرجع السابق ص٤٢١؛ كنون : المرجع السابق ، ص ٢٥-٢٩. ينظر الخارطة رقم (٢) ، ص ١٦٦ التوزيع السياسي للعالم الاسلامي .

(٢٦) المرجع السابق ، ج١، ص٤٢١ .

حافز مثير للعواطف على سبيل المثال عندما كان في مدينة تونس تذكر الديار وشعر بالحزن ودمعت عيناه ، وهكذا فقد أستجدت لديه أمور جعلته يواصل رحلته [٢٧].

ومن كتاب الرحلة يمكن تلمس عدد من الدوافع التى جعلت ابن بطوطة يواصل رحلاتة لتصل الى قرابة خمس وسبعين الف كيلومتر خلال تسع وعشرين عاماً من الترحال التقى خلالها مما يقرب من ست وستين حاكماً واكثر من الفي شخص مابين امير وسلطان عالم وتاجر وفقيه .. الخ [٢٨]. فكان السبب المباشر لرحلاته تلك هو اداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام فضلا عن اسباب اخرى كشغفة على متابعة الحركة العلميه والثقافيه في الدول الاسلامية ومحبته للقاء العلماء والفقهاء لينهل ويتعلم من علومهم ، وكان يقظ الذهن ويرغب ان يصف كل ما يرى ويسمع تحمساً للأستزادة في المعلومات [٢٩].

وخلال رحلاته تلك يلاحظ انه زار عدد كبير من العلماء والشيوخ والفقهاء بسبب عنايته الدينية على ان طول مدة رحلاته وتنوع ظروف الدول التى زارها افرزت الكثير من ملامح شخصيته ولاسيما ما ذهب اليه بعض المعنيين بمتابعة رحلته من حبّه للمغامرة وكثرة استيعابه للاخبار وسعة ذاكرته فضلا عن سرعة تصديقه للروايات التى يسمعها وعنايته بذكر تفصيلات مهمة عن الجوانب السياسية والحضارية عن كل بلد زاره [٣٠] وهنا يذكر كراتشوفسكي[٣١] ان الاقدار جعلت منه جغرافيّا رغما منه ان صحّ التعبير وقد جاءت رحلته لترسخ وتطورالطابع المميز لأدب الرحلة بوصفه فنّا مهد له الرحالة السابقون في حين تختلف هذه الرحلة عما سبقها بانها مغامرة في دنيا الناس حافلة بالمعلومات عن اقاصي البلدان [٣٢]

وحين كان ابن بطوطة يجول في منطقة تكدا **Takkada** –احدى مناطق السودان– جاءه خبر من لدن السلطان ابي عنان المريني (٧٤٨–٧٥٨هـ/ ١٣٤٨–١٣٥٦م) باستدعائه الى فاس ويعرض عليه تدوين الرحلة لحفظها من الضياع وذلك عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م فامر السلطان بأن يملي وقائع الرحلة على سمع احد أكابر الثقاة وأهم كتّاب الدولة المعنيين بالتاريخ والادب

---

(٢٧) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٦٤.

(28) Ivan Herbeck : Art." Ibn Battuta" , Ency. Of Britannica ,(London- 1966) ,Vol. 9, P., 144.

(٢٩) محمد مصطفى زيادة : الجغرافيا والرحلات عند العرب ، (بيروت–١٩٦٠) ،ص١٨٣.

(٣٠) سليم افندي شحاذة:"ابن بطوطة" مجلة المقتطف ،مطبعة المقتطف،ع٢٧ (القاهره –١٩٢٧) ج٢، ص٥٢.

(٣١) المرجع السابق ، ج١، ص٤٢٢.

(٣٢) فاطمة خليل : "ابن بطوطة وادب الرحلة" ، مجلة المناهل ،ع ٦٠ ، ص ١٦٦ ؛ الزركلي : المرجع السابق ، ج٧ ، ص ٣٢، ج٨،ص٢٤٥.

وهو ابو عبد الله محمد بن جُزَيْ (ت٧٥٧هـ/١٣٥٧م)(٣٣) الذي صاغ جملها صياغة ادبيه مناسبه بحيث تستهوي القارىء لمطالعتها مما يدل على تمكنه اللغوي والادبي ،بخاصة اذا علمنا بوجود اكثر من كاتب مشهور يعمل لدى السلطان بالوظيفة نفسها امثال الكاتب ابي الحسن بن الصباغ (ت٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) وابي اسحق ابراهيم بن الحاج النميري(٣٤) (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) . وليس من الواضح لدينا عدم مقدرة ابن بطوطة على تدوين رحلته بنفسه فقد وضع مصنفا آخر بعد أن عاد من رحلاته بعنوان : (الواسط في أخبار من حل مدينة تمنطيط)(٣٥) تكلّم فيه عن رجال تلك المدينة ولكن لانعرف حجمه وعدد اوراقه أو زمن تصنيفه بالضبط؟!.

ومن الواضح ان التكليف كان صعبا ووجه الصعوبة يكمن في كيفية التوفيق بين الترتيب الزمني للرحلة وبين الحوادث المتعددة التي شاهدها ابن بطوطة على مدى سني رحلته ، ولكن من جهة اخرى فمهما كان ذلك العمل صعبا فانه يستهوي أي كاتب طموح في نيل المزيد من الحظوة والاحترام عند سلطان واعٍ مثل ابي عنان يقدر العناية بالمواهب الادبيه ويثني على أصحابها .

ولابد من القول هنا بأن الفضل يرجع الى السلطان ابي عنّان المريني بأحياء رحلة ابن بطوطة ووصولها الينا لانه أول من آمر بجمعها وتدوينها (٣٦) .

---

(٣٣) ولد بغرناطة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م ونشأ على دراسة الادب على يد والده العالم ابي القاسم بن جّزي وشغل منصب الكاتب في عهد السلطان ابي الحجاج يوسف من بني نصر (٧٣٣-٧٥٥هـ /١٣٣٣-١٣٥٥م) ثم اختلف معه على امر فرحل الى فاس عام ٧٥٣هـ/١٣٥٣م وعمل كاتبا في بلاط ابي عنان، له كتابٌ عن تاريخ غرناطه اعتمد عليه ابن الخطيب في الاحاطه. ومن الجدير بالذكر ان ابن بطوطة التقى لاول مرة مع ابن جزي في مدينة غرناطة اثناء رحلته الاخيرة عام ٧٥٤هـ/ ١٣٥٤م . ينظر: الرحلة ، ج٤، ص ٢٢٦ ؛ ابن الخطيب :الاحاطة.. ج٢ ، ص ١٨٦؛ ابن حجر : الدرر .. ج ٤، ص ٤٥؛ احمد بن محمد المقري : نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي (بيروت -لات) ،ج٨، ٤٠ ؛ كراتشوفسكي : المرجع السابق ،ج٢، ص٤٢٤ ؛ كنون :المرجع السابق ، ص٣٢؛ الزركلي : المرجع السابق،ج٧،ص٣٧؛

Herbeck,I : Ibn Battuta , P., 145.

وينبغي الاشاره هنا الى ان هناك اكثر من شخص يحمل نفس الاسم واللقب فهو ليس ابن جزي الكلبي الغرناطي (٦٩٣-٧٤١هـ/ ١٢٩٢-١٣٤٢م) ينظر : الزركلي : المرجع السابق ، ج٥ ، ص ٣٢٥.

(٣٤) ابن الخطيب: الاحاطة ،ج١، ص٣٥٠ ؛ الماحي : المرجع السابق ، ص ١٣٨.

(٣٥) عبد السلام بن عبد القادر بن سوده: دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، دار الكتاب (الدارالبيضاء-١٩٦٠) ، ج١ ص٦٩ ، وتمنطيط عباره عن قصور كبيرة متعدده تناهز المائتين موجوده في الواحات تسكنها قبيلة توات ،وهي محط ركاب التجار المترددين من المغرب الى بلد مالي من السودان وقد سكنها الكثير من القبائل ينظر: ابن خلدون : العبر، ج٧ ،ص ٥٦ .

(٣٦) كراتشوفسكي: المرجع السابق ج٢ ص ٤٢٤.

وفي عام ٧٥٦هـ/١٣٥٦م بدأت جلسات الاستماع في قصر السلطان بين ابن بطوطة راويا وابن جزي مستمعا ومدونا وكان السلطان وعدد من كبار الأمراء مستمعين منصتين واستمر العمل طيلة ثلاثة شهور من الترتيب والتنقيح حتى خرجت الرحلة بشكلها الحالي وبعنوان (**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**). قال ابن جزي :" **وها هنا انتهت الرحلة ... وكان الفراغ من تقييدها في ١٣ ذي الحجةعام ٧٥٦هـ الموافق ٩ /١١/ ١٣٥٥م** " ثم قال :" **انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ ابي عبد الله محمد بن بطوطة اكرمه الله ... وكان الفراغ من كتابتها في صفر ٧٥٧هـ/ يبراير ١٣٥٦م** " [٣٧] .

ويبدو من عبارات الاختتام ان الرحلة دوّنت مرتين :اولا عن طريق الاملاء من بعض الملخصات التي كان قد جمعها ابن بطوطة ، وثانيا عن طريق الكتابة في وقت اخر بعد اقل من عام ، كما يبدو أن عنوان الرحلة كان من اختيار ابن جزي نفسه لما عرف به من ثقافة وحنكة وادب فالظاهر ان الرحلة كتبت لخاصّة من الناس عبّرعنهم بلفظة (النظّار) وهم اهل النظر والرأي من العلماء والقائمين على الامور [٣٨]،وهكذا فقد عدها بعض المؤرخين إضاءة مهمة على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافيه والاقتصادية للشعوب الاسلاميه في العصور الوسطى[٣٩].

ان كتاب الرحلة يختلف عن كتب العجائب والغرائب فهو لم يؤلف أصلا ارضاء لشغف العوام بهذا النوع من المؤلفات الشعبيه كـ(خريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي او مختصر العجائب لابن وصيف شاه) [٤٠] ولو لم تدوّن لأصبحت قصّة سردية شفوية كألف ليلة وليلة[٤١] ، ولكن جرت العادة ان تكون مرويات الرحالة مبهرة يتوق المحتشدون حماسا لسماع الغريب وغير المألوف من الاخبار ، وليست للرحلة فائدة قصوى اذا اعتمدت رواياتها على المعتاد وغير المبهر. وهكذا فأن كلمة العجائب التي اضيفت الى العنوان ربما كانت عنصراً رئيساً مقصوداً في روايات ابن بطوطة هدف من ورائها شدّ عناية جلاسه اليه واثار اعجابهم بتجربته [٤٢] .

وربما ان ابن بطوطة كان قد قرأ النسخة التي حررها ابن جزي وابدى رضاه على محتواها حتى انه لم يجرِ أي استدراكا او تعليقا او تصحيحا فيها بالرغم من ان ابن جزي اعترف انه اضاف ونمق شيئا من نصوصها.

---

(٣٧) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٨٠.

(٣٨) احمد توفيق : "ابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة "، مجلة المناهل ،ع٦٠، (المغرب –٢٠٠٠) ص ١٨٦.

(٣٩) عبد الله ابراهيم :عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين ، دار الثقافة ، (دبي –٢٠٠١) ، ص٤٨.

(٤٠) حسين فوزي : حديث السندباد البحري ، (القاهرة–١٩٤٣) ، ص ٣٨ .

(٤١) توفيق : المرجع السابق ، ص ١٨٦.

(٤٢)جزيل الجومرد:"رحلة ابن بطوطة بين الحقيقة والتأليف"،مجلةالاكاديمية ،ع ١٨(الرباط –٢٠٠١)ص١٧٦.

وعلى الرغم من معرفتنا بان ابن جزي كان قد راجع عدداً من كتب الأسفار المتوافرة لدية ووظف منها ما وظّف وحذف وعدّل في بعض اخبار الرحلة الا ان العمل لم يخل من بعض الأخطاء كالاضطراب في بعض الأخبار والتواريخ مما فتح الباب لحملة من التشكيك والحوار بين المعنيين بابن بطوطة ورحلته(٤٣) مما ادى الى ان تختلف الارآء في بيان القيمة التاريخية للرحلة من حيث المرويات وبعض الأسفار فضلا عن الغرائب ، وبعض المبالغات او الاقتضاب في الحديث كما فعل مثلا في الهند وهو بذلك كان قد تحدث عن أمور لم يتعود الناس على سماعها (٤٤) فتارةَ نقرأ عمّن يؤيد ما جاء في الرحلة من أوصاف وأخبار وتارة نقرأ عمّن يعارض ولا يتفق مع ابن بطوطة في مروياته .

ولعل اول من اشاد بالرحالة أبن بطوطة ورحلته عدد من الشيوخ الذين التقى بهم في الهند ومنهم الشيخ شاه جلال الذي اثنى على الرحالة واعتبره :" **مسافر العرب والعجم** " (٤٥) ، كما نال اعجاب كاتب الرحلة ابن جزي الذي قال عنه :" انه لايخفى على كل ذي عقل ان الشيخ رجل العصر ،ولم يبعد من قال رحالة هذه الملة" (٤٦) .أمّا اول من استشهد برحلته فهو المؤرخ والوزير الغرناطي المشهور لسان الدين ابن الخطيب(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) في حدود عام ٧٧٠هـ/١٣٦٩م إذ وظّف نصوصا من الرحلة عن استعدادات المغربيين لاسترداد جبل طارق عام ٧٥١هـ/١٣٥١م في الاندلس (٤٧)مما يدل على شيوع تداول الرحلة في المغرب وعدّها مصدراً تاريخياً موثوقاً ،

كما حظيت الرحلة بعناية بالغة من بعض المستشرقين منذ نشرها في اوربا ومن اوائل من اشاد بها المستشرق الالماني سيتيزن **Seetzen** الذي نبّه على اهمية المعلومات الواردة في الرحلة ولاسيما المتعلقة منها بالهند وسيلان وسومطرة واعطاها عناية بالغة(٤٨) ، واقترح المستشرق بيشيل **Petcheal** بتسمية ابن بطوطة(ابو الرحلة) على ضوء ما سمي هيرودوتس بابي التاريخ كما لقبه راينهارت دوزي **Dozy** بـ(الرحالة الامين)، ثم عدّه كراتشوفسكي افضل من سابقه الرحالة الايطالي ماركو بولو (٦٥٢-٧٢٥هـ/١٢٥٤-١٣٢٤م) الذي اتّهم هو الاخر بالكذب والطعن وسمي بالألفي (نسبةَ الى حكايات الف ليلة وليلة) ، ومن ثم توافرت نسبة التصديق به وبرحلته

---

(٤٣) محمد زكي حسن : الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، دار الرائد (بيروت–لات) ، ص ١٣٨ .

(٤٤) فتحي عبد الفتاح : "رحلة ابن بطوطة وتكامل الحضارات" ، مجلة المناهل ، ع ٦٠،(الرباط –٢٠٠٠) ص١٥٥ ؛ حسن ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٤٥) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٤، ص ١٠٥ وعن سيرة هذا الشيخ يراجع الملحق رقم (٦) ص ١٦٤ .

(٤٦) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج١ ، صفحات المقدمة .

(٤٧) ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ،تحقيق :محمد شبانه ،دار الكاتب (القاهرة –لات) ص٣٧.

(٤٨) كنون : المرجع السابق، ص١٣.

وكثيراً ما أجريت مقارنات بينه وبين رحالتنا نظراً لقرب المدة بينهما ومسألة المصداقية [49] كما اجمع بعض المستشرقين على ان كتاب الرحلة هو من اصدق كتب العرب والعجم في تقويم البلدان وان لابن بطوطة فضلاً على التاريخ والجغرافيه [50]

وكان ممن دافعوا عنه في عدد من كتبهم : المستشرق الإنكليزي هاملتون كَيب **H.A.R.Gibb** الذي حاول إعطاء تقويمات جديدة لشخصه. فهو يرى ان عناية ابن بطوطة بالتفصيلات الدينيه نابعة من عنايته وعناية العوام به فالدين كان المحرك الأساسي في القرون الوسطى "**ويجب ان لاننسى بأنه فقيه وبسبب الفقهاء كانت رحلته وبفضلهم تمكن من مواصلتها حتّى النهاية** "[51].وجاء ذلك ردّاً على إتّهام المستشرق كلابروث **Klaproth** لأبن بطوطة بالاطناب في الحديث عن الشيوخ والمتصوفة ، والاقتضاب بوصف المناطق التي مرّ بها [52] .

كما كان للمؤرخين الهنود نصيب من الثناء على الرحلة وصاحبها بوصف ان الهند نفسها كانت البلد الذي استقرّ فيه ابن بطوطة مدة اطول ، وكان من بين المهتمين برحلته : الدكتور نيلكانتا شاشتري الذي عدّ رواياته عن الهند إضافة مهمة وممتعة لتاريخ الهند السياسي والحضاري في تلك المدة [53] ، فضلا عن قيام الدكتور أغا مهدي حسين بترجمة الرحلة الى أللغة الهندية عام ١٩٥٣م .

اما اوّل من ضعّفه فهو معاصره قاضي غرناطة أبن الحاج البلفيقي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) وألذي بنى طعنه على أساس رواياته التي قصّها على جلاّسه عندما زار(ابن بطوطة) بستاناً في الاندلس وعده ملفقاً [54] فبرأه ألشيخ محمد ابن مرزوق من تلك التهمة ، ثم تحدث ابن خلدون

---

(49) Ken Wolf :Marco Polo & Ibn Battuta : The Merchant & Pilgrim ,search in book " Personalities Problem" (Mcgraw-Hill College –1999) ,vol.1., p., 100. ؛
كراتشوفسكي : المرجع السابق،ج٢،ص ٢٥٤ .

(٥٠) محمد علال سيناصر : "ظاهرة ابن بطوطة " ، مجلة المناهل،ع٦٠ ، ص٤١.

(٥١) ناصر عبد الرزاق الملا جاسم : المستشرق هاملتون كيب ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب (جامعة الموصل –١٩٩٩) ، ص٨٢.

(52) Henry Yule:Cathay and The Way Thither,Hakluyt Society(London-1915) Vol. 4, p., 43.

(53) K.A .Nilakanta Sastri : Sources Of Indian History (London-1964) ,p., 44.

(٥٤) ابو البركات محمد بن ابراهيم البلفيقي من الشخصيات المهمة في التاريخ الاندلسي والمغربي وهو قاض من اهل حصن بالفيق من اعمال المريه ولي قضاء مدينة سبته ،له كتاب عن تاريخ المريه ، له ترجمة حافلة بالمزايا الحسنة.ينظر : ابن الخطيب: الاحاطة ،ج٢ ص ٣٤٣ ؛ أبن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، دار الكاتب (بيروت–١٩٧٩) ص٦١ ؛ ابن حجر : الدرر،ج٤ص١٥٥ ؛ المقري : المصدر السابق ،ج٥ ص٤٧١؛ الزركلي : المرجع السابق،ج٧ ، ص٣٩.

(٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٥م) عن تناجي الناس بتكذيبه عندما كان يقص ما شاهده على جلاسه في قصر السلطان :" **ورد على المغرب لعهد السلطان ابي عنان ..رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ،وكان قد رحل منذ عشرين عاما قبلها ..ودخل دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان ... فتناجى الناس بتكذيبه ولقيت انا يومئذ وزير السلطان فارس بن ودرار ..ففاوضته في هذا الشان واريته انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير :" اياك ان تستنكر مثل هذا ..**" (٥٥).

ومن يدري لعل أبن خلدون عندما قصد بلاط فاس ليحكي عن أمر ذلك التناجي ،كان يهدف الى انتزاع قرار بمنع أخبار الرحلة ،لكن الوزير ابو زيان فارس بن ودرار كان في مستوى المسؤولية فحذره واستغرب من انسياقه مع المتناجين بالتكذيب من غير أن يحمل نفسه عناء البحث وتكاليف السفر ليرى ما رآه ابن بطوطة (٥٦). ويمكن القول من خلال هذا النص ان رحالتنا كان له خصوم ومغرضون حاولوا التقليل من شأن رحلتة وتكذيبه في أخباره .

كما طعن فيه مواطنه الرحالة ابو القاسم الزياني (١١٤٣ -١١٣٠هـ/١٦٣٣-١٧١٧م) عندما عرض رحلة ابن بطوطة على افراد من اهل الهند فانكروا عددا من الحوادث التي وقعت لأبن بطوطة في بلاد الهند ومنها قضاؤه فيها ومصاهرته لسلطانها (٥٧) . أن ماجاء به الزياني غير صحيح لاسباب كثيرة منها أن المدة التي كانت بين ابن بطوطة والزياني بعيدة تقارب الاربعة قرون كما ان مدة تدوين رحلة ابن بطوطة برعاية السلطان ابي عنان المريني وبحضور نخبة من علماء المغرب الاقصى يدل على العناية التي لقيتها الرحلة (٥٨) . ومن اجل الرد على بعض الاتهامات يمكن القول أنّ أبنْ بَطّوطة حدّث الناس بما رأى عن عجيب صنع الله في أرضه وخلقه ومن الطبيعي أن يظهر له معارضون وحساد نفّسوا مكانته لدى السلطان ، غير انه وجد الكثير من المؤيدين والسامعين يصدقون ما يروي ويعجبون به ، ومما يدل على صدقه عدم تعوّده على الكذب والافتراء بخاصةً وهو بمنزلة الفقهاء، فقد كان يسوق الحكايات وإذا نسي اسم صاحبها يقول : قد أنسيته ، وكان بإمكانه ان يخترع اسما له ، اما عن زيارته للهند فأن الحقائق التاريخية واستشهادات المؤرخين توجب تصديقه في أغلب ما نقله عن سنوات بقائه في دلهي وقد أكّد هو بنفسة وبالاحلاف الغليظة قائلا :" **وانا أشهد بالله وملائكته ورسله أنّ جميع ما انقله**

---

(٥٥) ابن خلدون : المقدمة ، دار القلم ، (بيروت -١٩٨٤) ، ج ١ ، ص ١٨١ ؛
Gibb,H.A.R : The Travels of Ibn Battuta , Hakluyt Socity (london –1959) Vol . 1 .,P., 2

(٥٦) التازي :ايران بين الامس واليوم ،نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي ،(الرباط -١٩٨٤) ، ص ٨.

(٥٧) الزياني : المصدر السابق ، ص ٥٨١ .

(٥٨) محمد : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

عنه [أي محمد تغلق] من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيدا" [٥٩]وهنا يؤكد احد المؤرخين المحدثين أنّ لابن بطوطة فضل لاينكر في رسم صورة الاخر خاصةً في الهند والجزر المتأخمة لها وشهادته تعتبر وثيقة ثمينة في معرفة الاحوال البشرية في عصره [٦٠] .

كما يجب أن لا يغيب عن البال ان الرحلة صمدت بوجه الانتقادات القاسية التي كانت توجه دائما الى مسألة صدق ابن بطوطة او عدمه ولم توجّه الى دور ابن جزي كاتب الرحلة الذي تدخل في امور كثيرة في نصوص الرحلة [٦١] .

ويقتضي التنويه هنا الى ان ابن بطوطة زار مختلف المدن زيارة سريعة وانه روى الأحداث بعد مدة طويلة من رحلاته معتمدا على ذاكرته وربما اختلطت عليه أسماء عدد من المدن والاماكن وانه ذكر ما سمعه من مصادره دون زيادة او نقصان،وكانت مشاهداته والمباشرة لعدد من الاحداث هي الغالبة على رواياته .وعلى الرغم من عدم ذكره لمصادر مخطوطة أو مكتوبه في الهند إلا أنّ مصادره الاخرى كانت في اغلب الاحيان من الثقاة بنظره على الاقل والذين اثبتت متابعة سير حياتهم ذلك [٦٢] هذا مع علمنا انه كانت لديه نية في تدوين شيئ من رحلته الا انه عدل عن الفكرة بعد تعرضه لحادث السطو فضاعت أوراقه في الهند. كما أن ما ورد من خرافات واساطير في الرحلة كان موجودا قبله ومذكوراً في كتب البلدانيين والجغرافيين ، وبما أنه كان عالما وفقيها فلا يرقى اليه الشك والتكذيب .وأخيراً فأن تدوين الرحلة عام ٧٥٤هـ انما جاء ليقطع الطريق امام المشككين الذين بدأوا يتناجون في امر الرحلة بعد عودة ابن بطوطة الى فاس عام ٧٥١هـ .

ومن ثم تنقطع اخبار ابن بطوطة بعد تدوين الرحلة ونكاد لانعرف شيئاً عنه سوى انه عاش عشرين سنه وتولى قضاء إحدى المدن المغربية ويرجح انها مدينة تامسنا [٦٣]وتوفي عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٩م .

---

(٥٩) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٣ ، ١٤٩.

(٦٠) ابراهيم : المرجع السابق، ص ٤٨.

(٦١) الجومرد : المرجع السابق ، ص ١٧٥.

(62) Herbeck,I.:" Review of Gibb' s The Travels of Ibn Battuta "B.S.O.A.S,1973, P., 630. ينظر : الملحق رقم (١) ، ص ١٥٧ مصادر أبن بطوطة عن الهند

(٦٣) أو تامست كلمة بربرية من لهجة قبيلة زناتة وتعني البسيط الخالي وتشمل مناطق ساحل المحيط الاطلسي من الرباط الى مدينة فضالة وتنتهي عند ازمور ومصب وادي ام الربيع ،كان يسكنها البربر ودخلها العرب في القرن ٥هـ/١١م عن طريق المرابطين وكانوا يرعون الماشية ، واسمها القديم (الشاويه).ينظر:الحموي : المصدر السابق ، ج٢،ص٧ ؛ أبن حجر : الدرر.. ج٥،ص ٧٢؛ السلاوي : المصدر السابق،ج٤، ص ٦٦ .

اما عن طبعات الرحلة فمن الضروري الاشارة الى ان اول من نبّه الاوربيين على وجود الرحلة ونصوصها هو المستشرق السويدي بوركهارت **Burckhardt** عام ١٨٠٩م حيث عثر على نصّا للرحلة ، وبعده بسنتين جاء سيتزن وعثر على نصا اخر ولكننا نجهل مكان تلك النصوص ثم قام المستشرق كوزكارتن **Kosegartan** بنشر هذه النصوص جميعا. ويبدو ان النسخة التي خطّها ابن جزي كانت النسخة الوحيدة ولم يجر أي نسخ لها ربما بسبب مرض ابن جزي ووفاته بعد انتهائه من تدوين الرحلة على الرغم من ذكر كراتشوفسكي لمخطوطتين بخط ابن جزي وهما ضمن خمس مخطوطات نقلت الى المكتبة الاهليه بباريس بعد دخول الفرنسين قسنطينةعام ١٨٣٢م وهي تحت رقم (٩٠٧) [٦٤] ولكن هاتين المخطوطتين غير كاملتين . ومن هنا بدات العناية بالرحلة والبحث عن نصوصها كاملةً من الباحثين بحيث لم تمض مدة من فترات التاريخ الا ووجدنا اثرا للرحلة نسخا او بيعا او شراءَ. ثم قام صامويل لي **Lee** بترجمة انكليزية للرحلة مضافا اليها تعليقات متعددة [٦٥] ومن ثم ظهرت أولى الطبعات الكاملة للرحلة باللغة الفرنسية قام بها ألمستشرقان (ديفريميري وسانكونيتي) [٦٦] . وفي الواقع فان الرحلة لم تشتهرعالميا الا بعد صدورها كاملة على يد هذين المستشرقين ، وبالاعتماد على هذه الطبعة قامت العديد من دور النشر العربية بنقلها الى العربية مرة اخرى فظهر مهذب للرحلة عام ١٩١٣م على يد الشيخ محمد فخر الدين الذي وضع الخرائط للرحلة وتم النشر لاول مرة في مطبعة وادي النيل بتصحيح ابو السعود افندي عام ١٩١٧م. ثم قامت دار صادر ببيروت بنشرها مجددا عام ١٩٦٠م .وبالرغم مما ظهر من طبعات عديدة للرحلة فأن كل تلك الطبعات انما كانت منقولة من الطبعة الباريسية أي انه لا يوجد ناشر واحد قام بمبادرة من عنده للأعتماد على معطيات جديدة .وفي عام ١٩٩٧م طبعت الرحلة على يد احد الباحثين المعنيين بادب الرحلة عامةً وتراث ابن بطوطة خاصةً وهو الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي[٦٧]بعدما احصى مايقرب من ثلاثين مخطوطةً موجودة في مكتبات العالم ومن بينها مخطوطتي ابن جزي وقد استخرج منها طبعتة المكونة من خمسة اجزاء والتي تعد من اهم واوضح النسخ حتى الان ومن هنا جاء تفضيلنا لها حيث حظيت بعناية ومباركة العديد من المؤرخين والباحثين العرب ، ومن المشيدين بها : هيئة الاكاديمية

---

(٦٤) كراتشوفسكي :المرجع السابق،ج٢،ص ٤٣٢، ينظرملحق رقم (٣) الورقة الاولى من مخطوط أبن جزي.

(٢) التازي : "ابن بطوطة في الدراسات الاستشراقية" ، مجلة البحث العلمي ،(المغرب –لات) ص١١ .

(3) Defremery & Sanquinetti :Voyages di Ibn Batoutah , 4vol. (Paris-1853, 1858) .

(٤) مواليد المغرب١٩٢١م عمل وتسلم مناصب عديدة منها سفيرا للمغرب في العراق وايران ثم مديرا للملحق الثقافي في عدد من الدول العربية ، اضافة الى ترأسه للاكاديميه المغربيه وتدريسه في العديد من الجامعات العربية. ينظر :شبكة المعلومات الدولية ، موقع : . www.taziabdlhadi.com

المغربية فضلا عن عدد من المؤسسات العلمية وبعض الاساتذة الاكاديميين [٦٨] . وكانت الرحلة الى الهند وما جاورها حتى الصين قد شملت الجزئين الثالث والرابع منه كما ضمّ الجزء الاول والثاني على بعض المعلومات التي كان يستطرد فيها ابن بطوطة عن الهند ايضا مع ابن جزي والمستمعين في قصر السلطان ابي عنان[٦٩] .

([١]) التازي : "بين المخطوط والمطبوع من رحلة ابن بطوطة" ،مجلة المجمع العلمي العربي ،مجلد ٧ (دمشق – ١٩٩٥) ، ص ٤٤٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، مطبعة المعارف ،(الرباط – ١٩٩٧) خمسة اجزاء .

ولم تخلُ العقود الاخيرة من القرن العشرين من العناية بالرحلة من بعض ألمؤرخين العرب المستشرقين فظهرت دراسات مهمة لها تحليلا وتوضيحا [٧٠]كما ظهرت طبعات عربية اخرى خالية من التعليقات باستثناء عدد من التعريفات الموجزة لاسماء الاعلام والاماكن[٧١] واذا اردنا الحديث عن طبعات رحلة ابن بطوطة فيجب علينا ان نوجز لان الحديث يطول عنه فهو رحالة عالمي تجول كثيرا في بلدان العالم ومن الطبيعي ان يعنى به المؤرخون المعنيون بكل بلد زاره لذلك سنختتم التمهيد والحديث بذكر اهم الترجمات التي وصلت عن الرحلة الى اللغات العالمية ومنها الترجمة الى اللغة الانكليزيةعلى يد H. Gibb **حيث تمكن من ترجمة ونقد ثلاثة اجزاء وسرعان ما ادركته الوفاة ،ثم عهد باكمال العمل لاحد طلابه وهو بيكنيكهام** Beckingham **الذي اصدر الجزء الرابع عام ١٩٩٤المتعلق بالرحلة الى الجنوب الهندي[٧٢] .كما ترجمت الى اللغة التركية بعنوان (تقويم وقائع) وقام بترجمتها الدكتور محمد شريف باشا (اسطنبول –١٩١٥) وهي بثلاثة أجزاء وترجمت الى اللغة الفارسية بعنوان (سفرنامة ابن بطوطة) قام بها الدكتور محمد على موحد (طهران–١٩٥٨) وقام الدكتورفون مزيك** Mazic **بتحقيق القسم المتعلق بالهند والمالديف(هامبورغ –١٩١١) باللغة الالمانية وترجمت منتخبات منها الى اللغة الايطاليةعلى يد الدكتور كابريللي** Cabrieli**،(فلورنسة– ١٩٦١) وترجمت الى اللغة البرتغالية من قبل الاب جوزيف انطونيو** Antonio**،(لشبونة – ١٧٩٧) وترجمت الى اللغة الجيكية على يد الدكتور ايفان هيربيك (ارشيف اورينتال – ١٩٦٢) وترجمت الى اللغة السويدية على يد هيرمان المكيط** Almquist**. فضلا عن الترجمات الاسبانية ، والصينية واليابانية والروسية [٧٣].**

([٢]) ينظر الملحق رقم (٤) ، ص ١٦١ نماذج من طبعات الرحلة .

([٤]) على سبيل المثال: رحلة ابن بطوطة :تحقيق: طلال حرب ، دار الكتب (بيروت –١٩٩١م) وكذلك: رحلة ابن بطوطة :تحقيق: عبد الرحمن محمد ، دار الفكر (بيروت –٢٠٠٣) جزان في مجلد واحد .

([٥]) للمزيد عن جهود هاملتن كَيب ينظر : الملا جاسم : المرجع السابق ، ص ٨٠

([٧٣]) التازي : أبن بطوطة في الدراسات الاستشراقية ، ص ٢٣؛ شبكة المعلومات، موقع مكتبة امازون : www.Amazon.com

الفصل الاول

الجوانب السياسية والادارية

المبحث الاول

الاوضاع السياسية والادارية في عصر السلطنة

المبحث الثاني
أعمال السلطان محمد تغلق

المبحث الثالث
العلاقات الخارجية

المبحث الاول

قبل التطرق الى الاوضاع السياسية والادارية للهند في عصر السلطنة الاسلامية ، لعل من الضروري التعرف على بلاد الهند من حيث موقعها وحدودها وطبيعتها .. إذ تقع في الجزء الجنوبي من قارة اسيا ، ويحدها من الشمالُ إمبراطورية الصين ألمغولية حيث سلسلة جبال الهيمالايا التي تحيطها من جهة الحدودِ الشماليةِ والشرقيةِ ، ومن الشمال الغربي عدد من اقاليم ما وراء النهر ، ومن الغرب جبال سليمان وبلاد فارس (ايران) وبحر العربِ ، اما من الجنوب فان حدودها غير واضحة فقد ضمّت عدة جزر ساحلية عدها عدد من البلدانيين السابقين امتدادا للمحيط الهندي نظرا للتماثل العرقي والصلات القديمة ، وسنتعامل معها على انها واقعة ضمن مفهوم شبه القارة الهندية [٧٤] ، وقد وقعت ضمن الاقليم الاول وعدد من الاجزاء من الاقليم الثاني على حسب تقسيمات الجغرافيين المسلمين للأرض وتكون بذلك محصورة بين خطي عرض ١٠ـْ٢٠ شمال خط الاستواء[٧٥] .

(٧٤) احمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، دار بيروت (بيروت –١٩٦٠)، ج٢ ، ص١٠٨.

(٧٥) محمد بن عبد الله الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،مكتبة الثقافة (القاهرة– ١٩٩٤) ، ج١ ،ص١٦٦؛ شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة أنستاس الكرملي، (القاهرة – لات) ،ج١ ، ص ١٠٦ ؛عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، نشر المؤسسة الجامعية ،(القاهرة –١٩٨١) ، ص ١٨؛ ألجنابي : المرجع السابق،ص٣٨ ؛ ينظر : خارطة رقم (١) ، ص١٦٥ .

إختلف البلدانيون القدماء في ايراد وصف موحد لبلاد الهند **"فهي مملكة عظيمة الشأن لاتقاس في الأرض بمملكة سواها لاتساع أقطارها "** [٧٦]كما قدّر البعض طولها لمسافة اربعة اشهر وعرضها بمسافة ثلاثة أشهر دون توضيح الواسطة المستعملة لقطع تلك المسافة ، كما تعد من اكثر بلاد الله (ﻷ) جبالا وانهاراً ،إذ تحيطها المياه من ثلاث جهات كما تخترقها عدة انهار مثل نهر الكنج المقدس في الوسط ويتجه صوب الجنوب الشرقي ليتصل بنهر براهمابوترا Brahmaputra الذي يمتد حتى البنغال ، في حين تجري في الغرب عدد من الانهر التي تكوّن (البنجاب) أي الروافد الخمسة وخاصةً في الشمال الغربي إذ تنحدر روافده في اتجاه عام صوب الجنوب الغربي لتتصل بنهر السند (مهران) الذي يصب ببحر العرب فضلا عن نهري الدو آب (جُمنا وجانجا) الذان يجريان نحو الشرق ، وقد جرت الافادة القصوى من وجود تلك الانهار في بلاد الهند ولاسيما في الزراعة [٧٧]، ونظرا لسعتها وكبرها فقد تنوّع مناخها وتباين سطحها وكثرت عجائبها وخيراتها الطبيعية [٧٨] اما تحديد أهم المناطق التى زارها ابن بطوطة فهي كما ياتي :

١) **جزيرة سيلان** : ceylon وتقع بين خطي عرض ٦ـ٩ْ شمالاً وهي احدى أهم جزر المحيط الهندي والواقعة على خليج البنغال في بحر هركند قبالة الطرف الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة الهنديه ولايفصلها عن الهند سوى مضيق بالك المائي Palk الذي يبلغ اتساعه ثلاثين ميلا ويذكر عدد من الجغرافيين ان مساحتها ثمانون ميلا في مثلها وهذا لايتفق مع مساحتها الحاليه البالغة خمسا وستين الف كم ٢ [٧٩]،اما تسميتها فقد اختلفت من مصدر الى اخر فهي عند البلدانيين(سرنديب Sarandib) [٨٠]في حين سماها البلاذري (جزيرة الياقوت) لجمال نسائها [٨١] وبعد القرن ٥هـ/١١م عرفت باسم سيلان [٨٢].

---

(٧٦) القزويني:المصدر السابق ، ص ١٢٧

(٧٧) ابو اسحق ابراهيم الاصطخري :المسالك والممالك،تحقيق : محمد جابر عبد العال ، دار القلم (القاهرة-١٩٦١) ، ص ١٠١-١٠٢ ؛ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني:تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذوله ، مطبة حيدر اباد الدكن (الهند – ١٩٥٨)، ص ٣٥٧؛ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٣،ص٩٦،٨٢ .

(٧٨) اليعقوبي : المصدر السابق ، ج٢، ص ٩٤ ؛ ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس، (بيروت- ١٩٨١)، ج ١، ص ٩٣ ؛ ابن فضل الله العمري :التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمه(القاهرة-١٣١٢ﻫ) ص ٤٩ .

(٧٩) الحموي :المصدر السابق،ج ٣، ص ٢١٦ ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص٤٢ ؛ عماد الدين اسماعيل ابو الفدا : تقويم البلدان ، المطبعة السلطانية، (باريس-١٩٤٠)ص٣٧٥ ؛ فيصل السامر : الاصول التاريخيه للحضاره العربية الاسلاميه،دار الشوؤن الثقافيه (بغداد- ١٩٨٦) ص ٢٩؛ توماس ارنولد: مادة "سيلان" ، دائرة المعارف الاسلاميه،جمعها :احمد الشنتناوي واخرون، (القاهرة -١٩٢٧) ج١٣، ص١٢؛ حسين على الطحطوح : " جزيرة سرنديب وبلاد العرب في القرون الوسطى" ، مجلة التربيه والعلم ، كلية التربية،(جامعة الموصل – ٢٠٠٤) ع ١١، ص ١٤-١٥ .

(٨٠) اليعقوبي : المصدر السابق ج١ ،ص٨ ؛ محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (القاهرة- ١٩٧٩)ج١ص ١٢٢ ؛ ابو بكر احمد بن محمد بن الفقيه :

٢) **جزر ذيبة المهل** (المالديف): Maldievs وتقع في الجزء الجنوبي من شبه القارة الهندية ويمر بوسطها خط الاستواء بين خطي عرض ٧-٤٠ شمالاً ، وتشمل قرابة تسعمائة جزيرة منها : جزر لوكاديف والسويد **Suwaid** ومُلوك **Mulaku** وكندكل **Kaindecolu** .. عرفها العرب المسلمون والبلدانيون باسم (الدبيجات، أو ذيبة المهل) [٨٣] ، وقد وصل اليها أبن بطوطة عام ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٥م .

٣) **بعض جزر الهند الشرقية** : وهي ارخبيل كبير يضم الآف الجزر الكبيرة والصغيرة ذات الوجة الملاحي المميز الممتد حتى سواحل استراليا وألتي تقع في الطريق التجاري بين الهند وبلاد فارس وجزيرة العرب غربا والصين وما وراءها شرقاً ، ولعل اهمها : جزيرة جاوه Jawa واطلق عليها هذا الاسم المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٨ م) كما سماها ابن خرداذبه (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) بـ(الزابج) ، ومنها كذلك جزر مُلْ جاوة (الملايو) وجزيرة مادورا Madura وسماها ابو الفدا (ت٧٣٢هـ/١٢٣٢م) بـ(سومطره Sumadra) ، وجزيرة بالي[٨٤] Bally.. وقد وصل اليها ابن بطوطة عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م .

ا) الاوضاع السياسية

في قرابة شهر محرم من عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م وصل ابن بطوطه مدينة الى الملتان **Multan** الواقعة على الجانب الغربي لنهر السند فانتظر قليلا حتى يحصل على تفويض رسمي بالدخول ، وبعدما حصل على التفويض دخل عاصمة الهند مدينة دلهي[٨٥] **Delhi** ولم

مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل (ليدن-١٨٨٤) ص١٠ ؛ المسعودي : المصدر السابق ج١، ص ٤٤ ؛ الادريسي : المصدر السابق ،ج١، ص٧٢.

(٨١) البلاذري :المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .

(٨٢) البيروني : المصدر السابق،ص١٦٩؛ الحموي : المصدر السابق ،ج٣ ،ص٢١٥ ؛ احمد بن على القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ،تحقيق:محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب (بيروت-١٩٨٧) ج٨ ، ص٧٧.

(٨٣) بزرك بن شهريار الرامهرمزي: عجائب الهند ، بره وبحره وجزايره ، مطبعة بريل (ليدن -١٨٨٦)، ص ١٦؛ ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص٥٤ ؛ الجنابي : المرجع السابق ، ص١٠٩.

(٨٤) المسعودي : المصدر السابق، ج١،ص ٩٨ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٦٨ .

(٨٥) ويسميها ابن بطوطة دهلي Dehli ، مدينة يعود تأسيسها العام ٣٠٧هـ/٩٨١م على عهد الملك الراجبوتي Rajiputs (وادبته Wadapta) ، وصفها ابن بطوطة بانها مدينة كبيرة وكثيرة العمارة ومقسمة على اربع مدن متجاورة (دهلي القديمة وسيرى وتغلق اباد وجهان بناه) ، وذكر العمري ان مساحتها اربعين ميلا ويعدها مؤرخ الهند باراني Barani انها تضاهي بغداد والقاهرة من حيث الازدهاروالعمارة، وقد استمرت تؤدي دورها الحضاري حتى دخول تيمور لنك Taimur الهند وتخريبه لها عام٨٠٤ هـ/١٤٠٨م ، وسيشار اليها بكلمة (دلهي) بدلا من دهلي . ينظر:ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص١١٩؛ شهاب الدين احمد بن عبدالله بن عربشاه :عجائب

يلق سلطانها محمد بن غياث الدين تغلق شاه[٨٦] (٧٢٥ –٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥٢م) والذي كان غائبا عنها ولكنه نزل في قصر الضيافة الذي يبعد سبعة أميال عن العاصمة [٨٧]، وفي الهند أصبح ابن بطوطة في عداد الرحالة المشهورين إذ انه في السابق كان يدخل عدد من المدن والبلاد ولم تكن اخباره تصل الى الملوك والسلاطين فكان اكثر ما يلتقي مع الفقهاء والشيوخ وعامة الناس ، ولكنه في الهند توجه مباشرة الى سلطانها فأُكرِم ، وربّما لم يخطر في بالهُ بأنّه سيستقر هناك ويكون من اصحاب الوظائف العالية أو من الذين سيكون لهم شأن مهم في المجتمع الهندي[٨٨] ودخوله كذلك الميدان السياسي والإداري من خلال مشاركته في عدد من الأحداث كما سنرى .

المقدور في اخبار تيمور،المطبعة العثمانية، (القاهرة – ١٨٨٧)،ص٤٤؛ النمر: المرجع السابق ، ص ١٣١؛ ونقلا عن العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار ،ج٢٤، ينظر:

Frykenberg,R.E: Delhi Through The Ages, Oxford university Press,(London-1986),p., 3 .

(٨٦) واسمه فخر الدين جونا الغ خان Jouna Algh Khan ، ويلقب بابي المجاهد ويعد من الشخصيات المهمة التي حيّرت المؤرخين المعاصرين له وحتّى المتأخرين ، بدأ جنديا حازما ثم اداريا ناجحا في عهد والده الذي وجد فيه كفاءةَ اداريه فارسله الى جنوب الهند لآخضاع عدد من الاقاليم فانتزع منطقة تيلنجانه من يد الراجا برتاب الثاني .وصفه عدد من المؤرخين باوصاف عديده نتيجة لتناقض سلوكياته خلال مدة حكمه والى الان لم يبت التاريخ في مسألة شخصية محمد تغلق الذي لفت نظر جميع من تصدى للكتابه عن تاريخ الهند في تلك المدة ، وقد قدم المؤرخين شخصيات مماثلة له في حقب سابقة امثال نيرون وكاليكولا ..ومن الاوصاف التي وصف بها : قاس ، عادل ، مزاجي ، وحشي ، أستبدادي ، وصاحب الشخصية المعقدة ، الانتهازي ، الطموح ، الاحمق) ويقول عنه المستشرق يول Yule انه نجح ضمن حدود الهند نجاحا نال به احترام مواطنيه وشعبه ، كما يشيد بروايات ابن بطوطة عنه بوصفها من ادق التفاصيل واصدقها من أي مؤرخ اخر كماعدّه ثابارThapar من الشخصيات الغريبه على الرغم من مآثره الرائعه ،كما كان الدكتور مهدي حسين احد المؤرخين الذين انصفوه وتحمسوا له اذ مال الى القول بان الحاكم القاسي لايهرق الدماء جزافا دون سبب من الرعيه مشيرا الى ان محمد تغلق كان يحكم شعبا متعدد الاعراق والطوائف ، وذلك انعكس على شخصيته في معاملة كل فئة على حدا بطريقة تتوافق مع افكاره السياسية . ينظر: ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣،ص ١٤٨؛ احمد شلبي :موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة، (القاهرة –١٩٨٠) ج ٨، ص ٢٨٧؛

Yule ,H.:Op.Cit.,Vol.4,p.,12 ؛Gibb,H.: Rivew of Mahdi Husain ,Rise&fall Mohammed Tughlugh" J.R.C.A.S, Vol .26, (London- 1939)، p ،.533 ؛ RomilaThapar : History of India (Londo–1966),vol.1,p.,275؛ Moreland,W.:H:Ashort History of India(Londod-1965), p., 167.

(٨٧) محمود الشرقاوي : رحلة ابن بطوطة من طنجة الى الصين ، مطبعة النجف (النجف–١٩٧٤) ،ص٢٣٢.

(88) Revew of Ross, E. Dunn :The Adventures of Ibn Battuta: A Muslim Traveler of the 14th Century, Berkeley: University of California Press, (London- 1986) , P., 154, Internet **In** **WWW.AMAZON.COM** .

وكان أوّل ما تحدث عنه بعد دخوله الهند هو وصف الاوضاع السياسية والادارية في السلطنة منذ القرن ٦هـ/١٢م ، وتلك التفاتة مهمة من ابن بطوطة لمعرفة الماضي التاريخي للهند وأهم الاحداث السياسية فيه ، وكان مصدره في سرد تلك المعلومات هو لقاء مع احد الشيوخ الثقاة (حسب رأيه) هناك وهو الشيخ كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي ويصفه بـ "**الامام العلامه الفقيه**" (صدر الجهان)[٨٩]، والذي شرح له المعلومات الاتيه حول تاريخ الاسلام في الهند منذ القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد :

بعد فتح دلهي الذي تم في سنة ٥٨٤ هـ/١١٨٧م[٩٠] على يد الأمير محمد بن سام الغوري (٥٥٨-٥٩٩هـ/١١٦٣-١٢٠٣م) قرر إقامة حكم السلطنة الاسلاميه فيها كي يتفرّغ هو لفتح مناطق الشمال الهندي فأمّر عليها احد اكفأ قادته الفاتحين وهو السلطان قطب الدين ايبك الذي كان من صفوة مماليك السلطان محمد الغوري ويلقّب بـ(سباهسلاري Sipahsalary) أي القائد العام للجيوش وهو اول حاكم مسلم لاول أسرة اسلامية مملوكية في الهند والتي سميت بـ(المماليك) وحكمت (٦٠٢-٦٨٦هـ/١٢٠٥-١٢٨٨م) وبطبيعة الحال فقد انشغل قطب الدين بتوطيد اركان السلطنة طيلة مدة حكمه البالغة خمس سنوات ولكن اسلافه من السلاطين تمكنوا من النهوض بالسلطنة امثال شمس الدين التمش **Ilitemish** (٦٠٧-٦٢٧هـ/ ١٢٠٩-١٢٢٩م) الذي رد المظالم[٩١] وحاول القضاء على عدد من الفتن والتمردات ، ثم خلفه ابنه الاكبر ركن الدين فيروز الذي لم يحكم سوى سنه واحدة اذ انشغل بتصفية اخيه معز الدين الذي نافسه على الحكم ، غير ان انقلابا كبيرا قادته اخته رضية ادى الى الاطاحة به ومن ثم مقتله وتولي رضيّه (٦٣٧-٦٤١هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٣م) كاول امراة مسلمة تحكم في الهند وفي العالم الاسلامي الامر الذي اثار حفيظة الامراء والقادة الاتراك فلفّقوا التهم ضدها وعزلوها وتولى بعدها اخوها الاصغر ناصر الدين التمش (٦٤١- ٦٦١ هـ/١٢٤١-١٢٦٢م) ثم قتله نائبه غياث الدين بلبن **Balban** واعلن نفسه سلطانا (٦٦٥-٦٨٥هـ/ ١٢٦٦-١٢٨٧م) وهو مملوك من تركستان انتقل بيعا من يد الى يد حتى وصل الى الهند فاشتراه السلطان التمش ، وتركز حكمه

---

(٨٩) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص١١٩.

(٩٠) في الواقع تم فتح دلهي في سنة ٥٨٨هـ/١١٩١م ، وللمزيد عن تفاصيل الفتح والحملة يراجع: ابو الفدا: المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية، (القاهرة – لات)، ج٤،ص٢٨.

(٢) اصدر امرا بان يلبس كل مظلوم لونا غير اللون الابيض فيميزه السلطان ويقتص من ظالمه ،وقد نقل الادريسي تقاليد مشابهة لعدد من ملوك الهند .ينظر : الادريسي :المصدر السابق،ج١،ص١٨٩ ؛ ابو بكر بن عبد الله ابن ايبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ،تحقيق:سعيد عبد الفتاح عاشور،دار احياء الكتب (القاهرة –١٩٧٢) ، ج٨ ، ص ٣٤ ؛ ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص ١٢١،١١٩ .

على توطيد الامن ونشر العدل بين الناس وبعد وفاته[٩٢] خلفه حفيده معز الدين الذي انشغل بالملذات الشخصية ناسيا امور السلطنه حتى قام بالملك بعده نائبه فيروز شاه الخلجي ليبدا حكم الاسرة الخلجية **Khiljis** (نسبة الى خلج موقع قرب غزنه) وهي ثاني الاسر التركيه (٦٨٦-٧٢٠هـ/١٢٨٨-١٣٢٠م)[٩٣].

وقد كان لهذه الاسرة فضل الدفاع عن الاسلام و المسلمين في الهند من خطر الهجمات المغولية القادمة من خانات اسيا الوسطى و ماوراء النهر (أي مغول الجغتاي **Ghughtai**) اذ شنوا عدة هجمات بهدف السيطرة على اجزاء واسعة من الهند الا ان تلك الهجمات كانت تقابل برد فعل عنيف من الجيش الاسلامي في الهند ، ولعل اشرس الهجمات التي واجهها المسلمون في الهند كانت في عام ٦٨٨هـ/١٢٩٠م والتي وصلت فيها طلائع الغزو المغولي الى مشارف العاصمة دلهي إذ يصعب اقتحام الهند من البحر لتعذّر الملاحة في خليج البنغال كما يصعب اختراقها من طريق جبال الهملايا الشاهقة الارتفاع الا ان هناك معبرا في شرقي الهملايا عند وادي نهر برهمابوترا والاخر عند غرب هذه الجبال وهكذا فان البلاد مقفلة الا من هذين المعبرين[٩٤] ، وكانت هجمات المغول اتية منهما .

ومن هذه الهجمات هجمة عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م التي تكونت من قوة تقدر بمائة وعشرين الف جندي من المغول جاءت لمحاصرة دلهي[٩٥] ، وتصدى لهم السلطان علاء الدين محمد شاه ثاني سلاطين الخلجيين الا ان سوء تحصيناته الدفاعيه وضعف التنظيم ادى الى انسحاب القوة الاسلامية نحو قلعة سيرى **Siri** ومن ثم نحو البنغال مما ادى الى وصول المغول الى اجزاء بعيدة مثل غزنة وكابول . وكانت الاجراءات التي اتخذها علاء الدين ضعيفة حيث عمِد الى إيجاد صيغ من شأنها معالجة الوضع المتردّي بالبلاد فعندما احتاج الى جيش قوي مدرب ومسلح قادر على المواجهة فبدلا من ان يزيد من اعطياتهم لجأ الى تكوين مخازن كبيرة للمواد الغذائيه والزراعيه خاصة تابعة للدولة ووظيفتها بيع الناس المواد الغذائية باسعار اقل من اسعار

---

(٩٢) استرسل ابن بطوطة في ذكر تدرجه في المناصب وقصة بيعه مع العبيد،وقد زار قبره في جنوب شرق دلهي قرب احد الجوامع ينظر: ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣ ، ص١٢٤؛النمر ،المرجع السابق ص١١٢.

(٩٣) وهي قبيلة تركيه الاصل سكنت الاراضي الافغانيه .ينظر: احسان حقي :تاريخ شبه الجزيره الهنديه الباكستانيه ، دار الرسالة ، (بيروت -١٩٧٨) ص ٨٩؛ النمر :المرجع السابق ،ص١١٥؛ أحمد محمود الساداتي :تاريخ المسلمين وحضارتهم في شبه القارة الهندية ، دار الثقافة (القاهرة- ١٩٧٢) ،ج١، ص١٢٢.

(٩٤) شلبي : ألمرجع السابق، ج٨ ص ٢٥١.

(2) S.F.Mahmud: The Story Of Islam , (London-1965)p., 157.

التجار مما يجبر التجار على تخفيض اسعار منتوجاتهم كما يجبر الفلاحين على بيع منتوجاتهم للتجار باسعار محدودة [٩٦] .

تلك الاجراءات اثارت انتقاد المؤرخ الهندي ضياء الدين باراني (ت ٧٥١هـ/١٣٥١م) في حين انها نالت اعجاب كل من ابن بطوطة والمؤرخ الفارسي ناصر الدين هزارت (عاش في القرن ٨هـ/١٤م) اللذان عداها من ضرورات الحياة [٩٧] .

من ناحية اخرى استطاع علاء الدين من توسيع نطاق حكمه نحو الدكن **Deccan** وفتح الكجرات **Gujarat** [٩٨] عام ٦٩٦هـ/١٢٩٧م وفتح جيتور **Getor** عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م ثم استولى على مناطق الراجبوت Rajiputs وورانكل Warangal من البنغال [٩٩] ، لكن هذا التوسع جلب نتيجةً عكسيّة فكان يؤدى بالبلاد الى الضعف لان السلطان الذي تولى بعده كان على درجة من الضعف واللامبالاة والانانية[١٠٠] .

وبسبب تمادي اخر السلاطين الخلجيين ناصر الدين خسرو ، وسوء تصرفاته التي اغضبت اشراف دلهي مما عجل من استنجادهم بأحد اقوى الشخصيات وهو حاكم اقليم لاهور **Lahur** غياث الدين تغلق[١٠١] وهو من مماليك السلطان علاء الخلجي وكان ضابطا شجاعا حارب ضد المغول في ٧٠٤هـ ، و٧٠٦هـ/١٣٠٤م و١٣٠٦م وحصل على لقب الغازي الذي

---

(٩٦) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٢ ؛

S.M.Ikram :Muslim Civilization in India, Columbia Press, (U.S.A-1964) . p., 63 .

(4)Ikram ,.S. M. : Ibid ,p., 65.

(٩٨) ورد اسم كجرات في عدد من المصادر والمراجع بأشكال مختلفة مثل (الجزر ، جزرات ، جوزيرات) وهي احدى الامارات الاسلامية الواقعة على الساحل الغربي لشبة القارة الهندية يحدها من الشمال ،السند واجمير Ajmer ومن الشرق مالوه ومن الجنوب بحر العرب ،وكانت نهروالة Anahrawara عاصمتها القديمة .ينظر : ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٦٧؛ القلقشندي ، صبح الاعشى .. ج٥،ص ٧٠؛ الطحطوح : إمارة كجرات الاسلامية في الهند ،دراسة سياسية حضارية ، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ، ع١، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٧٣ .

(٩٩) أنظر الخارطة رقم (١) ، ص١٦٥ .

(١٠٠) احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، دار المعارف (القاهرة –١٩٦٩) ج٢ ص ٥٩٩؛ Basham A.L: TheWonder That Was India, (London-1962), p., 7

(١٠١) اصلها قتلغ في اللغة التركية وتعني المبارك ،وكان اسمه غياث الدين مبارك شاه فقلبت تغلق.ينظر : سليمان : المرجع السابق،ج٢،ص٥٩٩.

يعد وسام شرف لدى المقاتلين الهنود وهذا ما اكده ابن بطوطة عندما شاهد على مقصورة بجامع الملتان عبارةَ تقول :

" **اني قاتلت التتر تسعا وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازي** " (١٠٢).

يعد غياث الدين تغلق شاه مؤسس ثالث الاسر التركية في الهند (٧٢٠-٧٢٥هـ/١٣٢٠-١٣٢٥م) والتي يعتقد انها من الاتراك القراونه أي قاطنوا الجبال الواقعة بين السند وبلاد الترك (١٠٣) وفي عهدها كانت زيارة ابن بطوطة الى الهند ،وقد اقتفى هذا السلطان سياسة ترمي الى التوسع في فتح مناطق مختلفة من الهند(١٠٤) بهدف نشر الاسلام مثل (ورانكل **Warankal** ،اوريسيا **Orissa** ، والبنغال **Bengal**) ليحقق حلمة في تكوين سلطنة كبيرة لكن سياسته الاقتصادية كانت لاتتفق مع حلمه السياسي(١٠٥) مما ادى الى فشل مشروعه . ويعد ابن بطوطة مصدرا تاريخيا مهما لأسرة تغلق حيث كان شاهد عيان مباشر على اهم الاحداث السياسية كما سنلاحظ .

ب) الناحية الادارية

سارت بلاد الهند في القرن ٨هـ/١٤م على نفس الثوابت السياسية السائدة في المشرق الاسلامي من حيث اعتمادها على الشريعة الاسلامية في مراسيم التولية والعزل والعهود(١٠٦) ، وكان من شروط هذا التقليد ان يسمى والي امر المسلمين بـ(السلطان ، او الخليفة). وقد اشار ابن بطوطة الى لقب السلطان بوصفه الحاكم الاعلى في السلطنة والاقليم كذلك ويتبعه عدد من الاداريين في الاقاليم ويسميهم (النائب ، او الامير) في حين يسمى الوالي الذي يجمع الضرائب والخراج ويتولّى أمر المدينة بـ(العامل أوالحاكم) أمّا (الخديم) فهو الموظف الذي يعمل تحت إشراف مسؤول كبير في مجال الاقطاع (١٠٧) .

قسمت الهند الى عدة اقاليم وكان لكل أقليم كبير حاكم اقطاعي مستقل بشوؤنه يسمى (الامير) حيث يُقطعه السلطان مجموعة من الاراضي التي يعود ريعها وخراجها له عوضاً عن المرتّب ، فمثلا كان الاميرعلى **كاليكوت** **Kalikut** السلطان السامري، وعلى **هنور**

---

(١٠٢) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٣٩.

(١٠٣) النمر :المرجع السابق ،ص ١٢٦.

(١٠٤) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، مطبعة بولاق ، (القاهرة –لات) ج ٢ص٢٧٤.

(105) Thpar ,R : Op.,Cit.p., 275 .

(2) Mujeeb ,M : The Indian Muslems , (London-1967), P.,28 .

(١٠٧) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص ٩٧؛

Agha Mahdi Husain: Le Gouvernement Du Sultanat De Delhi (Paris-1936) p., 26 .

ألامير أحمد **Kuliwer** وعلى **كوليور** ، وعلى جمال الدين محمد بن حسن **Hanovar** السلطان جمال الدين محمد بن حسن ، وعلى **كوليور** **Kuliwer** ألامير أحمد بن سيرخان ، وعلى **بلاد المعبر** **Maabar** السلطان غياث الدين الدامغاني (٧٤١-٧٤٤هـ/١٣٤١-١٣٤٤) وعلى **حانسي** **Hansi** **ومسعود اباد** الملك هوشنج بن كمال كرك **kurk** ، وعلى **برون** **Parwan** ألامير محمد بن بيرم التركي ،وعلى **قوقة** **Koka** السلطان دنكول ،وعلى فاكنور **Facnour** الحاكم غير المسلم باسدو **Paseedo** (وسلطان المسلمين فيها هو ألامير حسين السلاط) وعلى **منجرور** **Mangaro**r الحاكم الهندوسي رام دو **Ram Doo**،وعلى **هيلي** **Hilli** الامير حسن الوزان، وعلى **قندهار** ألامير جالنسي وعلى **كولم** **Kolm** ملك هندوسي يدعى الطراوري **Terawari** وتعني السيد المقدس ولكن أمير المسلمين بها محمد شاه بندر وعلى **جرفتن** **Jirbattan** ألاميركويل ، وكانت الحروب والنزاعات بينهم مستمرة نظراً للتنوع العرقي والمذهبي الموجود في كل منطقة ، فالكل يطمح بالسيادة والنفوذ والسيطرة على اراضي الاخر(١٠٨).

وربما كان اقليم البنغال **Bengal** (بنغلاديش حاليا) من اهم المناطق والاقاليم الهندية التابعة لسلطنة دلهي وكانت عاصمته **اللكنهوتي** **Lakhnawti** وقد دخل ابن بطوطة اليه عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م ووصفه وصفا دقيقا من جميع النواحي فاق وصف المؤرخين اللاحقين له، فعدد اسماء اهم مدنه كـ سيلهات**Selhat** وسونارجيون **Sonargeon** وسد كاون **Sadkaon** وجيتاكونك **Shetagong** وساتجاون **Satagaown** التي يحكمها احد القادة المسلمين وهو عز الدين يحيى (١٠٩) .

كما ذكر احوال المسلمين في البنغال وتطرق الى ذكر سلطانها المحلي وهو ناصر الدين بن بالبن الثاني (٧٢٣-٧٢٦هـ/ ١٣٢٣-١٣٢٦م) والذي سك العملة المستقلة في البنغال بأسمه بنقش (السلطان بن السلطان) (١١٠)ثم أمر السلطان محمد تغلق بخلعه وتعيين قادر خان حاكما على لكنهوتي بدلا منه ، وبيرام خان **Bayram Khan** على سونارجيون كما أمّرَ السلطان فخر الدين مبارك بوكرا خان على كل البنغال (٧٢٦-٧٤٦هـ/١٣٢٦-١٣٤٦م) وبعد رحيل ابن بطوطة عن الاقليم توفي فخر الدين وخلفه السلطان شمس الدين الياس شاه(١١١).

---

(١٠٨) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص ٣٩ ،٥٠،٩٥، ١٠٣ ؛ احمد زين الدين المعبري : تحفة المجاهدين في احوال البرتغاليين ، ،(لشبونة -١٨٨٩) ص ٥٥ ؛ خليل ابراهيم السامرائي: الاوضاع السياسية للعالم الاسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة ، دار الشؤون الثقافيه (بغداد-١٩٨٦) ص١٠٢. الخارطة رقم (١) ، ص ١٦٥.

(١٠٩) ينظر الخارطة رقم (١) ، ص١٦٥ .

(110)Mohamed Moher Ali: A History of Muslims in Bengal (Arriyadh- 1986) Vol, 1 .P.P،. 114-116.

(١١١) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤،ص ١٠٣ ؛ Yule,H . :Op.Cit . Vol. 4 , P.,84

وفي الواقع هناك زوار صينيون قدِموا الى البنغال عام ٧٥٠هـ /١٣٥٠م وكذلك سفراء ووفود حضروا المنطقة عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م اكّدوا ملاحضات ابن بطوطة في مجال الادارة والسياسة والنواحي الاخرى ووصفوا الاقليم باسلوب مقارب لوصفه (١١٢) .

اما الاقليم المهم الاخر من الاقاليم الهنديه فهو اقليم السند وعاصمته الملتان دخله الاسلام منذ مدة مبكره والذي يقع شرق كرمان وسجستان ،وهو في الواقع على قسمين : الجانب البحري الذي يمر به نهر مهران ويسكنه اغلب المسلمين ومن أهم مدنه : الديبل **Daybul** ، اما الجانب البري فيكون قرب الجبال وهو كثير الوعورة ويضم كشمير وغيرها التي في ايدي الكفّار (غير المسلمين) وكان الامير على السند عماد الملك سرتيز **Sarteiz** (١١٣) .

اما المناطق التي مرّ بها وهو في الطريق الى الصين فقد كانت الاوضاع السياسيه فيها اهدأ واقل توترا نسبيا فعدد من تلك المناطق كانت تتمتع باستقلال في الحكم ماعدا وجود التنافس والتناحر بين امراء تلك الجزر ، ففي جزيرة سيلان كان سلطانها يسمى **ايرو شكروتي ARYA SHAKORWATI** وهو قائد عسكري محنك ظهر اسمه مخلدا في التاريخ المحلي للمنطقة ، وقاد عدة حملات لاخضاع المناطق المجاوره عام ٧١٤هـ/١٣١٤م(١١٤) .

في حين تحدث عن جزائر ذيبة المهل وذكر أنها كانت تحت حكم السلطان جلال الدين عمر (٧٠٦ –٧٤١هـ/١٣٠٦–١٣٤١م) ومن ثم آل الحكم الى ابنته السلطانة خديجة (حسب أبن بطوطة) (١١٥) والتي تسميها عدد من المراجع المعاصرة بالسلطانه ملكت رهندي كباد كلاغة **Malikat Rahandi Kebad Kalagha** بنت السلطان جلال الدين عمر لتحكم العام ٧٤٨هـ/١٣٤٩م (١١٦)، في حين وجد في جزيرة مُلْ جاوة (وتقع على طريق خليج سيام) سلطانها الملقّب بالملك الظاهر (ت ؟) ابن الملك الصالح محمد (١١٧) ونائبه (دولسة) وكان ينتشر فيها المذهب الشافعي وقد اكّدت عدد من الدراسات الحديثة وجود تلك الاسرة التي حكمت فعلا في

---

(112)Ali ,M. : Op.Cit. Vol,2 .P., 925 .

(١١٣) ابو الفدا : المختصر ..ج١،ص ١١٩ ؛ ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣،ص١٠٣.

(2)Yule ,H. : Op.Cit p., 32 .

(١١٥) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٤، ص ٦٥.

(١١٦) فون أدوارد زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ،ترجمة :سيدة أسماعيل كاشف واخرون ، (بيروت –١٩٨٠) ،ج٢، ص ٤٥٠ .

(١١٧) كان محمدا هذا حاكما غير مسلم في المليبار فتنازل عن الحكم لابنه ورحل الى سومطرة وقابل اميرها الذي عرض عليه الاسلام فأسلم وتسمى بالملك الصالح وتزوج بأميرة منطقة برلاك وخلّف منها ولدين :المنصور والظاهر ،وهو اول السلاطين المسلمين في تلك الجزيرة ،توفي عام ٦٩٧هـ/١٢٧٩م .ينظر: قهر الدين يونس الاندونيسي: هذه هي اندونيسيا ، مطبعة الشبكشي ، (القاهرة –١٩٤٧) ص ٥٤ ؛Yule,H.: Op.Cit., p., 96.

منطقة باسي **Pasai** قرب ولاية برلاك **Parlak** شمال سومطرة **Samudra** والتي وصل اليها ابن بطوطة عام ٧٤٦هـ/١٣٤٦م [١١٨] إلا انه لم يتحدث عن تمردات او نزاعات مما يدل على هدوء الاوضاع السياسية فيها .

ويمكن الحكم بأن الصورة التاريخية التي رسمها ابن بطوطة لاحوال الهند وطبيعة الصراع الذي كان يدور بين ملوك وامراء الاقاليم الاسلاميه كانت على جانب كبير من الاهميه ، فأن مايلفت النظر حقا هو ان الحكم كان قائما على القوة والتوسع ، ذلك ان السلطان كان يدخل في حروب توسعية املا في مناطق جديده تضاف الى مملكته ،ولكن الحروب عادة لا تقود الى تغييرات سياسية ناجحة وكبيرة ،وهذا ما لاحظناه من خلال حديث ابن بطوطة المسهب عن الاسر التركية التي حكمت الهند والتي انتهت بالثورات والتمرد عليها من الاسر اللاحقة ، فضلا عن كثرة الاغتيالات التي أدّت في الغالب الى مقتل السلاطين ومجيىء سلاطين أخرين بدلهم [١١٩].

وتبدو رواياته عن الاسر الحاكمة والكيانات السياسية وإدارتها للهند معلومات تاريخية دقيقة ومتوافقة مع اغلب احداثها نظراً لما نقله عدد من المؤرخين المعاصرين له واللاحقين عن تلك المدة [١٢٠].

امّا عن علاقة دلهي بالاقاليم المجاورة لها والجزر الهندية فقد كانت جيدة بدليل وصول عدد من الوزراء والامراء منها الى حضرة السلطان محمد تغلق والذين جاءوا مهنئين اليه في عدد من المناسبات او طالبين الحماية من أي اعتداء خارجي [١٢١].

---

(١١٨) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص ١١٤؛ الاندونيسي : المرجع السابق، ص ٥٥.

(119)Mujeeb .M. : Op.Cit .p 28 ؛ Thapar , ,R.: Op.Cit, p., 275 .

(١٢٠) ومنها ما وجد في الادريسي :المصدر السابق، ج١،ص ١٩١ ، وأبي الفدا :المختصر ،ج١،ص ١١٩.

(١٢١) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص ١١٥ .

المبحث الثاني

اعمال السلطان محمد تغلق

وصول محمد تغلق الى السلطنة

التقى الرحالة ابن بطوطة لاول مرة بسلطان الهند محمد تغلق في القصر السلطاني فخرج السلطان واستقبله بنفسه وبرفقة عدد من حاشيته واقام له مأدبة كبرى واهداه هدايا قيمة ومتنوعة ايضا تفوق في قيمتها قيمة ما جلبه الى السلطان [١٢٢] .

وصل محمد تغلق الى السلطنة اثر عملية اغتيال نفذها ضد والده غياث الدين فبينما كان الاخير عائدا من نصرٍ في منطقة البنغال عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م اقام الابن احتفالا في دلهي بهذه المناسبه وبنى قصرا لوالده من الخشب غير ثابت الاركان ، وفي اثناء الاحتفال داست الفيلة المستعرضه احد اعمدة البيت فسقط على غياث الدين وقتله مع ولده ألآخر المدعو محمود (ت ؟) [١٢٣].

هذا الحادث فُسَر تفسيرات عديدة من عدد من المؤرخين فمنهم من قال انها قضاء وقدر ، ومنهم من اشار الى انها مؤامرة نفذت من محمد تغلق بدفع وتعاون مع احد الامراء وهو احمد بن اياس الدهلوي المعروف بخواجة جيهان والذي كان وزير الأعمار (شحنة العمارة) ايام السلطان غياث الدين تغلق [١٢٤] اذ بنى القصر بهذه الطريقه بظرف ثلاثة ايام في مكان بمنطقة أفغان بور **Afghan Bur** على مرتفع من الارض .

---

(١٢٢) كان قد اصطحب معه مجموعة من الهدايا كالخيول والابل والسيوف المصريه ،والثياب من خراسان وذلك لعلمه المسبق بطبيعة سلطان الهند المحب للهدايا والمكافىء عليها ينظر: ابن بطوطة: المصد ر السابق ، ج٣ ص٢٣٠؛ الشرقاوي :المرجع السابق ص ٢٣٤.

(١٢٣) يسمي ابن بطوطة القصر بـ(الكشك) ، ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣ ، ص١٤٣،ولعل المقصود به هنا هو المنصة التي يجلس فيها السلطان .

(١٢٤) عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، حيدراباداالدكن (الهند-١٩٩٧) ج٢ ، ص١٤٥.

في حين يضيف ابن بطوطة شخصية ثالثة كان لها دور اساسي في عملية التآمر تلك وهو الشيخ الولي نظام الدين اولياء [١٢٥] في الوقوف وراء حث محمد تغلق على الثورة ضد والده والجلوس على عرش السلطنه [١٢٦]. ويتفق المؤرخ الهندي باراني مع ابن بطوطة في ان ما حدث ليس حادثا عاديا بل مقصودا وهو من قبيل المؤامرة بدليل قسوة محمد تغلق في الحكم والسياسة وطريقة تصفيته للمقربين منه كما سيمر بنا [١٢٧] على عكس مانسبه الحسني الى باراني القول من ان الحادث كان عبارة عن سقوط صاعقة على سارية القصر [١٢٨].

ومن المرجّح أنّ رأي المؤرخ باراني وابن بطوطة كان صائباً لما اورداه في عدّ الحادث مدبرا ومخططا له ،اذ بدا أنّ محمد تغلق كان انئذ شابا مندفعا لم يبلغ الثلاثين من العمر وتجلى امامه عرش وتسلم السلطنه خلال مدة العام الذي كان فيه نائبا عن والده في دلهي (عام ٧٢٤هـ/١٣٢٤م) واصابه الغرور اثر تحقيقه الانتصارات والفتوحات المتواليه في ورانكل وتيلنجانه من البنغال .

كما ان صفة الغدر كانت متاصلة في عروق الحكام الاتراك انذاك فلا غرابة ان يتحرك محمد تغلق هذا التحرك ضد والده والذي اوجس خيفة من طموح ابنه المتزايد ولم يجد الفرصة السانحة لعزله وايقافه عند حده . وربما اخبرنا ابن بطوطة بحقيقة ذلك ،كتصفيته لعدد اخر من افراد اسرته وانتقامه من عدد من الخارجين عن القانون والمعارضين له [١٢٩].

تحدث ابن بطّوطة عن حضرة سلطان الهند وعن المراسيم السلطانيه التي كانت تجري يوميا في قصره الذي كان يسمى بالمشور[١٣٠] وقد ابدى اعجابه بتلك المراسيم حتى انه اطنب في وصفها فقال :" **ودار السلطان بدهلي تسمى دار سرا ..ولها ابواب كثيرة فاما الباب الاول فعليه جملة من الرجال الموكولين به ويقعد به اهل الانفار والابواق ...فاذا جاء امير كبير**

---

(١٢٥) احد الشيوخ الصوفيه وعلم من اعلام الطريقه الجشتيه (٦٣٦-٧٢٥هـ/ ١٢٣٨- ١٣٢٥م) اصله من قرية بدوان كان على خلاف مع غياث الدين وتقرب منه محمد وسمع الكثير من نصائحه .لايزال قبره موجودا في دلهي .اثّر في اسلام الكثيرين من الهنود ومنهم احمد بن اياس المار الذكر .ينظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص٦٠.

(١٢٦) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص٦٠.

(١٢٧) حول باراني ينظر:

P.M.Holt & others: Cambridge History of India , (London-1960), vol. 2, P., 14 .

(١٢٨) الحسني : نزهة الخواطر.. ، ج٢ ، ص ١٤٥.

(١٢٩) مثلا قتله لاخيه مسعود خان . ينظر : ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ،ص ١٨٥.

(١٣٠) "لفظة عربية جاءت من المشاورة وهي هنا اسمٌ للبلاط الملكي ومقر الحكومة لان الناس تنتظر الاذن كي يسمح لها بالدخول ومقابلة السلطان بعد المشاورة" . ينظر:سليم النعيمي:"الفاظ من رحلة ابن بطوطة" مجلة المجمع العلمي العراقي،ع ٢٦، (بغداد- ١٩٧٥) ص ٦١.

ضربوها ويقولون :جاء فلان ..اما الباب الثاني ... وبينه وبين الباب الاول دكانه كبيره يقعد عليها نقيب النقباء ... والنقباء بين يديه ...اما الباب الثالث فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب . ..واكثر جلوسه [السلطان] بعد العصر فاذا جلس وقف امامه الوزير والكتاب ..والحجاب وكبير الحجاب وهو فيروز ابن عم السلطان ..والنقباء .."(١٣١) .ومن الواضح ان ذلك القصر يتكون من فناء واسع ليستقبل هذا الحشد الكبير من المسؤولين والحاشيه والذين قدرهم احد المستشرقين بأربعمائة وستين رجلا ما بين امراء وحجاب وخدام ورجال اقلام وارباب سيوف وجلادون وعلماء (١٣٢) .كما يتكون من ثلاثة مداخل رئيسة مرتبه بصورة مستقيمه متوالية ،فالباب الاول للحراس الذين يعلمون السلطان بهوية الشخص القادم ،وألباب الثاني للمرحبون بالضيوف ، وفي الباب الثالث يجلس الكتاب الذين يقيدون اسماء الوافدين الى السلطان (١٣٣). وفي هذا السياق وصف القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) بلاط تغلق بصورة مطابقة لوصف أبن بطّوطة :" **اما ارباب الاقلام فله وزير عظيم (ربما يكون الوزير احمد بن اياز) واربع كتاب سر ويسمون (دبيران Deberan) وله قاض عظيم الشأن (لعله ابن بطوطة أو كمال الدين الغزنوي) وله محتسب وشيخ شيوخ ... والفٌ ومائة طبيب والف بازبار تحمل الطيور والجوارح للصيد ...** "(١٣٤) وقد يحتمل هذا النص المبالغه ولكنه كان تقليدا شائعا في مختلف ارجاء الهند الاسلاميه فقد تحدث ابن بطوطة عن عادات مشابهة عند امير الملتان قطب الملك وجلوسه على دكانة كبيره (كرسي) وعلى مقربة منه القاضي والخطيب وعن يمينه ويساره الامراء والاجناد وتعرض العساكر بين يديه (١٣٥) ، وربما هذا يؤيد ما ذكر في بداية الفصل حول اعتماد وتبني الهنود لنفس التقاليد الاسلاميه السائدة في المشرق الاسلامي .

على الرغم من التعقيدات التي كانت سائدة في عهد السلطان محمد تغلق كما أشرنا في الحديث عن الاضاع السياسية فقد كانت للسلطان محمد تغلق أعمالا ادارية وسياسية مهمة كما هو موضح ادناه .

---

(١٣١) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٥٢.

(132)Yule ,H.: Op.,Cit ,p., 15 .

(١٣٣) الشرقاوي : المرجع السابق،ص ٢١٣.

(١٣٤) القلقشندي: صبح الاعشى ، ج٦ ، ص٢٠٠ .

(١٣٥) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣، ص ٩٠.

١) ***النظام الاداري في عهد السلطان محمد تغلق*** *:- عند البحث في النظم لادارية في أي منطقة يجب مراعاة نقطتين اساسيتين :الاولى انّ سكوت المصادر عن عدد من التنظيمات والامور الادارية في عدد من العهود قد لايعني عدم وجودها بل من المحتمل ان المصادر بتركيزها على القضايا السياسية والاقتصادية قد اهملت الامور الادارية ،والثانية هي ان حدوث أي تغيير سياسي او عسكري والانتقال من عهد الى اخر وسقوط السلاطين وقيام اخرين بدلهم لايعني سقوط التنظيمات الادراية قاطبة وقيام اخرى جديدة لا علاقة لها بالتنظيمات السابقة ،اذ ان ذلك يناقض استمرارية التماسك الاداري والاجتماعي بعد حدوث هذه التحولات ، مما يحتّم القول بأن هذه التنظيمات لايصيبها تغيير جوهري خلال تلك التحولات* [١٣٦]*.*

ومن هنا فأن تحوّل الهند من عصر الفاتحين والولاة قبل عهد السلطنة الاسلامية أي (العصر الغزنوي) وقبله في العصر العباسي – الى عهد السلطنة الاسلامية وقيام المماليك والخلجيين ومن ثم التغلقيين ،كل ذلك لم يؤد الى ظهور مؤسسات ادارية جديدة بل ان معظم تلك المؤسسات والدواوين ظل موجوداَ في العهد الجديد مع اجراء عدد من التعديلات واستحداث عدد من المناصب التي اقتضتها الظروف السياسية والعسكرية وغيرها.

يعد عدد من المؤرخين السلطان محمد تغلق المؤسس الحقيقي للاسرة التغلقيه نظرا لطول مدة حكمه البالغه سبعا وعشرين عاما ولاعماله العديدة من اجل توطيد واستقرار الامن الهندي فقد عني بالعاصمة دلهي ثم بالاقاليم الشمالية والشرقية . وأعاد الاراضي ألزراعية والاملاك ألتي أغتصبها عنوةً الامراء السابقون الى اصحابها ألشرعيين ،وعني باقليم البنغال بوصفه من اهم الاقاليم الهندية فعين عليه ثلاثة حكام لامعين مشتركين كلهم بجيش واحد متميز وقوي معزز بخيرة الضباط على مناطق (لكنهوتي وسونارجيون وساتجاون)[١٣٧] والتي تشكل العمود الفقري للاقليم . كما تأتي هذه العناية بالاقليم استناداً الى موقعِه الحيوي وخيراتِه الطبيعية فضلا عن كثرةْ التمرد فيه وكثرة وقوع المجاعات والكوارث الطبيعية كالفيضانات الموسمية التي كانت تجتاح مساحات واسعة من الاقليم وذلك تطلب تعيين قادة كفوئين قادرين على مواجهة كل التحديات بشجاعة ، كما عنى السلطان محمد تغلق بتعيين الموظفين والاداريين الناجحين من قضاة وحجّاب وخطباء في كل المناطق التي تخضع لحكم المسلمين في الهند .وقد رأى في توظيف الاجانب في دولته ومكافأتهم بالهدايا والرواتب المغريه انها خطوة تعزز جانبه كي يكوّن جبهةً اسلاميه متماسكة في مواجهة تمردات الهندوس والاعداء الناقمين ،لذا فقد كان يولّي عدد من من يرد اليه من بلاد العرب والمسلمين ولاسيما ادارة الاقاليم لما عرفوا به من

([١٣٦]) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ، مطبعة الزهراء ، (الموصل – ١٩٨٥) ، ص ٢٣٣.

(2) Ali ,M .: Op.,Cit , vol. 2 ,p., 164 ؛ Moreland ,W. : Op.,Cit ,p., 167

امانة وحنكة ، وقد حفلت الرحلة باسماء كثيرة لوافدين قدموا الى الهند وتولوا وظائف مهمة في السلطنة ولعل اهمها تعيين أبن بطّوطة قاضيا لدلهي وتعيين الشيخ علاء الملك الخراساني اميرا على مدينة لاهري [١٣٨].

ومن الجدير بالذكر انه مع انتشار الاسلام بين صفوف الهندوس انخرط الكثيرون منهم في الاجهزة الادارية التي شكلها المسلمون في الهند ووجدوا الوظائف والمناصب الجيدة كُلٌّ حسب الكفاءة [١٣٩]وجاء ذلك بالرغم مما عرف عن المسلمين احيانا من تجنّب ادخال الكفار(غير المسلمين) في ادارة شؤونهم او توليتهم مناصب حساسة[١٤٠] خاصة بعد تجربة الامويين مع الفرس في ادارة الدواوين والعباسيين مع البرامكة وربما لم نجد ذلك التقليد شائعاً في أي تجربة اسلامية في اقليم اخر غير الهند فهو من البلدان القليلة التي حكمها الاسلام على الرغم من وجود خليط هائل من الديانات والمذاهب .

ولعل اروع ظاهرة الفها المجتمع الاسلامي في الهند هي منح العبيد والمماليك فرصاً كبيرة للعمل والمشاركة في الادارة ، إذ كان اغلب العبيد جاءوا من اسر احترفت العمل في الزراعة والامور المنزلية والخدمة كما أستخدمت النساء كجواري في البيع والاهداء ، ولذلك فقد استبقى السلاطين الهنود عليهم واستخدموهم في تلك المجالات فضلا عن عملهم في المصانع . وقد حصل عدد من اولئك العبيد على حرية اكبر ولاسيما في العهد التغلقي ، إذ يؤكد ابن بطّوطة وعدد من المؤرخين المعاصرين له ان منهم من وصل الى الحكم بفضل كفاءته وأخلاصه الواضحين ، والمقصود به هنا هو السلطان غياث الدين بلبن (٦٥٦-٦٨٥هـ/ ١٢٦٦-١٢٨٧م) [١٤١] .

ان هذه الاشارات تدل على وجود اعداد كثيرة من المماليك الذين اسهم بعضهم في تسيير امور السلطنة وتدل على تقدير السلاطين الهنود المسلمين لخدماتهم تلك[١٤٢] كما تدل اخيرا

---

(١٣٨) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٨٢.

(139)Dunn ,R . : Op.Cit, P7 .

(140)Scott C.Levi:Hindus Beyond The Hindu Kush , Indians in the Central Asian Slave Trade , J.R.A.S., (2002) ,Vol ., 12 , P., 279 .

(١٤١) انظر سيرته بالتفصيل في :ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٥ ؛ الساداتي :المرجع السابق ، ج١،ص ٧٢ نقلا عن محمد قاسم هندوشاه :تاريخ فرشته .

(١٤٢) يوكّد عدد من المؤرخين ان سبب كثرة العبيد في الهند يعود الى عهد السلطان محمود الغزنوي الذي اصطحب معه عددا كبير منهم كاسرى عملوا فيما بعد في الادارة وفي القصور في الهند،وقد كان للسلطان محمد تغلق قرابة عشرين الف من المماليك والخدم:ينظر :المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٧٥؛ شبكة المعلومات ، موقع. WWW. Columbia Encyclopedia .Com عن تاريخ فرشته ، ص ٦٠ .

على تعدد الاماكن التي جلبوا منها وهي على العموم من المناطق المجاورة للهند ولا سيما ماوراء النهر وسمرقند وبخارى ومن مناطق وسط اسيا وغيرها (١٤٣) .

ومن اعماله الادارية الاخرى تطوير ديوان البريد (١٤٤) حيث كان السلطان غياث الدين تغلق شاه قد انشأ نظاما للبريد السريع لايصال الرسائل والاخبار المهمه ،وقد استطاع ابنه محمد تغلق شاه من تطوير هذا النظام من حيث الدّقة والسرعة ومما يدل على ذلك ان العاملين فيه (البريديون) اوصلوا خبر بلوغ ابن بطوطة من بلاد السند الى مدينة دلهي في اقل من خمسة ايام بعد قطعهم مسافة طويلة جداً بين المكانين في طريق آمن معّبد ، كما جُعل على ديوانه الملك دهقان **Dahkan** السمرقندي (١٤٥).

وذكر ابن بطوطة نوعين من البريد في الهند : بريد الرجّالة (المشاة) وبريد الخيل ويتكون الاوّل من ثلاث مراتب في كل ميل يجلسون في قبب او محطات مستعدين للحركة وعند كل منهم مقرعة ذات جلاجل نحاس ، كما وجدوا طريقةَ لمعرفة المسافات بين الطرق تتلخص "**بوضع أعمدة منقوشة عليها عدد الاميال فيما بين كل عمودين فاذا اراد المسافر أن يعلم عدد ما سار في يومه وما بقي له الى المدينة ألتي يقصدها قرأ النقش ألذي في الاعمدة فعرفه**" (١٤٦)، وبالاعتماد على تلك العلامات إستطاع ابن بطوطة من حساب المسافة بين عدد من المدن التي وصل اليها حيث ذكر أن الطريق بين مدينة سيوستان والملتان يستغرق عشرة ايام .

كما اقتبس السلاطين الهنود عددا من النظم الادارية من السلطنة العربية الاسلامية ولاسيما ما يتعلق باقامة الدواوين التي تخصّ ماليّة السلطنة وقد نُقِلَ بعضها بفضل الفاتحين الاوَل ومنها ديوان بيت المال الذي نشأ وتطوّر في العصر الراشدي والاموي نتيجة توسّع الدولة العربية الاسلامية وزيادة حجم وارداتها جرّاء زيادة الفتوح والخراج ..(١٤٧)

(**143**)Levi ,S. : Op.Cit. ‹P., 283 .

(١٤٤) كلمة البريد مأخوذة من اللاتينية Veredus وتعني الدراجة التي يركب عليها العامل في نقل مكاتيبه من مكان الى اخر ثم اصبحت تعني المسافة المعلومة بين مركز بريدي واخر وقدرها علماء المسالك باربعة فراسخ أي اثنا عشر ميلا ، وكانت تسمى في الهند الكروة ، وكان الهدف من انشاءها في الدولة العربية الاسلامية هي اسراع الاخبار الى الخليفة .ينظر :البيروني : المصدر السابق ، ص ١٣٠ ؛ ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣،ص ٧٢ ؛ الماحي : المرجع السابق ، ص ١٤٧.

(١٤٥) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٧٢ ؛ الساداتي :المرجع السابق ،ج١، ص ١٧٠.

(١٤٦) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٢،ص ٧٢،ج٤،ص٢٢ ؛Husain ,M. : op.,cit.p., 42.

(١٤٧) خوله شاكر الدجيلي: بيت المال ، نشأته وتطوره من القرن ١-٤هـ ،مطبعة وزارة الاوقاف ، (بغداد- ١٩٧٦)ص ٣٢.

وقد برعت السلطنة في عهد الاسرة التغلقية في النظم الادارية واعتنت بها عناية فائقة وخاصة ديوان بيت المال والذي يسمى عندهم من يتقلده (صاحب ديوان السلطان) ويقوم العاملون فيه بمحاسبة ارباب الدواوين الاخرى والاشراف على الادارة في الاقاليم [١٤٨] في حين يسميه باراني بـ (اهل الديوان او ديوان اشراف) [١٤٩] وكان يتولاه احد الافاضل وهو ثقة الملك علاء الدين علي المصري المعروف بابن الشرابشي(ت ؟) ، وقد كان للسلطان حق التصرف باموال الديوان متى ما شاء بوصفه السلطة العليا في السلطنة ويبدو ذلك واضحاً في ضروب الاسراف المفرط غير المقيّد وفي الهبات (الخيالية)العالية التي تُمنح للعلماء وغيرهم ،والتي كانت ايضاً تصرف من بيت المال حيث كانت ترسل على وفق صك يسمى البروانة **Parawanah** الى الخزانة ويستقطع الموظفون مبلغ العشر من الهدية أو المكرمة[١٥٠] .ومادامت النفقات بهذا الحجم الكبير كما سنرى فيمكن الحكم بأّن واردات بيت المال كانت كبيرة ايضا وتاتي من مصادر عديدة ولاسيما ضرائب التجارة والخراج والجزية وغيرها . .ولاندري ان كانت الهدايا القادمة الى السلطان قد وضعت في حساب واردات (بيت المال) أم لا ، مع العلم أنها من الممكن أن تشكّل مصدراً مهمّا وان لم يكن ثابتاً لبيت المال وقد الحق بهذا الديوان وظيفة اخرى هي ديوان المستخرج والتي تقوم على مصادرة ما لدى عمال الاقاليم والامراء من اموال اقترفوها بالقوة والابتزاز وعيّن السلطان عليها الشيخ شهاب الدين الجام الخراساني الذي إختلف معه السلطان على أمر فعزله فيما بعد [١٥١].

كما يظهر من حديثه عن القضاء انه كان له ديوان ايضا وهو ديوان المظالم (عند باراني ديوان القضاء) [١٥٢] ، نظرا لعناية الهنود بالجانب القضائي وحاجتهم اليه . حيث وجدت وظيفة قاضي القضاة في دلهي وفي عدد من الاقاليم المهمة مثل الملتان ،كول **Kohle** ،ورانكل، كامباي **Cambay** ، امروها **Amroha**.. [١٥٣] وربما كان قاضي القضاة يتقلد منصب المفتي الرسمي في الهند كما في عدد من البلاد العربية الاسلامية ، فضلا عن وجود ديوان التشريفات أي ديوان استقبال الوفود ، وكان متوليه ناصر الدين الكافي الهروي الذي

---

(١٤٨) ابن بطوطة: المصدر السابق، ٣ ، ص ؛ الدجيلي: المرجع السابق ، ص ٨٠.

(١٤٩) حول باراني ينظر : Husain ,M: op.cit.,p., 34 .

(١٥٠) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص١٥٨ ، ٢٣٥.

(١٥١) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص١٨٦ .

(١٥٢) حول باراني ينظر : Husain,M.: op.cit.,p., 34,52

(١٥٣) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣، ص ١٢١،١٨٣ .

يسمى ملك الندماء ومساعده الشريف المازندراني[١٥٤] الذي استقبل ابن بطوطة حال قدومه دلهي ، ووظيفة حارس الاختام السلطانية ،ووظيفة صاحب الشرطة ويسمى الكتوال **Kotwal** وكان يتقلدها محمد الهروي ووظيفة رسول دار أي سفير السلطان والتي كان يتقلدها الشيخ هبة الله بن الفلكي التبريزي الذي دخل الى الهند مع ابن بطوطة ، ورئيس الكتاب وكان يتقلده الملك نكبية **Nukbaya** [١٥٥].

٢) **محاولة نقل العاصمة من دلهي الى ديوجير Devogir** :- كانت مدينة دلهي هي العاصمة السياسية والادارية طيلة مدة حكم السلطنة الاسلاميه ،وقد فكر محمد تغلق في الانتقال الى مكان اخر وترك دلهي لاسباب كثيرة منها :احساسه بأنها لم تستوعب الكثافة السكانيه الحاصلة فيها فهي مدينة تعد من الحواضر وتستقبل يومياً العديد من الزائرين من رجال الفكر والسياسة وغيرهم ، فضلا عن احساسه باقتراب خطر المغول الذي يحدق بدلهي القريبة من الحدود الخارجية [١٥٦] ، كما انه اراد توسط دولته الواسعة التي تمتد من الهملايا الى جنوب الدكن ومن البنغال الى كابل ، فقرر الانتقال الى منطقة جديدة هي ديوجير [١٥٧]وسمّاها دولت اباد **Dawlatabad** إذ امر المهندسين و البنائين والعمال بترتيبها قبل ان يأمر السكان بالهجرة الجماعية اليها . في حين يضيف ابن بطوطة سببا مهما اخر الى تلك الاسباب وهو ان الاهالي الفقراء في دلهي كانوا يكتبون اوراقا فيها شتائم للسلطان ليعبروا بهذه الطريقة عن امتعاضهم من سياسة القسوة التي يتبعها ضد البعض منهم ويجدون متنفسا للخروج من الوضع الاقتصادي الذي يعيشونه ، وكانوا يرمون هذه الاوراق قرب احد ابواب مجلس السلطان ليلا وعندما قرأها السلطان عزم على اخلاء دلهي وتخريبها ، انتقاما من اهلها فاشترى الدور والمحلات ودفع اثمانها وامر الناس بالانتقال الى ديوجير حتى انه أي السلطان محمد تغلق اطمان وانسّر في نفسهِ عندما رآى منظر المدينة خالية من سكانها [١٥٨].

([١٥٤]) ستتكر تسمية وصفة الشريف عند أبن بطوطة ،ولا نعلم أن كانت منسوبة الى السادة الاشراف من ذرية الامام على (كرم الله وجهه) ام انها لقب تشريفي .

([١٥٥]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٩ ، ٢٣٣.

([156]) Holt & Others : Op.Cit. Vol. 2 , p., 14 .

([١٥٧]) مدينة قديمة محصنه تحصينا طبيعيا ، جدد بنائها محمد تغلق وسماها قبة الاسلام . ينظر : ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص١٠٣؛ الساداتي : المرجع السابق ،ج١ ص ١٧٤.

([١٥٨]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ٣ ، ص ١٩٣.

في الواقع ليس لدينا معومات عن زمن بدء العمل ببناء المدينة الجديدة (ديوجير) ولكنه في عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م بدأت الهجرة اليها (١٥٩) ولم يكتمل بناؤها بعد ، اذ كان فيها دوراً خاصةً لسكنى الجند والوزراء والقضاة والعلماء والفقراء ،كما اختطّ فيها الاسواق والحمامات والطواحين (١٦٠) ، وكان هذا المشروع في نظر قسم من المؤرخين فكرةَ صائبه وجيدة ولاسيما من ناحية الابتعاد عن خطر المغول ،ولكنها لم ترق للكثيرين من مواطني دلهي على الاقل والذين تذمّروا من صعوبة التنقل وقساوة الطريق واختلاف المناخ وبعد المسافة التي قدّرت بسبعمائة ميل عن دلهي ، وللاسباب في اعلاه مجتمعةً توفي العديد من الناس (١٦١) .

وعليه فأن سوء تنظيم الهجرة والظروف غير المناسبة اديا الى اخفاق المشروع ، فحين استبان للسلطان مدى الكارثة التي حلّت بالمهاجرين قررالغاء المشروع بمرسوم ملكي ورجع اغلب الناس الى دلهي القديمه . لقد كان ابن بطوطة شاهدا على ألنتائج الكارثية لهذه الحادثة على الرغم من وصوله بعد عودة المهاجرين الى دلهي بسنتين أو ثلاث وقد عدها من اعظم ما يُنقَم على السلطان محمد تغلق ويحسب ضدّه من اعمال وقرارات سياسية خاطئة كما اكد انه عندما زارها وجدها قليلة السكان وقليلة العماره مع ضخامتها واتساعها(١٦٢) .

٣) عنايته بتطوير الجيش :- **بما ان محمد تغلق نشأ في ظل اسرة محاربه وتعلم الفنون القتاليه منذ وقت مبكّر وهو ايضا رجل متمّرس على الحروب (١٦٣) فقد عنى بتطوير الناحية العسكرية اكثر من عناية والده ونستدلّ على ذلك من كثرة حروبه وعدد وزرائه اذ عيّن اكثر من نائب ووزير له كصدر الجيهان أحمد بن اياز الذي كان قد ساعده على الاطاحة بوالده ، وكذلك عماد الملك سرتيز امير السند وهو مدّرب الجيش والذي يعرض العساكر بين يدي السلطان ،**

---

(١٥٩) يعتقد التازي ان الهجرة جرت مرتين في العامين ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م و ٧٣٠هـ/١٣٣٠م ينظر : ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣ ص١٩٢ هامش رقم ١٠٧ ولم نجد في المصادر مايثبت صحة ذلك .

(١٦٠) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣،ص ١٩٢؛ القلقشندي : صبح الاعشى ،ج ٧ ، ص ٦٧ .

(١٦١) يذكر ابن بطوطة ان الناس امتنعوا عن تنفيذ امر السلطان في الهجرة اول الامر فامر حرّاسه باجبارهم قسريا على ترك منازلهم خلال ثلاثة ايام ،وتشجيعاً لهم على الهجرة طلب من والدته مخدومه جيهان ان تتقدم المهاجرين مع حاشيتها .ينظر: الساداتي ،المرجع السابق،ج١ص١٧٥؛ حقّي :المرجع السابق ،ص ١٠٣؛ Moreland ,W.: Op.Cit,p ؛169 ؛ Ikram ,S.: Op.Cit, p., 72 .

(١٦٢) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ١١٣ ؛ Mujeeb ,M.: Op.Cit., p., 35

(163)Yule,H. : OP.Cit,Vol. 4, P.,11.

والغ خان وقطلو خان معلم السلطان (مستشاره) وغيرهم [١٦٤] كما انشأ ديوانا للزمام سجّل فيه اسماء الموجودين على ملاك الجيش لضبط نفقتهم ورواتبهم[١٦٥] .

جاءت تلك العناية نظرا للمخاطر التي كانت تحدق بسلطنته ، فأعد على ما ذكره ابن بطوطة جيشاً كبيرا [١٦٦]، **قدّره المؤرخ العمري** (ت ٧٤٩هـ) **بتسعمائة الف جندي في حين يجعله المفضّل بن ابي الفضائل (ت حوالي منتصف القرن ٨هـ/١٤م) سبعمائة الف جندي وعند باراني اربعمائة وسبعين الف جندي [١٦٧] وجعل على امرة هذا الجيش القائد العام ابن عمه فيروز ابن رجب الذي كان من اخلص واكفأ الضباط لديه ،كما جهّز ذلك الجيش بانواع السلاح والعّدة ولاسيما المنجنيق المستخدم في فك الحصار والنشّاب فضلا عن السيوف، ودُرّبه على اساليب قتاليه صعبه اذ يورد ابن بطوطة نصّاً حول العناية باعداد الفارس للقتال حيث يقول:**" وهناك قسّيُ كثيرة فأذا أُتي من يريد ان يثبت في العسكر راميا اُعطي قوسا من تلك القسي ينزع فيها وهي متفاوته في الشّدة ،فعلى قدر نزعه يكون مرتّبه .ومن اراد ان يثبت فارسا فهنالك طبلة منصوبةُ فيجري فرسه ويرميها برمحه وهناك ايضا خاتم معلق في حائط صغير فيجري فرسه حتى يخاذ به فاذا رفعه برمحه فهو الجيّد عندهم ...."[١٦٨] .

ويظهر ان جيش الهند في عهد السلطان محمد تغلق كان قد دخل فيه اعداد من غير المسلمين أي انه كان فوق الاتجاهات الدينيه والطائفيه ما دام الامر متعلقا بالحفاظ على الامن القومي الهندي . ولهذا يمكن القول ان سلطنة دلهي كانت قائمةَ برضى وتعاون جميع السكان والرعايا داخلها [١٦٩] ، وقد عرض ابن بطوطة مراسيم جلوس السلطان واستعراض العساكر والاجناد امامه . وكان يخصص الاموال الغزيره للانفاق عليهم .كما يمكننا تلمس تطوّر الخطط الحربية والفنون لقتالية لدى الهنود والتي ربما استُمِدّتْ من المعارك الاسلامية في القرون الاولى للهجرة وذلك من خلال مشاهدة ابن بطوطة لمعركة حدثت قرابة عام ٧٤٢هـ/١٣٤٢م بين سلطان بلاد المعبر غياث الدين الدامغاني وبين ملك منطقة حوزالة **Hausala** الملك بلالة

---

(١٦٤) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج ٣ ، ص١٨١ ، ٣٢؛ Husain ,M.: Op.Cit., p.p., 34,28.

(١٦٥) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤،ص٢٤ويبدوانه ديوان الجند الذي أنشأ في ظل الدولة العربية الاسلامية.

(١٦٦) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٠١،٢٠٨ .

(١٦٧) المقريزي : الخطط ،ج٢،ص١٧٢؛ Frykenberg ,R: Op.,Cit ,P., 21 : نقلا عن المفضل ، و العمري : المصدر السابق ج٢٤ ص ٦٠ ، ونقلا عن باراني : فتوح السلاطين ، ص٢٠٠.ويبدو ان الرقم الذي أعطاه المفضل صحيحا نظراً للكثافة السكانيه في الهند في العصر الوسيط ونظرا كذلك لطموحات محمد تغلق المعروفه في السيطرة والفتوحات ومقاومة الغزو المغولي .

(١٦٨) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣،ص ٩٠ ،٨٢ ،٨٤.

(169) Husain , M.: op.cit.,p.,73.

ديو الثالث **Belala Deo** (٦٩٢- ٧٤٢هـ/ ١٢٩٢- ١٣٤٢م) عندما اراد الاخير السيطرة على اقليم المعبر فخرجت اليه جماعة السلطان والتقى الطرفان في منطقة كوبان **Koppam** التي شكلت خطاً دفاعيا للمعبر فاستطاع هذا الملك غير المسلم هزيمتهم ،ثم حثّهم السلطان على المواجهة من جديد وقرر الخروج بنفسه على رأس جيش من المسلمين قدّره ابن بطوطة بستة الالاف مقاتل نصفهم من الفرسان ، فجعل على الميمنة احد قادته وهو سيف الدين بهادور **Bhadur**وعلى الميسرة محمد السلحدار (أي حارس مخزن السلاح) ، والاخر من المشاة وجعل على رأسه اسد الدين كيخسرو الفارسي ،وعندما بدأت المواجهة في منطقة متره **Madura** ، قاموا بوضع عمائمهم في اعناق خيولهم وهي علامة من يريد الموت عندما يحمى الوطيس مما يدل على اصرارهم على تحقيق النصر ،واستطاعوا بالفعل من القضاء على جيش الكفار(غير المسلمين) وقتل ملكهم وسلخ جلده وقد راه ابن بطوطة معلقا عندما دخل مدينة متره [١٧٠].

يتضح مما سبق انّ نواب محمد تغلق ووزراءه لم تكن بأيديهم ايّ من السلطات التشريعية او القضائية بل كانوا سلطةً تنفيذية للاوامر المناطة اليهم منه، مما يدل على تجريدهم من كثير من صلاحياتهم الامر الذي يؤشر قوة السلطان وتحكمه بالامور .

٤) **القضاء على الثورات والتمردات** :- لم تعرف الهند الاسلاميه الاستقرار السياسي التام لمدّة طويلة في عهد السلطنة الاسلاميه اذ تكررت الانقسامات والتمردات في الاقاليم المختلفة ،وغالبا ما كان يفشل المتمردون في تحقيق مرادهم ومسعاهم بالانفصال عن المركز .

اتسمت طريقة مواجهة محمد تغلق للثورات بالقسوة الشديدة والتنكيل بالمتمردين حتّى سمّاه البعض جلاد العصر [١٧١]،ونادرا ما كان يعفي او يصفح عن البعض لسبب ما ،ومن الغريب انه افتتح حكمه بالصفح عن احد المتمردين وهو بهادور بوره **Bahadur bura** من البنغال عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م حيث ازال عنه القيود وارجعه حاكما فيها مدى الحياة شريطة ان يضع ابنه رهينة عند السلطان خوفا من تمرده مستقبلا [١٧٢] .وربما قصد من وراء ذلك ان يبدأ بعهد جديد قائم على الود والسلم مع حكام الاقاليم .

---

(١٧٠) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ص ٩٥.

(١٧١) الساداتي : المرجع السابق ،ج ١ص١٨١.

(١٧٢) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص٢٠٠ ؛ الساداتي : المرجع السابق ، ص ١٧٠.

عدد ابن بطوطة قرابة **اربعة عشر حالة تمرد** قامت في مختلف الاقاليم الهندية وعدد من مناطق جزر الهند الشرقية ، وكان محمد تغلق يخرج بنفسه لقمع الخطر منها وما يهدد حمكه تهديدا مباشراَ . ولعل اهم هذه الحالات :

١) **في عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م** تمرد ابن عمّة السلطان (علاء الدين كشتاسب **Kushtasib**) وكان آنذاك حاكما على اقليم ساكارا **Sacara** في كولبركه **Koulberga** ، وكان شجاعا وله كثير من الاتباع ، فأرسل اليه السلطان قوّة بأمرة وزيره الخاص خواجه جيهان والملك مجير ذي الرجا احد احنك القادة العسكريين ، فطاردوه حتى احتمى عند احد الحكام (غير المسلمين) في منطقة كامبيل CAMBIL التابعة لديوجير جنوب ساكارا واسمه الراي كامبيلدوفا [١٧٣]وعندما تبعته قوّة السلطان قرر الراي ان يرسل كشتاسب الى حاكم سلطنة حوزالة **Hausals** المستقلة نسبيا وهو بلالة ديو .والذي لم يستطع ايضا من حمايته فسلمه الى مطارديه ،ومن ثم امر السلطان بسلخ جلده وطبخ لحمه وطرحه للفيلة ثم امر ان يطاف بجلده بعموم البلاد [١٧٤] .

٢) **في بداية عام ٧٢٨هـ/١٣٢٨م** اراد السلطان معاقبة كشلوخان حاكم اقليم السند بسبب امره بدفن جلد كشتاسب المطاف به ، وعندما علم كشلوخان بامتعاض السلطان منه ،جهّز العساكر وزودهم بالاموال والاسلحة ،حتى خرج محمد تغلق بنفسه لمواجهته فالتقيا في منطقة ابوهر Abuhar وظفر السلطان برأسه الذي علّق على باب الملتان ليكون عبرة ، وذكر ابن بطوطة انه كان قد رآى رفاته او بقاياه عند مدخل السند [١٧٥]. أي بعد اربع سنوات من الحادث

٣) **في عام ٧٣٠هـ/١٣٣٠م** اراد السلطان اخضاع مناطق جبل قراجيل **Karadgeel** [١٧٦] في الهملايا وحاكمها غير المسلم فارسل القائد نكبيه والف فارس معه فسيطروا على مدينة جديه **Jedyah** في اسفل الجبل وكادوا ان يسيطرون على الجبل باكمله لولا المرض الذي انتشر بين صفوف الجيش مما انتهى بالسلطان الى مصالحة اهل الجبل على مال يؤدونه اليه ليتمكن من عمارة المناطق التي بأسفل الجبل [١٧٧] .

٤) وفي عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م ثار الشريف جلال الدين احسن شاه حاكم اقليم المعبر وكون اماره مستقلة في منطقة مترة MADURA[١٧٨] . وسك العملة لنفسه وخرج السلطان لقمعه ونزل في

---

(١٧٣) يبدو ان الراي هو لقب هندوسي تشريفي .ينظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ٢٠٢.

(١٧٤) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٢.

(١٧٥) ابن بطوطة: المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٤) هي اسم لجبل يقع في مدينة كوفيرا الهندية المحاذيه للصين ، تحدث عنها المؤرخ محمد هندو شاه على انها مصدر نبع مياه نهر امروها القريب منها .ينظر: Yule ,H.: Op.,Cit ,P., 18 نقلا عن فرشته .

(١٧٧) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٥.

(١٧٨) ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج ٤، ص٩٢؛ Holt & Others : Op.Cit: Vol 2, P., 18

منطقة كشك زر (قصر الذهب) ثم منطقة التلنك **Telangana** التي قاعدتها بدركوت **Badrakut** فوقع الوباء في معسكره وهلك عدد من جنوده وعدد من الامراء الكبار في الحملة [١٧٩] ولم يستطع القبض على الشريف . وعند عودة السلطان اصابه مرض فشكّ الناس في موته فكان ذلك سببا في قيام الثورات والتمردات في مختلف الاقاليم .

٥) **في عام ٧٣٥هـ/١٣٣٥م** ثار الامير هلاجون **Holagon** حاكم اقليم لاهور وبمساعدة عدد من القواد والامراء بعدما وصله زيفا نبأ وفاة السلطان ، فوجّه له السلطان اميرين كبيرين هما قيران مُلك **Kerran** (أي مرتب العساكر) والاخر هو الملك تمور الشرابدار **Tammur** (الساقي) والتقيا مع هلاجون عند ضفاف احد الانهار ودارت معركة بينهما انهزم على اثرها هلاجون ودخلت قوات السلطان منطقة لاهور التي تحصّن بها هلاجون فقتلوا عددا من اتباعهِ [١٨٠] .

٦) **وفي العام نفسه** اعلن – حاكم اقطاعية حانسي HANSI الواقعة غرب دلهي :هوشنج بن كمال الدين كرك والذي كان ضابطا كفوءا في جيش علاء الدين الخلجي – نفسه سلطاناً بعد ان كان قد قطع عهد الولاء والطاعة مدى الحياة لمحمد تغلق ،وعندما علم بمطاردة السلطان له هرب الى احد الملوك (غير المسلمين) وأسمه بربرة **Barbarra** في منطقة جبلية بين مدينتي دولة اباد وكوتن تانة **Koutentana** فلاحقه السلطان واراد هوشنج ان يستسلم فتوسط معلم السلطان قطلو خان بينهما وحصل الصلح فرضي السلطان وخلع عليه [١٨١] ، واعطى مدينة حانسي ومدينة وسرستي **SARASATI** لأحد كتابه وهو الشريف ابراهيم خريطة دار(صاحب الكاغد والاقلام بدار السلطان) وهو ايضا ابن الشريف جلال الدين حاكم المعبر المتمرد المار الذكر [١٨٢] ، ولكنه لم يكن مخلصاً فلم يلبث أن اعلن نفسه سلطانا محلياً أيضاً وتمرد على السلطة. حيث اعترض اموالاً خراجيه قادمة الى السلطان من السند بيد الامير ضياء الدين بن شمس الملك ، ولما تحقق من عدم موت السلطان حرر الاموال وذهب الى السلطان ووشي به

---

(١٧٩) من ضمن من قتلوا في هذه الحملة الامير دولة شاه وهومن كبار الامراء ويسميه محمد تغلق بالعم .ينظر : ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ٢٠٨.

(١٨٠) وكان من تولّى قتلهم احد اعتى القادة واقساهم وهو نائب الوزير محمد بن النجيب الذي يلقب باسد السلطان او صك السلطان . ينظر : ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٠٨.

(١٨١) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣ ، ص ٢٠٩ .

(١٨٢) وكان ابن بطوطة قد تزوج باخته حورنسب وهي ذات مال وجمال وصلاح وتقوى ، ولدت له بنتا . ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ص ٢١٠.

البعض فقرر السلطان قتله فاعترف خوفا من العذاب فوسّط بالسيف وترك ثلاثة ايام مطروحا على باب القصر حتى امر السلطان برميه في احد الخنادق بضواحي المدينه [١٨٣] .

٧) **وفي ذلك العام** وللسبب نفسه في اعلاه ترك تاج الملك نُصرة خان حاكم التلنك اتباعه وعمل عزاءً للسلطان واعلن نفسه

سلطاناً محلياًعلى الهند كلها وبايعه الناس في بدركوت ،ولما علم السلطان ارسل له عساكر بأمرة قطلو خان فاستسلم وأُرسل الى

السلطان [١٨٤] .

٨) **وفي عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م** كان عين الملك بن ماهر [١٨٥] يملك اراضي واسعة ذات مرعى خصب في منطقتي اوجه **Oudh** ونهر السرو وكان السلطان دائما يرسل خيله لترعى فيه وطمع عين الملك بخيول السلطان فسرقها هو واخوته الاربعه ، وكان لمحمد تغلق نظام تجسسي بارع على كل حكام الاقاليم المهمة ،ويتلخّص هذا النظام بوضع مملوك من الخدام او الحرآس (العيون) في بيت الامراء الكبار يكون رقيبا عليهم ومحيطا للسلطان بكل تصرفاتهم كما كان له في كل بلد من البلدان المجاورة مخبراً يسمى (صاحب الخبر)،فكان على عين الملك هذا جماعة من الكناسات والمماليك نقلوا اخبار فعلته الى السلطان الذي جهّز له العساكر وخرج بنفسه وطاردوه قرب مدينة قنوج وظُفِرَ بعدد من اتباعه واخوته فحبِسوا ، ومن الجدير بالذكر أن ابن بطوطة كان مرافقاً للسلطان في تلك الحملة ويعدّ شاهد عيان مباشر على احداثها [١٨٦].

٩) **وفي السنة نفسها** ارسلَ قَطْلوا خان معلم السلطان مبعوثا الى كولبركه في الجنوب لجمع الضرئب والاموال الخراجية من هناك وكان الحاكم عليها :علي شاه كرْ أي (الاطرش) فتمرّد وملك مدينة بَدرْ كوتْ وعلم السلطان بذلك وطاردهُ فأسْتسلم ونُفي الى غزنه ثم طلب العودة الى وطنه فشكّ السلطان انه يريد الفساد ثانيةَ فقتله [١٨٧] .

(١٨٣) وقد وضع السلطان حراساً على جثته كي لاياتي اهله ويدفنوه ويبدو انهم كانوا يدفعون الرشا لأخذ الجثة: ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣ ، ص ٢١٠ .

(١٨٤) ابن بطوطة: المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٨٥) هو فاتح اقليم مالوه في عهد الخلجيين ورفيق سلاح لغياث تغلق .ينظر :ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣ ص ٢١١، هامش رقم ٤٠ .

(١٨٦) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣ ، ص ٣٨،٢١١،٢٤٧.

(١٨٧) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ٢١٧.

١٠) **في عام ٧٤١هـ /١٣٤١م** تمرّد شاه افغان أحد أمراء الملتان وقتَّل عدد من رجال السلطنة وادّعى السلطنة فلحقه السلطان فهرب وتحصّن بجبل منيع فلم يقدر عليه السلطان (١٨٨).

١١) **وفي عام ٧٤٣هـ/١٣٤٣م** ارسل السلطان احد اتباعه وهو امير بُختْ شرف المُلك مساعدا لاحد الوزراء في دلهي وهو الامير عبد الله الهروي وعندما مات الاخير حاول الاول الظفر باموالـه والهروب نحو السند مع اولاده واتباعه ،وبعد مدة من المطاردة قبض عليهم السلطان وسجنوا ثم امر السلطان ان يُضرب شرف الملك كل يوم مائة **مِقرعة** (جلدة) ثم عفا عنه وجعله شاشانكير (أي الذي يقطّع ويطبخ اللحم بين يدي السلطان) ثم رفعه وجعله اميرا على منطقة جنديري **Gandiri** في اقليم كونا . ويتعجب ابن بطوطة من ذلك التصرف وازدواجية المعايير في محاسبة المتمردين فتارة يقسو بمنتهى القسوة وتارة يصفح منتهى الصفح وفي ذلك قال ابن بطوطة " **سبحان مقلب القلوب ومحيل الاحوال**" (١٨٩) .

١٢) **وفي الطريق الى الجنوب الهندي** اشترك ابن بطوطة بغزوة مع السلطان جمال الدين المنوري حاكم اقليم هنور الذي اراد غزو سندابور **Sindan** وضمها (١٩٠) وبالفعل توجه السلطان ومعه ابن بطوطة ومعهما اثنان وخمسون مركبا حربيا نحو سندابور ودخلوها بعد معركة مع جنودها في عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م. وعلى الرغم من ذكره لعدد من تفاصيل تلك الغزوة فلم يوضح لنا ماذا كان دوره فيها وهل كان مشاركاَ فعلياَ في القتال أم كان مرافقاَ للسلطان جمال الدين فحسب .

١٣) **وفي عام ٧٤٤هـ/١٣٤٤م** تمرّد القاضي جلال وجماعة من الافغان في مدينة كنباية وبلوذره **Baluthara** (١٩١) وامر السلطان المَلك مُقبِلْ (١٩٢) بالقبض عليهم وهم متحصنون في بلوذره التي هي اقطاع لملك الحكماء المتزوج من ربيبة السلطان (زوجة ابيه) وكان ملك الحكماء قد حذرّهم من بطش السلطان ولكنهم لم يخافوه ودخلوا مدينة كنباية ونهبوا الاموال والخزائن وطاردهم

---

(١٨٨) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٤، ص٥١.

(١٨٩) ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢١٨.

(١٩٠) تقع جنوب غرب الهند بين كنانور وجوا ، وقد اقام ابن بطوطة أحد عشر شهرا عند سلطانها ورآى ان يشترك معه في الغزو . ينظر : الادريسي :المصدر السابق ، ج١، ص ١٩١ ؛ ابن بطوطة : المصدرالسابق، ج ٤، ص ٥٢ ؛

Maqbul Ahmad : India &The Neighbouring Territories، Leiden(Brill-1960).,p., 58.

(١٩١) BROUCH لدى الادريسي: المصدر السابق ، ج١، ص١٩٠؛

Ahmad ,M . : Op.Cit., p.,58.

(١٩٢) هو نائب الوزير في كجرات ومن اهم الشخصيات في نهرواله ، دخل الاسلام وشارك في قمع العديد من الثورات توفي ٧٧٤هـ/١٣٧٣م ،ينظر : ابن بطوطة :المصدر السابق، ج ٣،ص٢١٩، هامش ٥٩.

مقبل فهزموه ثم كلّف السلطان قائدا آخر هو عزيز الخمار (والي الخراج في اقليم أمروها **Amroha** ويبعد مائة وسبعين ميلا عن دلهي) الذي طاردهم ثم توفي في هذه المعركة عام ٧٤٥هـ/١٣٤٥م ، فأدرك السلطان تعاظم خطرهم ولاسيما بعدما ادعّى القاضي جلال السلطنة فقرر الخروج بنفسه الى كنباية في رمضان ٧٤٥هـ وبعث اعظم مُلك البايزيدي صهره مع الف فارس فهزموه ايضا ودخل السلطان مدينة بلوذره وحررها وجعل عليها شرف الملك حاكما ورحل طالبا القاضي جلال وعثر على عدد من اتباعه وقتلهم مثل : علي الحيدري ، ومن ثم ظفر بالقاضي جلال والتقيا قرب ديوجير وتحصنوا في قلعتها ولم تعرف لهم نهاية(١٩٣) .

١٤) **الثورة الاخيرة** في مالوى **Malwa** إذ تمردت مجموعة من اللصوص وقطاع الطرق بسبب الوضع الاقتصادي المتردّي ،فخرج السلطان لقمعها وطارد المتمردين عند مصب نهر السند وتوفي اثناء ذلك في قرية تهته (تاغي **Taghi**) في ٢١ محرم عام ٧٥١ هـ/١٣٥١م ولم يكن له وريث للسلطنة فعهد قبل وفاته لابن عمّه فيروز تغلق شاه (٧٥١- ٧٩٠هـ / ١٣٥١- ١٣٨٨م) ونعمت الهند بعهده بنوع من الاستقرار السياسي خاصة بعد ان نقل العاصمة من دلهي الى كولبركه واعاد تنظيم السلطة القضائيه ووثّق صلاته بالخلافة العباسية في القاهرة . وبعد وفاته بدأ الانزياح التيموري نحو الهند (١٩٤) .

ومن الضروري الاشارة الى أن الثورتين الاخيرتين قد وقعتا بعد رحيل ابن بطوطة من الهند ولكنه قد سمع بهما من عدد من العامة والشيوخ من المسافرين مما يدل على تداول أخبار الوضع السياسي الهندي لدى مناطق الجنوب .

ان الاشارات السابقة تدل على مدى قسوة السلطان محمد تغلق في التنكيل بخصومه ومعارضية ،كما تدل على تنوّع وتعدد طرائق التعذيب والقتل التي استخدمها ضد المجرمين والخارجين عن القانون ،فكان يرهبهم بسلخ الجلد وقطع الرأس أو التوسيط بالسيف وأستعمال الفيلة بالفتك بأهل الجرائم والتي اكدها الادريسي ، والدفن بالمقابر الجماعية فضلا عن طرائق اخرى اشد تنكيلا (كطبخ) المعارضين والسرّاق بقدر كبير مملوء بالماء الحار ومن ثم الطواف بهم في البلدان بقصد التشهير(١٩٥) .

---

(١٩٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ص . ٢٢١

(١٩٤) الساداتي : المرجع السابق ،ص ١٨١؛ Moreland ,W. : op.cit .p., 174 .

(١٩٥) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ٢١٠،٢١٦،١٥٥ .

لقد كان محمد تغلق واحدا من اولئك الحكام الاقوياء المحبين للسيطرة والاستعلاء او ما يسمّى بـ(الغريزة الرئاسية) . قمعَ أغلب تلك الثورات الداخلية بقسوة شديدة ضد المتطلعين للسلطنة والمتامرين عليه ، وحاول صياغة سلطنة ومجتمع يكون انموذجاً للحكم الوراثي (١٩٦) وعلى الرغم من قسوته الا ان قسماً من المؤرخين يعدونه من اقوى واعدل الشخصيّات في خط سير الاسر التركية التي حكمت الهند في العصور الوسطى ، نجح بوصفه جنديا وضابطا وربما حاكما ، احيانا كان يفهم بعمق امور السياسة ولكنه ومن ضمن النقاط التي تحسب عليه عدم تمكنه تحقيق الامن لسلطنته وشعبه ، فضلا عن مزاجه الوحشي وقسوته التي طالت حتّى اقاربه ، وكذلك سوء تخطيطه وكثرة معارضيه ادّت به الى السقوط في حين يثني البعض على اهتمامه بأقامة شعائر الدين وتمسكّه بمذهب اهل السنّة واتّخاذه موقف ايجابي جاد مع الاديان الاخرى(١٩٧) حيث اخذ بتقريب المخلصين من العلماء املا في الحصول على الامن والاستقرار . ويبدو انه شخصية متزنة وليس كما اتّهمه البعض بالمرض او الجنون و السلوك المزاجي المتقلب والمزدوج(١٩٨) لانه لم ينحاز او يتطرّف ضدّ جانب معيّن بل شعر ان لديه عدالة في القسوة على المتطرفين ولم يعاقب احدا او يعذّبه دون جناية . وربّما فكّر بالحفاظ على الامن القومي الهندي وحاول فتح اكبر المناطق وضمّها الى السلطنة فاعتمد اسلوب القسوة في البلاد .

---

(196) Gibb ,H : “Review of Husain’ s Rise& Fall Mohammed Tughlugh in Delhi“ , p., 533.

(١٩٧) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص ٧٥ ؛ الساداتي ،المرجع السابق ،ج١،ص ١٧ ؛ Mujeeb ,M. : op.cit. p., 75 .

(١٩٨) شلبي : المرجع السابق ، ج٨، ص ٢٥٥

المبحث الثالث

العلاقات الخارجية للهند

ا) العلاقات الحربية :- **من اهم المواقف الايجابيه التي تسجل لصالح السلطان محمد تغلق هو محاولته تأخير** هجمات المغول **نحو الهند ذلك ان طرمشيرين بن داوود خان** Turumshereen (٧٢٤-٧٣٤هـ/ ١٣٢٤-١٣٣٤م)(١٩٩)، **اقتحم الهند عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م على رأس جيش كبير بنيّة فتحها فاستولى على الملتان عند الحدود الشمالية الغربيه واخذ طريقه بأتجاه دلهي، وبدا محمد تغلق وكأنه غير مستعد لتلك المواجهة إذ كان ينوي القيام بمشاريع اصلاحيه وكان يقيم في عاصمته الجديدة ديوجير فتركها وسارع الى استمالة طرمشيرين وارسل له قدراً كبيرا من الهدايا والاموال وتملّق له حتى ارتضى اخيرا**

---

(١٩٩) هو احد قادة المغول المشهورين وذائعي الصيت ، عرف بعدله وشجاعته خاصةً بعد أن أقتنع بالاسلام ودخل فيه ، وهو من قبيلة الاولوس الجغطائيين .ينظر : ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣،ص ٢٧ ؛ الساداتي :المرجع السابق ،ج ١ص ١٧٤؛ زامباور : المرجع السابق،ج٢، ص ٣٧٠.

بالعدول عن دخول مدينة دلهي فانسحب جنوباً عبر السند فوصل الكجرات وخرّبها ونهبها[٢٠٠].

وبعد ذلك ارسل السلطان محمد تغلق حملة باتجاه هضبة الهملايا العليا قاصدا من ورائها ضم الصين **وذلك بين عامي ٧٣٠-٧٣٣هـ/١٣٣٠-١٣٣٣م وقد اشار عدد من المؤرخين الى ان تلك الحملة استهدفت الصين طمعا بكنوزها في حين ان الغرض منها كان نشر الاسلام في مناطق واسعة من التبت** [٢٠١] **غير ان تلك الحملة لم تكن احسن حالا من سابقتها فالجيش الذي جمع بُدّد ودهمتهُ الثلوج وقضي على اغلب افراده .**

ومن الغريب عدم ذكر ابن بطوطة **لمحاولة السلطان محمد تغلق ضم خراسان** والتي قصد منها التوسع وايجاد حدود دفاعيه للهند فيما وراء جبال سليمان وارضاءاً لطموحاته الكبيرة واللامحدوده . وقد جمع جيشا قدّر بثلاثمائة وسبعين الف جندي وبدأ بتجهيزهم بالعدة وانفق عليهم من بيت المال لمدة عام وذلك بتشجيع من الخلافة العباسيه في القاهرة ولكنه سرّحهم عندما عدلت الخلافة عن ذلك بمحالفة السلطان ابي سعيد ميرزا صاحب أقليم ما وراء النهر واطلاق يده في بلاد فارس . وعلى اية حال فأن مشروعهُ فشل لعدم امتلاكه الاموال اللازمة للانفاق على الحملة بسبب حالات القحط والجوع التي انتابت الهند [٢٠٢]. وصف المستشرق هنري يول **H.Yule** وغيره حملات تغلق وحروبه الخارجيه على انها غير معقولة وكانت في اغلب الاحوال كارثيه جلبت له ولشعبه المزيد من التعاسة والمزيد من التذمر ،وعموما فانها كانت خططا دفاعية لدرء الخطر المغولي [٢٠٣].

ب) العلاقات السلمية : **هكذا نجد أنّ بعض العلاقات الخارجية للهند في القرن الثامن للهجرة اتسمت بالايجابية مع عدد من الدول والبلدان وبالتنازع والحروب مع بلدان أخرى ولعل أبرز العلاقات الجيدة التي امتلكتها الدولة الاسلامية في الهند في تلك المدة :-**

١) العلاقة مع الخلافة العباسية

انتقلت الخلافة العباسية شكليّاً بعد سقوطها في بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م الى القاهرة واخذ الامراء والسلاطين في مختلف انحاء العالم الاسلامي يسعون الى ود الخلافة من اجل الحصول على التفويض الشرعي لحكمهم على الدول والاقاليم .

---

(٢٠٠) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ١٩٣ ؛الساداتي : المرجع السابق ،ج١،ص١٧٤ ؛ Moreland ,W. : Op.Cit,P., 169.

(٢٠١) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤ ، ص٧ ؛ الساداتي : المرجع السابق ، ج١، ص ١٧٧ .

(٢٠٢) حقي : المرجع السابق،ص ١٠٣؛ YULE ,H.: OP.CIT,VOL. 4, P.,11.

(203)Mujeeb ,M. : Op.Cit ,P., 47 ؛ Yule,H.: Op.Cit ,P., 12.

وكان هذا التقليد يسمى بـ(الخلعه ، اوالعهد اوالبيعة اوالتفويض) وكان من شروط التقليد ان يتّسم حكم السلطان في دار الاسلام على منطقته او اقليمه بموافقة الخليفة وبيعة الناس و يدين بالولاء للخلافة عن طريق ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة والمناسبات الرسميه وبالمقابل ينال هذا الحاكم مباركة ودعم الخلافة في أي تحرك خارجي أو امني ينوي القيام بهِ فضلا عن نيلهِ ثقة الناس . واحيانا كان السلطان يجلس على العرش افتراضيّا الى حين وصول التفويض اليه(٢٠٤) .

وبما ان الهند كانت تقع ضمن دار الاسلام في العصور الوسطى (٢٠٥) فقد اقام السلطان محمد تغلق علاقات سياسية مع العالم الاسلامي بعامةً ومع الخلافة العباسيه في مصر ايام حكم المماليك بخاصة ، اذ كانت تحت حكم السلطان محمد بن قلاوون (٧٠١-٧٤١هـ /١٣٠١-١٣٤١) (٢٠٦) بعد ان شرع في استقصاء اخبار بني العباس من الرحالة ابن بطوطة وغيره (٢٠٧) ، كما كان قد استضاف احد احفاد الخليفة العباسي غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي في عام ٧٤٠هـ/١٣٤١م واقطعه خراج قرية سيرى واظهر له كامل الاحترام والتقدير ، وقد تحدث ابن بطوطة عن لقائه معة وذكر جانبا من سيرته (٢٠٨) وإنْ كانت تلك الزيارة لم تكن ذات مغزى سياسي الا انها حملت علاقات ودّية وأخوية مما قرّب العلاقة بين الهند والخلافة العباسية .

ففي عام ٧٤٤هـ/١٣٤٤م (٢٠٩) ارسل السلطان محمد تغلق بعثة برئاسة احد وزرائه وهو رجب البرقعي الى الخليفة العباسي أبي العباس الحاكم بامر الله احمد بن المستكفي (٧٤١-٧٥٣هـ/١٣٤٠-١٣٥٢م) طالبا الحصول على الخلعة السلطانية ،فوصلت البعثة الى مصر متضمنة هدايا نفيسة وثمينة الى السلطان الناصر والخليفة الحاكم بامر الله وقد وصف ذلك المؤرخ الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) (٢١٠) .

---

(204)Mujeeb ,M. : Ibid.p., 28 .

(205)Dunn ,R. : Op.,Cit ،. p,.3 .

(٢٠٦) هو السلطان الثالث من سلاطين المماليك البحرية التي حكمت مصر (٦٤٨- ٧٨٤هـ/١٢٤٨-١٣٨٧م) وكان سلطاناَجليلا كفوءا ذا دهاء ،ومحبا للعدل والعماره ، حكم على ثلاث فترات متقطعة .ينظر : المقريزي : الخطط،ج٢، ص١٧٥.

(٢٠٧) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ،دار الفكر ،(القاهرة – ١٩٤٧) ص ٩٧.

(٢٠٨) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ص ١٨٩.

(٢٠٩) في المصادر المعاصرة لأبن بطوطة أن تاريخ هذه السفاره ٧٤٠هـ/١٣٤٠م .ينظر: العمري : التعريف ، ص ٤٩.

(٢١٠) "ورد كتابه الى صاحب مصر في مقلمة من ذهب زنتها الف مثقال مرصّعة بجواهر .... وجهّز اليه مركبا أُملي بالتفاصيل الهندية الفاخرة الفائقة واربعة عشر حقّا ملئت من فصوص الماس وغير ذلك "؛ ومن الجدير

وقد ادرك الخليفة مدى اهمية ارتباط محمد تغلق بالخلافة ولاسيما انه قد سمع بنّيته في اظهار الدعوة العباسية في الهند[٢١١] فأرسل اليه خلعةً وتفويضاً وهديةً لم تذكر المصادر نوعيتها بيد سفير الخلافه حاجي سعيد صرصري وقد بالغ محمد تغلق في اظهار احترامه وفرحه العميقين حينما وصله ذلك التفويض فخرج مع عدد من وزرائه واتباعه واستقبل البعثة بمزيد من الحفاوة ، وكان ذلك الموقف مؤثرا حرّك مشاعر المسلمين الهنود تجاه الاسلام والخلافة العباسية [٢١٢].

ومن الجدير بالذكر ان السلطان محمد تغلق كان اول السلاطين (من التغلقيين) الذين بادروا في خطب ود الخلافة العباسية والحصول على تفويضها حيث جاء بعده ابن عمه السلطان فيروز تغلق شاه (٧٥٢-٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨م) الذي نال اعجاب الخلافة بفتوحاته في اقاليم ما وراء النهر فأكتسب الصفة الشرعية لحكمه من الخليفة المعتضد بالله (٧٥٣-٧٦٣هـ/ ١٣٥٢-١٣٦٢م) الذي اجابه على طلبه وارسل اليه خلعة مماثلة للتي أُرسِلت الى محمد تغلق [٢١٣] ولكنهما لم يكونا اوّل من جددّا اواصر العلاقة من الخلافة العباسية حيث سبقهما السلطان شمس الدين التمش من المماليك عام ٦١٦هـ /١٢١٩م [٢١٤].

ولم يفت ابن بطوطة ذكر **السكّة** (نقش اسم الخليفة) على نقود البلاد والتي كانت احدى اهم مظاهر التبعية فضلا عن ذكر اسمه بخطبة الجمعة والمناسبات كشيء من تأكيد الولاء والطاعة . فعندما وصلت الخلعة الى محمد تغلق امر فورا بنقش اسم الخليفة العباسي على السكة الرسميه للبلاد مصحوبا بدعاء " **اطال الله بقاء الخليفة** " [٢١٥] و"خادم الله والمتمني رحمته،معين اهل السنة من قبل اخر الانبياء " وكانت سابقا تسك باسم السلطان غياث الدين تغلق ، ثم بأسم محمد تغلق نفسه ثم ازال اسمه ووضع اسم الخليفة بدلا منه[٢١٦] .ومن الجدير

بالذكر ان تلك البعثة تعرضت للسطو من قبل عدد من القراصنة قرب عدن وتمكن حاكم اليمن الرسولي من قتلهم والظفر بالهدية ومن ثم ايصالها الى الناصر محمد .ينظر : العمري : التعريف، ص ٤٩ ؛ محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة (بيروت –لات) ،ج٢ ص١٨١.

(٢١١) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ص١٧٢.

(٢١٢) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٨؛ J.L.Nehru:Discovery of India(London–1956),p.,346.

(213)Moreland ,W.: Op.cit ,p., 310 .

(٢١٤) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ١٢١ .

(215) Holt,P.M.&Others: Op.Cit. Vol .2 , P., 240 .

(٢١٦) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ٢٠٠ ؛ شلبي : المرجع السابق ، ج٨ ، ص ٨٨ نقلا عن ضياء الدين البراني : المصدر السابق ، ص ٤٩٢.

بالذكر ان السلطان قطب الدين ايبك اول سلاطين اسرة المماليك في الهندكان اول من نقش اسم الخليفة على سكة بلادة وكان عليها : " **الامام الاعظم نائب الله وخليفته في ارضه** "(٢١٧).

ولابد من القول هنا أن السكّة كانت معروفة باستقلاليتها عن المركز في عدد من الاقاليم ولاسيما في المعبر مثلا حيث كانت تسك بأسم السلطان جلال الدين احسن شاه بنقش "**بتأييد الرحمن أحسن شاه السلطان** " (٢١٨) .

٢) العلاقة مع البلدان المجاورة وعدد من بلدان المشرق الاسلامي

كانت للهند علاقة بالجارة الصين في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد اتسمت بالتذبذب والعداء تارةً ثم بالودّ والتصالح تارةً اخرى ، ففي عهد حكم اسرة **يوان شي Yuan Shi** (٦٧٥-٧٦٦هـ/ ١٢٧٧-١٣٦٧م) مرّ بنا ما قام بهِ محمد تغلق من ارسال بعثة عسكرية لفتح الصين الامر الذي يشير الى طموح سلطان الهند في توسيع نطاق حكمه لضم مملكة الصين الكبيرة ، ولابد من القول أنّ تلك الحملة ايضا ادت الى جعل آخر ألاباطرة الصينيين من سلالة المغول والذي لم يذكر أسمه أبن بطوطة ولكن المصادر المعاصرة الاخرى أسمته بالامبراطور هيون تي **Shun-Ti** (٧٣٤-٧٦٩هـ/ ١٣٣٣-١٣٦٨م) يخطب ودّ سلطان الهند ويجري عدة مراسلات معه ومنها تلك التي جرت في عام (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م) عندما أرسل الامبراطور المذكور سفارةً مكونةً من خمسة عشر رجلا محملين بالهدايا والبضائع الصينيه وكان طلبهم هو خطب ود السلطان والاستئذان منهُ بالسماح ببناء معبد للبوذيين الصينيين في ارض تابعة للمسلمين في منطقة سمهل **Samhul** عند جبل قراجيل الحدودي التي يسيطر عليها الجيش الهندي ،لكي يحج اليه اهل الصين (٢١٩) فجاء رد السلطان محمد تغلق ان : " **لايباح بناء كنيسة{معبد} بأرض المسلمين الا لمن يعطي الجزية فان رضيت بأعطائها ابحنا لك بناءه والسلام على من اتبع الهدى** " (٢٢٠) .

تعد رحلة ابن بطوطة مصدرا مهما لايراد معلومات مباشرة عن تلك السفارة حيث كان ابن بطوطة نفسه مكلفا رسميا من سلطان الهند للرد على تلك السفارة (٢٢١) كما يعدها البعض أسهاماَ جديداَ في كتابة التاريخ الدولي للأسلام وعلاقته بالديانات والعقائد المجاورة إذ نرى المكاتبات

---

(217)Mujeeb ,M.: Op.cit ,p.,33 .

(٢١٨) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٥.

(٢١٩) بدرالدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، (القاهرة –١٩٥٠)،ص ٢٠٦-٢٠٧؛ Yule,H.: Op.,Cit., Vol 4 , p., 142 .

(٢٢٠) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤ ص ٧ .

(٢٢١) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤ ص ٧ ؛ Yule ,H .:Op.Cit, p., 20

والمراسلات بين سلاطين الاسلام وعدد من ملوك (البوذية) حول موضوع يتعلّق بحرية ممارسة ألشعائر ألدينية (٢٢٢) . صحيح ان ابن بطوطة لم يكن رجل سياسة محنكا ، ولكن الصحيح ايضا انه لم يكن بعيدا عن الاطار السياسي الرسمي للدولة فقد تولّى القضاء لثمان سنوات وكان قريبا من النظم الرسمية المعمول بها في الهند لما كان يجتمع في القضاء من نواحٍ فقهية وسياسية أيضاً (٢٢٣).

ولم يكن امام ابن بطوطة سوى الموافقة على هذا التكريم من السلطان بسبب خوفه من السلطان اولا والناتج عن امتعاضه مما قام به في الفترة الاخيرة من التطاول على عدد من الشيوخ ، وبامكاننا اضافة سبب اخر حول موافقة ابن بطوطة على ترأس السفاره وهو رغبته في الخروج من نطاق الهند وزيارة مناطق اخرى وحبّهُ للاسفار والتنقل من اجل مواصلة خط سيره ،كل ذلك جعل محمد تغلق يختار انسب رجل لتلك المهمه . فضلا عن رغبة السلطان في تطيّب خاطر ابن بطوطة والافادة فعلاً من قدراته الدينية وحبه للسفر وإصراره على ترك الهند بدليل انه أي ابن بطوطة طلب بادىء الامر أن يرحل الى الحجاز لأداء فريضة الحج ،ولكنه وافق على طلب السلطان مما يعزز فكرة الذهاب الى الصين سفيراً وداعياً ،على عكس ما اشيع لدى عدد من الباحثين من أنّ ابعاد ابن بطوطة عن منصبة بمعنى معاقبته بارحم وابسط مايمكن بعدما تردد عنه انه كان يتقرب من عدد من الشيوخ المعارضين لسياسة السلطان محمد تغلق (٢٢٤) ، ظهر ذلك من خلال استقراء عدد من النصوص مدى تأثّر ابن بطوطة بهذا الامر مما ادى الى موافقته بسرعة على السفارة ، لا بل ذهب أحد المؤرخين الهنود الى القول أن ابن بطوطة فرح كثيراً بهذه السفارة أملا في رؤية غرائب وعجائب أخرى وزيارة بقية ألاقاليم الهندية (٢٢٥).

ثم عيّن السلطان محمد تغلق للذهاب بمعّية ابن بطوطة الى الصين كل من الامير ظهير الدين الزنجاني من اهل زنجان وكان كبير المنزلة عند السلطان بوصفه من (الغرباء) الاعزة ومن الطريف أنه كان من أوائل الذين أستقبلوا أبن بطوطة عن قدومه الى الهند ، وكذلك الملك كافور(؟) ورئيس الشرطة محمد الهروي الكتوال وقرابة مائة خادم فضلا عن سفراء البعثة الصينيه وعددهم على حسب ابن بطوطة خمسة عشر شخصا (٢٢٦) برئاسة سفير بلاط يوان

---

(٢٢٢) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص٧ هامش رقم (١) .

(٢٢٣) يوسف زيدان : الرحلة السفارية ، ابن بطوطة وخير الدين التونسي انموذجا ، بحث منشور على شبكة الانترنيت ، موقع يوسف زيدان للتراث –٢٠٠١ .http://www.ziedan.com/research/18.asp

(٢٢٤) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ٣ص ٤٧، ٢٤٩ .

(225) Sastri ,N.: Op.,Cit.,p., 44.

(٢٢٦) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ص٧ ؛ Dunn ,R.: op.cit p260.

ألمسمى(تورسي **Turasi**) فضلا عن الف فارس لحماية البعثة والهدايا الثمينة المرسلة من سلطان الهند الى أمبراطور الصين والمكوّنة من السيوف والاقمشة والعبيد.. [٢٢٧] .

انطلقت البعثة في يوم السابع عشر من صفر عام ٧٤٢هـ الموافق للثاني والعشرين من مايس ١٣٤١م بطريق الدو آب (النهرين جمنا والكنج) شرقاً بأتجاه البحر ، مرورا بمدينة قنوج ومدينة عليكره **Aligharh** التي تبعد ثمانين ميلا عن دلهي ، واثناء سير الوفد في احد الطرق الصحراوية تعرضوا لعملية قرصنة وهجوم من قبل مجموعة من المتمردين من (غير المسلمين) قدرهم ابن بطوطة بأربعة الاف شخص ودارت بينهما رحى معركة عنيفة ادت الى مقتل كثير في صفوف الغازين واستشهاد ثمانية وسبعين شخصا من جماعة ابن بطوطة بضمنهم الملك كافور ولما وصل الخبر الى السلطان ارسل بدلا عنه سنبل الجامدار وامرهم بمواصلة السير [٢٢٨].

واذا كانت الرحلة هي المصدر الاقدم لتاريخ تلك السفارة فانها لم تذكر نصا عن رد فعل أمبراطور الصين عليها ان كان ايجابيا ام عكس ذلك ويبدو أنّ إمبراطور الصين كان قد رضخ لجواب السلطان محمد تغلق وذلك لعدم رجوع ابن بطوطة الى الهند مما يعني انه لم يكن مكلفاً برد خبر مهم الى سلطانها [٢٢٩].

كما تمتعت الهند بعلاقات حسن الجوار مع عدد من المناطق المجاورة لها من جهة الشمال والغرب ولاسيما اقاليم ما وراء النهر التي كانت تحت حكم طرمشيرين خان المغولي الذي اعتنق الاسلام ويبدو انه عقد معاهدة سلام مع محمد تغلق حول تأخير اجتياح المغول للهند [٢٣٠] .

وفضلا عمّا تقدم من علاقة الهند بمصر بجهتي الخلافة وحكومة المماليك اقام السلطان محمد تغلق علاقات ود وصداقة مع دول متعددة اسلامية وغير اسلامية . ومن ضمن الدول التي كانت لها علاقة مباشرة مع الهند ودياً العراق وبلاد الشام.

اما العراق فقد كانت العلاقة جيدة ومستقرة بدليل وجود عدد كبير من التجار والعلماء في دلهي فضلا عن زيارات قام بها عدد من الامراء الى السلطان ، كما كانت علاقة الهند ببلاد

---

[٢٢٧] فصّل ابن بطوطة نوعيّات تلك الهدايا في ج ٤ ، ص٧ .

[٢٢٨] خلال تلك المواجهة اختطف ابن بطوطة لعدة ايام من قبل قطاع الطرق بضمنهم مسلمان ساعده احدهما على الفرار ومواصلة افراد البعثة : ينظر التفاصيل : ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٤ ص ١٢.

[٢٢٩] لابد من القول هنا أن تلك السفارة فشلت في الوصول الى الصين بسبب غرق السفن في المحيط الهندي ومقتل أغلب المرافقين وضياع الهدايا ، ولذلك خاف ابن بطوطة من العودة الى دلهي . ينظر: ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٨ ، ١٩٦ .

[٢٣٠] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٣٣ .

الشام ليست اقل منها اهميةً بدليل وفود الامير غدا سيف الدين بن مهنّى امير عرب الشام (عام ٧٣٣ هـ/١٣٣٣م) الى حضرة محمد تغلق الذي اكرمه وانزله في قصر كبير يسمى القصر الاحمر دلالة على محبّة سلطان الهند للعرب المسلمين من اجل مد جسور التواصل معهم بوصف انهم اهل الرسالة والقرآن ، ولم يكتف بذلك بل قام بمصاهرة الامير غدا وزوّجه باخته فاصبح الامير غدا منتميا رسميا للعائلة الحاكمة . ولكن ذلك لم يدم طويلا بسبب تعنت الامير واظهاره نوع من الكبرياء والتطاول على حرّاس السلطان مما ادى الى غضب السلطان عليه ومن ثمّ سجنه [٢٣١].

الفصل الثاني

(٢٣١) وقد أفرج عنه السلطان ومن ثم اراد نفيه لولا تدخل أبن بطوطة الذي طلب له العفو من السلطان . ينظر ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ١٨٠ ، ١٨١.

النظم الاقتصادية

المبحث الاول
الزراعة و الصناعة

المبحث الثاني
التجارة

انفردت رحلة أبن بطوطة في تقديم معلومات قيمة وجديدة عن الوضع الاقتصادي العام في الهند وما جاورها قد لانجدها في مصدر آخر معاصر له لِكون ابن بطوطة كان شاهد عيان أو احياناً عنصراً مشاركا في الاحداث ومن ثم كانت معلوماته مهمة وليست عابرة (٢٣٢).

وقد حفلت الرحلة بالحديث عن الجوانب الاقتصادية للهند كالزراعة والصناعة فضلا عن التجارة وكما ياتي :

المبحث الاول

الزراعة والصناعة

(٢٣٢) ذكر خصباك ان المعلومات التي جاءت في الرحلة عن هذا الجانب معلومات عابرة ، ينظر: خصباك : المرجع السابق ،ص ٢٢٥.

لاشك في ان ارض الهند ومناخها وسهولها العظيمة وانهارها المتعددة بضمن ذلك نهر الكنج Ganges ونهربراهمابوترا و Brahmaputra ونهر مهران Indus ، والتي حملت معها التربة الغرينية الغنية بالعناصر العضوية قد ساعدت على احتراف اغلب سكانها لمزاولة العمل الزراعي .

وينبغي الاشارة هنا الى ان المحاصيل الزراعية في الهند كما في أي بلد اخر تنقسم على قسمين : الاول هو النبات الطبيعي الذي ينمو دون تدّخل الانسان سوى جنيه والافادة منه في التجارة عن طريق بيعه او بيع اوراقه وثمره وسياتي ذكره عن الحديث عن الصادرات الهندية ، والثاني هو ما ينمو بطريق الفلاح الذي يقوم برمي البذور وحرث التربة ومن ثم بالسقي ومراقبة المنتوج .

ومن خلال تتبعنا لعناية المؤرخين والجغرافيين والرحالة الذين زاروا الهند والمناطق المجاورة لها قبل القرن ٨هـ/١٤م وجدنا انهم ركزوا على طبيعة حياة الانسان الهندي دون التركيز على ما يحيطه من عنايات اخرى تتعلق بحياته اليومية وأحتياجاته [٢٣٣].

ويظهر ان ابن بطوطة كان رحالة استثنائيا عني عناية خاصة بالجانب الزراعي في الهند حيث افرد العديد من الصفحات في رحلته بالحديث المتواصل عن اهمية الزراعة في الاقتصاد الهندي وتغطية الحالة المعاشية لاغلبية السكان ، حيث شرع ابن بطوطة في تقديم معلومات عن النبات والمزروعات واهم المحاصيل في الهند وعلى الشكل الاتي :

١) النبق : الذي هو ثمر السدرة الشائكة والمعروفة بقصرها وتشبه حبة العفص بالحجم وتكون شديدة الحلاوة ،وتكثر في مدينة ابوهر قرب الملتان .[٢٣٤]

٢)العنبه : وتعرف كذلك بالمانكو **Manco** وهي شجرة تشبه اشجار النارنج اوراقها كثيره وثمرها كبير يُصّير كما يصير الخل وينضج في الخريف وعلامة نضجها اصفرار ثمرتها ، فيها حلاوة ممزوجة بحموضة كالتفاح والليمون [٢٣٥].

([٢٣٣])ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛ ينظر الخارطة رقم (٣) ،ص١٦٧ توزيع الانشطة الاقتصادية في الهند من خلال رحلة ابن بطوطة.

([٢٣٤]) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص٩٤.

([٢٣٥])ابن بطوطة :المصدر نفسه،ج٣،ص ٩٤؛ النعيمي:المرجع السابق،ص ٤٧ ؛ Serjeant,R: Review Of Gibbs “ Traveles of Ibn Battuta “ B.S.O.A.S , 1972, Vol. 3, P., 629

٣) الشكّي والبركي : وهي اشجار عادية اوراقها كاوراق الجوز وثمرتها تشبه القرع .والجزء المتّصل بالارض يكون اشدّ حلاوة واطيب وهو البركي والجزء الاعلى منه هو الشكي وهو نبات خريفي ومن اهم فاكهة الهند [٢٣٦].

٤) التندو : وهو ثمر شجرة الابنوس ،حباته شديدة الحلاوة تشبه حبات المشمش ولونها ،وكذلك الجمون وهو نبات اسود اللون وشجرته تشبه شجرة الزيتون .ويكثر في جزائر ذيبة المهل وجاوة [٢٣٧].

٥) النارنج الحلو والحامض : وهو كثير في اغلب المدن الهنديه ولكن النارنج الحامض وهو الليمون قليل فيها ويكثر في جاوة ويضيف ابن بطوطة صنفا ثالثا بين الحلو والحامض وهو طيب الطعم[٢٣٨].

٦) المهوا (العنب): شجرة عاديه كشجرة الجوز ويسمونها بالانكور وهو يثمر مرتين بالسنة ويكثر في مدينتي دولة اباد ودلهي ويقل في باقي المناطق [٢٣٩] ، وذكر ايضاً الرمان ويثمر مرتين بالسنه ويوجد في معظم بلاد الهند وذيبة المهل ويسمونه بـ(كُلْ أنار)أي زهرة الرمان . ومن الفاكهة ايضاً كسيرا وهي تكون شديدة الحلاوة [٢٤٠].

٧) الشاماخ : حبوب صغيرة يزرعها الفقراء واهل الورع طيلة ايام السنة وبعد حصده يجمع ويوضع في الشمس ويدق في مهاريس الخشب فيطير قشره ويبقى لبّه الابيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس ومن ثم تصبح جاهزة للأكل . ومن الحبوب ايضاً (الكذرو) وهو نوع من الدخن وهو اكثر الحبوب توفرا في الهند ، وكذلك حبوب المنج هو نوع من الماش أي الفاصولياء الا ان حبوبه مستطيلة ولونه اخضر ويؤكل مع الارز والسمن ويسمى عند ذلك (كُشَرِيْ) ، والنوع الاخر هو اللوبيا وهي لفظة فارسية تعني الفاصوليا الصغيرة وهي نوع من الفول ، ثم حبوب (المُوت **Moot**) وهي الحبوب التي تستخدم كعلف للحيوانات[٢٤١] .

٨) حبوب القمح والشعير والحمّص والعدس : على الرغم من اشتهار الهند بوفرة زراعة الشعير واعتمادها عليه إلا ان ابن بطوطة لم يفصّل طرق زراعته ، وهو من المحاصيل الربيعية [٢٤٢].

---

(٢٣٦) ابن بطوطة : المصدرنفسه والجزء والصفحة ؛ Ahmad , M. : Op.,Cit.,P., 34 .

(٢٣٧) ابن بطوطة : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٢٣٨) ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ج٤، ص١١٤.

(٢٣٩) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٩٥؛ النعيمي : المرجع السابق،ص ٣٠.

(٢٤٠) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٩٥.

(٢٤١) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص ٩٦.

(٢٤٢) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣،ص ٩٦.

٩) الارز (أي الرز) : ويزرع ثلاث مرات بالسنة ويحتاج الى مياه كثيرة وهو متوافر في بلاد الهند ولاسيما مدينة جرباتن ويتصدّر المحاصيل المزروعة في اغلب الاقاليم لوفرة انتاجه خاصة وهو يشكّل العنصر الغذائي الرئيس للسكان ،ونتيجة لكثافة السكان في الاراضي الزراعيه فقد استخدم المزارعون السفوح الجبلية لتحويلها الى مدرجات بالارز كما في سفوح جبال سيلان. لذا ظهر نوعان من الارز :ارز السهول ،وارز المرتفعات الذي يحتاج الى رطوبة اقل من الاول (٢٤٣).

ويؤكد الرحالة الايطالي دي كونتي **De Conti** (٢٤٤) ما تحدث به ابن بطوطة عن الزراعة في سفوح الجبال والتي كانت معروفة في عدد من مناطق الهند وجزر الهند الشرقية ويورد مثالا عن زراعة القمح والفواكه والتوابل في سفوح جبل سيلان والتي يبدو انها كانت تعتمد على مياه الامطار في سقيها .

١٠) قصب السكّر : يزرع بكثرة مع المحاصيل الخريفية ويكثر في فاكنور (٢٤٥).

١١) البطيخ الاخضر والاصفر : ويكثر في ذيبة المهل كما ان دلهي تنتج القليل منه، ثم الموز ويكثر في اغلب مدن الهند وجزائر ذيبة المهل وجاوه و صاغر **Songarah** ومنجرور (٢٤٦).

١٢) النارجيل : ويكثر في عدد من بلاد الهند وذيبة المهل وجاوة وتثمر شجرته أني عشر عذقا في السنة يخرج في كل شهر عذق ويكون بعضها صغيرا وبعضها كبيرا وبعضها يابسا واخضر وهكذا لاينقطع ثمرها ابدا ،واهل تلك المناطق يستخرجون منها الليف والزيوت والعسل(٢٤٧) .

١٣) القلقاس : وهو نبات يشبه ثمرة الخيار ومنه صغار كالاصبع يضرب الى حمرة خفيفة بقشر ثم يشقق وهو كثيف مكتنز يشبه الموز الاخضر فيه قبض يسير مع حراقة قويه يستخدم بوصفه مقويا للمعدة ، كما وتستخدم اوراقه كخضرة للطعام . ويكثر في جزائر ذيبة المهل (٢٤٨).

---

(٢٤٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص ٩٧؛ الجنابي :المرجع السابق ، ص ٧٤.

(٢٤٤) نيكولو دي كونت رحالة أيطالي من القرن ١٥م وهو صديق الرحالة طافور ، زار هندوستان وفارس وسيلان وسومطره وجاوه ثم الصين بين عامي (١٤٢٠-١٤٤٤م) ثم عاد الى مدينته فينيسيا وطلب اليه البابا ان يلقي اسفاره على سكرتيره الخاص ويدون رحلته التي كتبت اول مرة باللغة اللاتينيه وترجمتها جمعية Hakluyt التاريخية عام ١٨٥٧م .ينظر : بيرو طافور : رحلة طافور في عالم القرن ١٥م، تحقيق:حسن حبشي ،دار المعارف(القاهرة – ١٩٦٨) ،هامش ١، ص٨٣ ؛

Sastri ,N . :Op.Cit,p., 89.

(٢٤٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤، ص ٩٧، ٣٩.

(٢٤٦)عبد اللطيف البغدادي : الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر ،تحقيق:على محسن مال الله ، دار الحكمة (بغداد-١٩٨٧)ص ٨٥ ؛ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣،ص ١١٣.

(٢٤٧) ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ج٤،ص١١٤؛ الشرقاوي : المرجع السابق ، ص ٣٠٩.

١٥) مزروعات اخرى كالسمسم الذي يزرع في مدينة نذربار ويستخدمون زيته لغسل الشعر والجسم حيث يضفي لمعة ونعومة ويسمونه السيراج ، والخيزران في جزيرة سيلان ، ونبات اسمه انلي ؟ في اقليم السويد في ذيبة المهل فضلا عن الازاهير كالياسمين وزهرة (كُلْ شبّه) وهي زهر اصفر و(زهرة الريبول البيضاء) وزهرة النسرين والتنبول الذي تحمل اوراقه من مدينه ظهار في المالوه الى دلهي .(٢٤٩)

ومن الجدير بالملاحظة ان المزروعات الخريفية تحصد بعد مرور ستين يوما من زراعتها ثم يبادرون بزراعة المحاصيل الربيعية التي تزرع في التربه نفسها التي كانت تزرع فيها المحاصيل الخريفية . هذا وقد ساعدت عوامل عدة على امكانية زراعة عدد من المحاصيل لثلاثة مواسم في السنة واهمها : ان التربه المنتشرة هناك في السهول الفيضيه الرسوبيه التي كونتها انهار السند والجانج تعد من الترب المتحركة المميزة بتجدد خصوبتها وغناها بالعناصر العضويه والمعدنية اللازمة لنمو المحاصيل الزراعية المختلفة فوصفها ابن بطوطة بانها "**تربة طيبه** " (٢٥٠) وعلى الرغم من كل ذلك فهو يستغرب من عدم وجود ثمرة التين هناك .

وليس من الغريب ان ارضا واسعة كارض الهند مختلفة في تربتها واجوائها يمكن ان نجد فيها انواعا من النباتات والمزروعات والفواكه ما قد لايوجد في غيرها (٢٥١) ، وكانت المحاصيل التي تحصد وتقطف من الاشجار توضع في بيوت صغيرة من القش في الحقل لخزنها (٢٥٢).

كما تحدث ابن بطوطة عن طرق الري والسقي إذ ان المناطق الزراعية القريبة من النهر كانت تسقى سيحا بشق قنوات مائية اليها ونستشف من حديثه عن النواعير الموجودة في مدينة صاغر ان هناك وسائل مألوفة عرفتها الهند في سقي المزروعات فاذا كانت الاراضي الزراعية قريبة من النهر استخدمت تلك النواعير في رفع المياه عبر الجداول والقنوات لايصال الماء اليها كما في عدد من المناطق الاخرى كمادورا وفيجايانكير والبنجاب ، اما المناطق البعيدة عن الانهار والعيون فكانت من الطبيعي ان تعتمد بالدرجة الاولى على مياه الامطار كالمناطق الزراعية في البنغال وشيتاكونك وساتجاون(٢٥٣) .

---

(٢٤٨) البغدادي :المصدر السابق ، ص ٨١ ؛ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص٧٥، ج٤،١١٤.

(٢٤٩) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص ٢٢؛ الطحطوح : سيلان ...، ص ٢٤.

(٢٥٠) خصباك : المرجع السابق ،ص ٢٢٤؛ الشرقاوي: المرجع السابق ،ص ٢٤٦؛ الجنابي :المرجع السابق ،ص ٢٤.

(٢٥١) وقد اكدت بعض المراجع الحديثة ذلك بقولها ان الهند تحتوي على اكثر من خمسة عشر الف نوع من النباتات المزهرة وهي بذلك تشكل نسبة كبيرة من الانتاج العالمي ،ينظر النمر : المرجع السابق ،ص ٢٣ .

(٢٥٢) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤ ، ص ١٣.

(٢٥٣) ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ج٤،ص ٢٧،

وقد اعطى ابن بطوطة صورة واضحة عن الحياة الزراعيه النشطة عندما مرّ في قرية سيلهات ومنطقة سونارجيون في الطريق الى البنغال مما يدل على معرفة الهنود باوقات الفيضانات ونزول الامطار كي يتجنّبوا الدمار الحاصل جرّاءها [٢٥٤].

وهذا الاقليم يعد من اكثر اقاليم الهند تعرضاً لحدوث تغييرات حادة طيلة الفصل المطير وكمية الامطار الساقطة من موسم لآخر ، وبالعكس فاذا انقطع الغيث وتناقصت كمية الامطار سبب ذلك تناقصاً في انتاج المحاصيل الزراعية وتمرد الفلاحين وفوضى في البلاد[٢٥٥] .

وتكون الامطار في بعض مناطق البنجاب وسيلان موسمية (المناخ الموسمي) غزيرة في الشهور الاخيرة من السنه بشكل زخات تقرب كميتها من اربعين الى ثمانين بوصة وذلك لمرور الرياح الشماليه فوق المسطحات المائية . وفي بعض مناطق ألجنوب ألهندي والبنغال (الاقليم الاستوائي) تكون الامطار على طول ايام السنه وتقرب من خمسين ومائة بوصة وفي سومطره والبنغال تصل الى مائة وعشرين بوصة[٢٥٦] مما يؤدي الى غرق المزروعات والتسبب في كوارث طبيعيه وبشرية .

وقد ازدادت مساحة الاراضي الصالحة للزراعة تدريجيا في عهد السلطان محمد بن تغلق اذ كانت هناك بواعث من السلطنة لتشجيع الانتاج الزراعي وتقديم اراض اخرى محروثة ومعدّة للزراعة ، حتى ان الخراج كان يمكن ان يتغيّر من منطقة لاخرى وتختلف نسبته من وقت لاخر [٢٥٧]، ولكن الاراضي التي كان يصلها الري والسقي قليلة بالرغم من ان السلطان محمد تغلق كان قد استحدث في عام ٧٢٩هـ/١٣٢٩م عدداً من المزارع ، وحفر قنوات للري تعتمد كليا على نهري الدوآب (جُمنا وجانجا) [٢٥٨] كما كان والده غياث الدين من قبله قد شجع المزارعين على تعمير الاراضي واصلاح قنوات الري [٢٥٩] الا ان ذلك لم يكن كافيا ليمنع حدوث الكوارث والمجاعات الكثيرة التي ادّت الى تدنّي مستوى الانتاج الزراعي[٢٦٠] .

---

(254) Ali . M .: Op.Cit.,vol 2,P., 932 .

(٢٥٥) حقي : المرجع السابق ،ص ١٠٤.

(٢٥٦) يرجع سقوط الامطار في الهند هبوب الرياح الموسمية الجنوبية من البحار المجاورة للقارة الهندية في أتجاه اليابس ،والتي تختلف عن الرياح الموسمية في جزر الهند الشرقية حيث تكون الاخيرة اكثر تعرضاً لأختلافات درجة الحرارة والهواء .ينظر الجنابي ،المرجع السابق ،ص ٣٨ .

(257)Ali .M.: Op.Cit.,vol 2,P., 713 .

(258) Holt,P.M &Others :Op.Cit., P ، 15 .

(٢٥٩) الساداتي : المرجع السابق ،ص ١٧٠؛حقي : المرجع السابق ،ص ١٠٠.

(260) Holt,P.M &Others :Op.Cit., P ، 15 .

كما تعرضت الهند الى عدد من المجاعات وكان اسوأها تلك التي حصلت في عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م ودامت حتى عام ٧٤٣هـ١٣٤٣م (أي خلال مدة بقاء ابن بطوطة في الهند) وفي حينها كان السلطان خارج دلهي منشغلاً بقمع احدى الثورات وقد علم بأمرها عندما عسكر في منطقة كانوج قرب اقليم اوجّه . كما شاهد ابن بطوطة نسوة يأكلن جلد فرس مات منذ مدة نظراً للقحط الذي مرّ بهم ، كما التقى بجماعة من الطلبة في منطقة اكروهه (بين حانسي وشرشتي) حدثوه عن رجلا يشوي رجل اخر ويأكل من لحمه (٢٦١).

ان ذلك يدل على ان المجاعة انتشرت لتمتد الى الاقاليم البعيدة والمجاورة لدلهي على مدى السنوات السبع . ومن الجدير بالذكر هنا ان السلطنة لم تقف مكتوفة الايدي حيال ذلك فاتخذت اجراءات عديدة لمحاوله التقليل من اثار الكارثة او مواجهتها : فأمر السلطان اعطاء المواطنين نفقة ستة اشهر فضلا عن كمية من الغذاء اليومي الاساسي تقدر برطلين ونصف لكل شخص واعطى كذلك البذور ولوازم الزراعة الاخرى الى الفلاحين كي يساعدهم ويحثهم على زراعة الارض كما أمر بحفر الابار وأنشأ حوضين كبيرين في دلهي لتجميع مياه الامطار وشربها من قبل اهل المدينة عند اوقات القحط ، وذلك ما اكده القلقشندي (٢٦٢).

ومن الجدير بالذكر مساهمة ابن بطوطة في تلك الازمة بما كان يملك من اموال حصل عليها من عمله الاخر في ادارة مقبرة السلطان قطب الدين ايبك من أجل إطعام واغاثة الناس ، فقد طلب من السلطان زيادة كمية الدقيق المخصصة لأرزاق رواد المقبرة لتكفي اعدادا كبيرة من الفقراء ،وقد كان في ذلك مضرباً للكرم والتدبير أمام السلطان الذي قال عنه "**لو كان بدلهي اثنان مثل فلان لما شكا الجهد** " (٢٦٣) .

اما العاصمة دلهي فقد كانت تعتمد في معاش اهلها في تلك الظروف الصعبة على منطقة زراعيه قريبه منها هي مدينه مهر والتي تقع بين الدوآب حيث تتزود بالمؤن والمحاصيل الزراعيه الفائضة عنها ، وعندما فرض السلطان محمد تغلق الضرائب الباهضة على فلاحي تلك المنطقة وعلى مزارعهم عمّ الفقر فيها وتذمّر الفلاحون ، فساءت المحاصيل وحُرمت دلهي من سوقها ومؤنتها (٢٦٤) .

كما تحدث ابن بطوطة بوضوح عن **الثروة الحيوانيه** واهميتها في بلاد الهند فذكر من الحيوانات ما كان يرتبط ارتباطا وثيقا بالزراعة كالثيران التي تستخدم في الحرث والابقار التي

---

(٢٦١) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص ١٨٦.

(٢٦٢) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣ ،ص ١١٢ ، ص ١٨٧ ؛ القلقشندي : صبح ..ج٥، ص ٦٩.

(٢٦٣) ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ج٣، ص١٨٦، ٢٢٢،٢٣١ ،٢٤٤.

(264)Moreland ,W . : Op.Cit., P., 169 .

استخدمت في النقل من قبل المسلمين بشكل واسع دون استخدام الحمير التي يعيبون من يركبها منهم (•) ، فضلا عن قدسية الابقار من قبل الهندوس كما وضّح انّ الخيول كانت قليلة في الهند فتستورد من بلاد اخرى (٢٦٥).

اما الفيلة فعلى حين ركّز الجغرافيون والرحالة السابقون كألادريسي مثلاً على وصف طرق صيدها وطريقة مشيتها وجلوسها وترويضها وتربيتها من لدن بعض ملوك الهند ، إلا أنّ ابن بطوطة سلك وصفاً مغايراً لكل ماذكر فأشار في نصوص عديدة إلى الاستخدامات المتعددة للفيلة فقد كانت تعد مزينةً للاستعراض في الاحتفالات الرسمية والشعبية والعسكرية ويخصص بعضها لركوب السلطان ، كما جرى استخدامها في الحروب أو لدهس بعض الخارجين عن السلطة ، كما يضيف استخداماً نادراً لها وهو في مجال دحرجة الاحجار الثقيلة إلى الاماكن المرتفعة كما حدث مثلا في بناء منار قطب (٢٦٦) .

كما بيّن ابن بطوطة الطريقه المتبعة في تغذية الحيوانات فقال "**ان الهنود لا يطعمون حيواناتهم التبن بل يوفرون لها العشب والحمّص الذي يخرشونه ويبللونه بالماء ،فضلا عن اطعامهم نوعاً من الحبوب تسمّى (موت) تزيد من سمنتهم ،ولايعطوهم الشعير ابدا** (٢٦٧).

وتحدث كذلك عن الكركدن(٢٦٨) كاحد الحيوانات الغريبة والذي رآه اكثر من مرة خلال تجواله في المناطق الهنديه ووصفه بأنه:" **متفاوت الضخامة .. له قرن واحد بين عينيه**" (٢٦٩) كما رأى القردة الموجودة بكثرة في كل الهند وسيلان ووصف احد انواعها على ان لونها اسود ولها اذنان طويلتان ولحي كالبشر تسمى (القرود المقدسة) ،كما واعجب برؤيته لطائر العلق (الزولو) الموجود في سيلان بين الغابات والحشائش ويهاجم الانسان (٢٧٠). وذكر كذلك غزلان المسك

(•) الحمير في الهند تسمى باللاشه وهي لفظة فارسية تعني الهيكل ، وهم اذا ارادوا ان يشّهروا باحد بعد ضربه يركبونه حمارا .ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣ ،ص ٢٤٦؛ القلقشندي :صبح ..ج٥،ص ٨٢.

(٢٦٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣ ،ص ٢٤٦ ؛ خصباك : المرجع السابق ،ص ٢٢٤.

(٢٦٦) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص ١٤٣،٧٧؛ الادريسي ، المصدر السابق ،ج١، ص ٢٠٠.

(٢٦٧) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج ٣ ،ص٩٦ ؛ خصباك ، المرجع السابق ،ص ٢٢٥.

(٢٦٨) حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة قصير القوائم غليظ الجلد على انفه قرنان واحد فوق الاخر،في حين يجعلها الغرناطي ثلاثة قرون واحد بين عينيه والاخران على اذنيه وله عدة تسميات منها : ابو قرن والكركند .ينظر:عبد الرحيم بن سليمان ابي حامد الغرناطي : تحفة الالباب ونخبة الاحباب،تحقيق:اسماعيل العربي،دار الافاق(المغرب – ١٩٩٣)،ص ١٣٣؛محمد علي بشيشو :" اسطورة وحيد القرن في الشرق والغرب " مجلة فكر وفن ، ع ٥ (برلين – ١٩٦٥) ص ٢٨.

(٢٦٩) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص٧٥.

(٢٧٠) ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٤، ص ٨٣، ٨٥ ؛ كما اكد ذلك من قبل الرامهرمزي :المصدر السابق ص ٧٠ ، والادريسي : المصدر السابق ،ج١،ص ٦٣.

الموجودة في جبال التبت [٢٧١] كما تحدث عن وجود الدجاج الهندي في البنغال وبعض المدن الهندية الاخرى ، بالاضافة الى الاغنام والجواميس الضخمة التي أستخدم منتوجها في صناعة بعض الاغذية ، وبما انه ذكر وجود ملابس من الحرير فهذا يعني وجود حشرة دودة القس هناك [٢٧٢].

ولو أن ابن بطوطة ذهب الى مناطق الغابات الهندية في الشمال لشاهد عدداً آخر من الحيوانات التي تشتهر فيها المناطق الهنديه والتي ذكرها المؤرخون وزائروا المنطقة السابقين كالببغاوات والقطط والطاووس والنسور السيلانيه والببر وهو نوع من السباع الهنديه ابيض اللون مخطط الجانبين بالاسود ، فضلا عن الحيات الكبار الخطرة [٢٧٣].

امّا الثروة البحرية فهي هائلة وعظيمه لان الهند معروفة بوجود الروافد الخمسة فيها وتعدد الانهار فضلا عن كونها اصلا محاطة بالمياه من عدة جوانب ولاسيما الساحل البحري الطويل الذي يضم انواعا متعددة من الاسماك والسلاحف والحيتان فضلا عن مغاصات اللؤلؤ والجوهر واليواقيت بانواعها (الاحمر والازرق) الموجودة في سيلان[٢٧٤] الا ان ابن بطوطة اقتضب الحديث عنها فذكر اهم الاسماك التي يفضلها سكان تلك المناطق كغذاء يومي لهم مثل سمك قلب الماس الذي يشبه سمك التون (الابيرون) وهو الغذاء الاساسي لاهل ذيبة المهل ولحمه احمر ولازفر له ويصدر الفائض منه الى مدن الهند والصين [٢٧٥].

وفيما يتعلق **بالصناعة** فقد روى ابن بطوطة روايات موجزة عن الصناعات والحرف اليدويه في المناطق التي زارها نظرا لان اهميتها كانت ثانويه ، وقد اوضح ان الصناعات في الهند كانت قليله واغلبها تتعلق بالصناعات الغذائيه المرتبطه بالنبات والفواكه ،ومنها صناعة العسل والحلواء

---

(٢٧١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣،ص ٢٤٦.

(٢٧٢) ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص٧٩.

(٢٧٣) الرامهرمزي :المصدر السابق،ص ٤٢؛القزويني: المصدر السابق ،ص ١٢٧؛ الغرناطي : المصدر السابق ،ص١٣٣،١٢٩؛: ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، نشر :ريتشارد . جي . ولش ترجمة حسن حسين الياس، منشورات دار البصري ، (بغداد – ١٩٧٩) ، ص ٢٨٣ .

(٢٧٤) الشرقاوي : المرجع السابق ،ص ٣١٠.

(٢٧٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص ٥٥.

وعصير الحليب المستخرج من ثمرة جوز الهند ، واستخراج الزيت من بعض الثمار واستعماله كوقود للمصابيح [٢٧٦].

اما الصناعات التي اشتهرت بها الهند فاهمها :صناعة السفن الكبيرة فكثيراً ما اشارالى سفن حربية شاهدها في موانىء البنغال ، واخرى عادية كالتي استقلّها في السفر والتنقل ، وذلك لتوافر انواع عديدة من الاخشاب التي عرفت بمقاومتها للمياه والملوحة حيث تخاط بحبال شجرة النارجيل ويبدو ان السبب في استخدام الحبال عوضا عن الحديد والنحاس هو وجود الشعاب المرجانية في المحيط الهندي والبحر العربي مما يؤدي الى انفصال المسامير عن السفن وغرقها [٢٧٧] .

وقد ذكر ايضاَ عددا من النجارين الهنود المهرة في دلهي والذين طلب من بعضهم صناعة كور(هودج كبير) يوضع فوق ظهر الجمل الذي غطاه بصفائح الفضة وقماش الحرير وأهداه للسلطان محمد تغلق ،وعندما أُعْجِب السلطان به طلب من النجارين صناعة هودجين آخرين [٢٧٨].

ومن الصناعات الاخرى صناعة الخيام نظرا لتوافر الحبال ، وصناعة الالبسه والمنسوجات الحريريه المعروفة بالجز (ربما هي الخز) وصناعة ثياب القطن وذلك لتوفر وانتشار زراعة القطن في الهند ولاسيما في مدينة الشاليات (في جزائر ذيبة المهل) ومنها أُخِذَ اسم الشال الذي يستخدم كغطاء للراس والكتف ، وكذلك في منطقة سونارجيون بالبنغال وعلى الرغم من الانتاج الوفير لتلك المناطق للقطن الا انها لم تكن تكفي او تسد الحاجة المحلية مما جعل الهند تستورد كميات كبيرة منه من الدول الاخرى التي اشتهرت بزراعته [٢٧٩] ، ونستدل على ذلك كله من خلال الهديه التي ارسلت من السلطان محمد تغلق الى أمبراطور الصين والتي تضمنت مجموعة كبيرة من الملابس القطنيه وكانت على خمسة الوان فضلا عن انواع اخرى من ثياب الشيربان والشان بان والمرعز الملون .. [٢٨٠] ، كما يؤيّد ذلك ما جاء في مصنف العمري (مسالك الابصار) الذي

---

(٢٧٦) خصباك : المرجع السابق ،ص ٢٢٥ .

(٢٧٧) ابن بطوطة : المصدر السابق ،٤،ص ٤٧ ؛ ابو ظفر الندوي : "اسطول كجرات " مجلة ثقافة الهند ، ع ٤ ، سنة ١٩٦٥، ص ٩٣.

(٢٧٨) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٠.

(٢٧٩) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ص ١٣؛ينظر الخارطة رقم (٣)، ص ١٦٦ توزيع الانشطة الاقتصادية في الهند من خلال رحلة ابن بطوطة.

(٢٨٠) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص ١٣.

تحدث عن وجود مصنع يدوي في دلهي كان ينتج انواعا من الحرير والاقمشة الاخرى ، يضم أربعة الاف حائك[٢٨١] .

كما تكثر صناعة الفوط والعمائم في ذيبة المهل فضلا عن الغزل والقنبر (الياف جوز الهند)[٢٨٢]والاواني النحاسية حيث يتوافر النحاس بكثرة هناك ، اما صناعة السيوف التي كانت الهند مشهورة بها في مختلف العصور السابقة فقد ذكر ابن بطوطة أنها ما زالت موجودة في بعض المناطق بدليل حاجة السلطنة المتزايدة للأنفاق على تسليح الجند [٢٨٣] .

وخير دليل على صدق ما رواه ابن بطوطة حول توزيع الصناعات في المدن الهنديه ما ذكره الرحالة والتاجر الهولندي رالف فيتش **Ralph Fitch** الذي زار البنغال في عام٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م ووصف مدينة سونارجيون على انها " مدينة جميلة ...وافضل انتاجها الملابس القطنيه التي يوزع منها الى كافة انحاء الهند .." [٢٨٤] .

المبحث الثاني

التجارة

من الواضح ان استقرار ابن بطوطة في عدد من المدن وزياراته لمدن اخرى ، فضلا عن احتكاكه بعامة الناس ، وعمله الوظيفي ، ذلك كله كان من الطبيعي أن يمكنه من الاطلاع على تعاملات الاسواق والاسعار التي تاثرت بالاوضاع السياسية أنذاك فعلى سبيل المثال عندما

(**281**) Husain ,M . :Op.,Cit, p., 60. (نقلا عن العمري : مسالك :ج ٢٤، ص ٢٢)

(٢٨٢) ومن هذه الالياف تصنع الحبال وتصدر الى الهند والصين وهي احسن من القنب.ينظر : ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٤،ص٦٠؛الشرقاوي ،المرجع السابق ،ص ٣١٠.

(٢٨٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص ٩٠.

(284) Ali ,M .: Op.Cit., vol 2., P., 955 ؛ Sastri ,N. : Op.Cit.,p., 91.

شهدت الهند أستقراراً نسبياً في الاوضاع السياسية أبان عهد الاسرة التغلقية انتعشت الاوضاع الاقتصادية وخفضّت الضرائب على الفلاحين والحرفيين (٢٨٥) ، كما يمكن معرفة مدى ذلك الانتعاش من خلال الاطلاع على مقدار الدخل الشهرى او السنوي لبعض افراد المجتمع اذ اورد ابن بطوطة اشارات الى غنى الطبقة المتنفذة والموسرة في المجتمع الهندي والتي تتضمن كبار الموظفين والامراء والوزراء الذين يتمتعون بأمتيازات ورواتب عالية بالقياس الى رواتب اقرانهم من الطبقة المتوسطّة او الافراد العاديين (طبقة العمال) والتي كان لها دور في حركة الاسواق ومختلف الانشطة الاقتصادية حيث كان السلطان يخصص لهم الرواتب المغريه وعوائد الاقطاعات الواسعة من قرى الاقاليم والتى تسمّى عادة بالمداشر(٢٨٦) وربما كان ذلك حرصا من السلطان على تحصين موظفيه من الرُّشى والتطاول على اموال الناس والاموال العامة ، والتركيز على النهوض باعمال الدول على الوجه الحسن والدليل الاخرعلى ذلك هو عطاءات السلطان للفقراء والغرباء ، والتبرعات التي كانت اسرة السلطنة تدفعها للمعدمين من الناس في الاعياد والمناسبات والتي قد تصل احيانا الى خمسين ، ومائة الف دينار ومما يدل على ذلك ايضا حالة ابن بطوطة المادية فعندما دخل الهند كان مدانا بخمسة وخمسين الف دينار وفّاها له السلطان وحصل من وظيفته على أموال تكفيه (٢٨٧) .وعلى الرغم من تسخير الموارد المالية للأنفاق على الحملات العسكرية ، فضلا عن حدوث الكوارث الطبيعية التي انتابت الهند في فترات متقطعة من القرن الثامن للهجرة ، إلا انها كانت احسن حالا من عهد السلاطين الخلجيين ايام كان الجنود يقبضون رواتبهم متاخره وقليلة (٢٨٨)

ومن خلال محاولة التعرف على ماذكره ابن بطوطة عن **التجارة الداخلية والتجارة الخارجية** يظهر عنايته بالتجارة الخارجية جلياً من حيث وفرة النصوص الخاصة بها . ولكن فيما يتعلق بالتجارة الداخلية للهند هناك ثغرة كبيرة في هذا الجانب باستثناء ذكره لعدد من الاسواق ورخص اسعار بعض المواد ألمتداولة للأستهلاك الداخلي كالمواد الخاصة بالطعام والخضروات

---

(٢٨٥) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣، ص ١٣٨ ؛ Moreland ,W .: Op.Cit .p., 167

(٢٨٦) او المجاشر وهي مبالغ ماليه تدفع للموظفين الكبار وتجبى من خراج الاراضى او القرى التابعة للشخص المسؤول عنه فمثلا كان راتب ابن بطوطة اثنى عشر الف دينار في السنه وتاتيه مجاشر من اقطاعه لاحدى القرى بنفس القيمه ايضا ، ينظر: ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣ ص ٢٣٤ .

(287)Yule.H . : Op.Cit., Vol.4, P., 13 .

(٢٨٨) حقي : المرجع السابق ،ص ١٠٠. ويكمن لوصول من خلال ذلك الى أنّ الازدحام السكاني بلغ أقصاه في ضفاف الانهار ومراكز المدن الكبيرة فضلا عن القرى ومن دون شك فان الناس الذين يعيشون في الصحاري والمناطق الجبلية هم ادنى بالمستوى المعاشي من اولئك الذين يسكنون المدن الساحليه والتجارية . الجنابي : المرجع السابق ، ص ٥٠.

والسلع الكمالية والملابس فضلاعن التوابل ... عُرِفَ ذلك من خلال حديث ابن بطوطة عن بعض المدن التي زارها وذكره ان :" **اسواقها حسنة** "[٢٨٩] .

كما تحدث عن اسواق خاصة لبيع الرقيق (سوق النخاسة) والتي شاهدها بنفسه هناك ، فضلا عن مشاهدته سوقا خاصا لبيع الملابس داخل مدينة بديوان **Badiwan** يسمى بالحي الملتاني ، فضلا عن سوق خاص مليىء بالمحلات والدكاكين التي تبيع الخضر والفواكه والمواد الغذائيه [٢٩٠] ، وقد اورد أمثلة على تبادل المدن الهندية للمنتجات المحلية ومنها التبادل القائم بين مدينة ظِهار(في أقليم مالوى) التي تنتج زهرة التنبول وتنقله الى كل مدن الشمال حتى دلهي[٢٩١] .

امّا الاسعار فقد كانت جيّدة نسبياً ونادراً ما كانت ترتفع أسعار المواد إلا عند حدوث الكوارث الطبيعية وفي الاوقات الاستثنائية ، وكانت الدولة تراقب استقرارها عن طريق وجود وظيفة المحتسب [٢٩٢] وقد اورد لنا احصائية لبعض ما كان ضرورياً من المواد للاستهلاك الداخلي لسكان تلك المناطق وذلك عندما كان في اقليم البنغال التي يسميها " **بجهنّم المليئة بالنعم**" [٢٩٣] ويمكن ترتيبها على حسب الجدول الاتي :

ت	اسم المادة	الوزن او الكمية	السعر بالنقد الهندي
١	الارز	٢٥ رطلا دهلية (هندية) (الرطل = ٨كغم)	دينار فضي واحد[٢٩٤]
٢	البقرة الحلوب	ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ	ثلاثة دنانير فضية

---

(٢٨٩) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص١١٣.

(٢٩٠) ابن بطوطة : المصدر نفسه والجزء والصفحة ؛ Mujeeb.M .: Op.Cit.,p., 215.

(٢٩١) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ٩٣ .

(٢٩٢) ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٣٠.

(٢٩٣) لقد كان مصدره في تلك المعلومات احد الشيوخ المغاربة الساكنين هناك وهو ألشيخ محمد المصمودي .ينظر ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٠٠

(٢٩٤) سنتحدث في الصفحة القادمة عن العملات في الهند .

٣	الدجاج السمان	ثمان دجاجات	درهم واحد
٤	الكبش السمين	– – – –– – – – – – –	درهمين فقط
٥	السكّر	رطل هندي واحد	اربعة دراهم
٦	دهن السمنْ	رطل هندي واحد	اربعة دراهم
٧	الجلاّب	رطل هندي واحد	ثمانية دراهم أي (دينار)
٨	السيرج	رطل هندي واحد	درهمين
٩	ثوب القطن الجيد الرقيق	طوله ثلاثون ذراعاً	دينارا فضة
١٠	الجارية	واحدة للخدمة	ديناران من الذهب
١١	فراخ الحمام	عدد خمسة عشر	درهم واحد فقط

ومن هذا الجدول يظهر ان أقليم البنغال كان من ارخص اماكن الهند واغناها من حيث وفرة جميع هذه المنتجات وغيرها ، ومن هنا فقد قال عنه : " **لم ار في الدنيا ارخص اسعارا منها** " (٢٩٥)

ولعل من الضروري الاشارة الى بعض ما قيل ازاء منتجات الهند وثرواتها الطبيعية ووفرة خيراتها الامر الذي أكده بعض البلدانيين السابقين عند حديثهم عن موارد الهند الطبيعية : " **في بحرها الدر وبرّها الذهب وجبالها الياقوت وفي شعابها العود والكافور ومن وحوشها الفيل والكركدن ومن حديدها سيوف الهند ،أسعارها رخيصة وعساكرها لاتعد** " [٢٩٦] وذلك جعل كثيرا من دول الشرق الاسلامي ودول الغرب معا تتهافت على اقتناء ما تحتاجه من موانئها العديده التي ازدهرت هي الاخرى واكتضّت بالتجار ولفترات طويلة .

صيغ التعامل التجاري

ولابد من الحديث هنا عن صيغ التعامل التجاري الذي كان يتم على طرق مريحة ومختلفة ، فتارة بالنقود ذهبا وفضةً وتارة بالمقايضة سلعة بسلعة ، فضلا عن طريقة اخرى تعوّض عن

---

(٢٩٥) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤،ص١٠٠؛ Ali .M. : op.cit.,vol.,p., 132.

(٢٩٦) القزويني :المصدر السابق،ص ١٢٧؛ النويري:المصدر السابق ، ج ١ص ٣٦٦.

النقد وهي ماتسمى بالودع (٢٩٧) الذي كان معروفا في بعض المناطق ولاسيما في جزائر ذيبة المهل وكان الأربعمائة الف قطعة منه تعادل ديناراً ذهبياً واحداً ، بل احياناً المليون قطعة تعادل الدينار ، كما كان لتلك (العملة) عدّة فئات وتسميات يعرفها اهل تلك الجزر وعلى النحو الاتي :

١٠٠ قطعة ودع = سياه **Seah**

٧٠٠ قطعة ودع = فال **Faal**

١٢ الف قطعة ودع = الكتّى **Katti**

١٠٠الف قطعة ودع = بستوا **Pestwa** (٢٩٨) .

امّا في الهند فان العملة الذهبيه والفضيه كانت هي السائدة في عصر محمد تغلق بتاكيد ابن بطوطة الذي اورد امثلة على كثرة التداول بها على الاقل في العاصمة دلهي (٢٩٩) وكان يطلق على العملة الرئيسه الذهبيه بالدينار والفضيه باسم التنكة Tanka (٣٠٠). كما كانت لديهم عملة اخرى اسمها كرور **Crore** (٣٠١)كما ويعطينا ابن بطوطة تسميات اخرى لبعض القيم النقديه في الهند كالاتي :

التنكه الفضيه = ١٧٢ غراما من الفضة وتساوي ٥٧ كيلوغرام من الحنطه

التنكه الذهبيه = ٩غرام من الذهب وتساوي عشر مرات قيمة الفضيه

اللك **Lak** = ١٠٠ الف دينار فضي و١٠ الف دينار ذهبي

الكرور = ١٠٠ لك

الدينار الهندي = دينارين ونصف من دنانير المغرب (٣٠٢)

وفي عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م قام السلطان محمد تغلق باستبدال العملة الذهبيه والفضيه بعملات من النحاس والبراص(٣٠٣) بضمان بيت المال وذلك بسبب حاجته المتزايده للاموال من اجل انفاقها على تشكيل جيش قوي قادر على مواجهة المغول وفتح العديد من المناطق المجاورة

---

(٢٩٧) الودع هي صدفة حيوان بحري وهي وسيلة للتعامل في التجارة الداخلية وتسمى في مصر بالكودة . ينظر ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ص ٦٠؛ المقريزي:اغاثة الامة بكشف الغّمة ،تحقيق:محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال،لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة –١٩٤٠)،ص ٦٩ .

(٢٩٨) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤،ص ٦٠.

(٢٩٩) ومنها عند حديثة عن بيع الرقيق والجواري في سوق النخاسة حيث انهم يباعون بالدينار الذهبي .ينظر : ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٢،ص٨٠ ؛ Ali ,M .: Op.Cit.,vol 2,p., 928.

(٤) وهي تعادل ٨٠ درهما مصريا .ينظر : الرحلة ، ج٣، ص٢٤٢؛ المقريزي :الخطط ،ج٢،ص ١٧٤.

(301)Thapar ,R .:Op.Cit.,p., 277 .

(٣٠٢) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج ٣،ص ٨٢ ، ج ٤، ص ٢٥

(303) Holt,P.M.& Others : Op.Cit., Vol.2, p., 19 .

،وكانت خطته حكيمة غير ان بعض الناس افسدوا عليه هذا الاجراء بتزويرهم العملة خارج دور السكّة طلباً في الثراء ويبدو انها كانت عملة سهلة التزوير ، مما ادى الى زيادة النقد حتى فقد قيمته الاعتباريه ، وبعد مدة قصيرة أخذ التجار المحليون يرفضون التعامل بها الا على اساس قيمة معدنها في حين أصبح التجار الغرباء لايبيعون وارداتهم الا بالذهب ويشترون صادراتهم بالنحاس .وحين ادركت السلطنة ما عمّ بالبلاد من فوضى وخراب جرّاء ذلك اعلنت رفع تلك العملة من السوق وتعويض عمّا في ايدي الناس من اموال ، فاقبل الناس على بيت المال ومعهم اكداس طائلة مما زوروه من نقود نحاسيه فأستنزفوا كثيرا من اموال الدولة . ولم يكن محمد تغلق على كل حال اول من لجأ الى استخدام العملة المعدنيه بضمان الذهب بل ان ذلك كان معروفا في بلاد فارس والصين التي كانت تستخدم العملة الورقية بضمان خاتم السلطان وذلك عام ٦٩٠هـ/١٢٩٠م [٣٠٤]وذلك اما ادى الى تدهور الوضع الاقتصادي شيئا فشيئا كما ذكر ابن بطوطة [٣٠٥] .

اما الضرائب فقد كانت تؤخذ من التجار وربما من بعض المزارعين الكبار واصحاب الصناعات فضلا عن الخراج . وقد كانت تشكل الدعامة الاساسيه لاقتصاد الدولة سواء كانت في الهند ام المناطق المجاورة لها فهي وان كانت عالية بعض الشيء الا انها لم تكن لتمنع العديد من التجار من مواصلة نشاطهم التجاري والوصول الى السواحل الهنديه واقتناء بضائع الهند المعروفة بجودتها وقيمتها العالية . ومن امثلة نسبة الضرائب التي تؤخذ من بعض المتاجر في الهند ما ذكره ابن بطوطة عن ميناء لاهري إذ ان مجمل " **مجبى هذه المدينة ستون لكا في السنة ...وللامير ..نصف العشر ..**"[٣٠٦] وهي قيمة كبيرة تعادل ستمائة الف دينار ذهبي او ستة ملايين دينار فضي ، ويذهب ما مقداره ثلاثين الف دينار ذهبي لعمال ذلك الميناء والباقي الى السلطان ، وفي منطقة وادي خسرو اباد **Khisrwabad** احد المكونات الرئيسة لنهر مهران قرب الملتان – ياخذ الجباة هناك الربع من كل ما يحمل من المارّه وياخذون عن كل فرس مع راكبه سبعة دنانير ،وكانت هذه الضريبة مكسا باهضا على التجار والماره مما دفع السلطان الى رفع

([٣٠٤]) حقي : المرجع السابق،ص ١٠٣؛ الساداتي : المرجع السابق ، ج١، ص ١٧٥–١٧٦ .

([٣٠٥]) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص ١٨٦.

([٣٠٦]) ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ج ٣، ص ٨٥.

تلك المكوس او تخفيضها على الاقل باستثناء الزكاة وضريبة العشر المعروفة في كل العالم الاسلامي ، وكان ذلك بعدما بايع للخليفة العباسي عام ٧٤١هـ/١٣٤١م (٣٠٧) .

ومن الجدير بالذكر ان عددا من المناطق الصحراوية التي تمر بها التجارة الداخلية على الاقل كانت لاتخلو من بعض اللصوص والعصابات وقطاع الطرق وكانت السلطنة تتخذ بعض الاجراءت من اجل حماية التجار والتجارة كأن تضع عددا من العمال والموظفين في بعض تلك الطرقات ليراقبوا سير القوافل التجاريه (٣٠٨) او تقيم الفنادق وتوفير العناية والراحة للتجار الوافدين الى بلادها (٣٠٩) .

كما وقدم ابن بطوطة في اثناء الرحلة معلومات مهمة على صعيد التعامل الاسلامي فقد ذكر تطبيق الحكومة في مدينة كاليكوت التجاريه للقاعدة الفقهيه التي تقضي بارجاع ارث الاجانب الذين يتوفون في الهند الى اهليهم وورثتهم أي أنهم " **لايتعرضون لمال الميّت حتى يبقى عند السلطان ويأتي مستحقه** " ، ويستنتج أبن بطوطة بنفسه على ان تطبيق ذلك أثّر ايجاباً على أقبال التجار الى تلك الاماكن حيث شجّع المستثمرين على اختيار كاليكوت مثلا مركزا تجاريا لهم (٣١٠).

كما كان بيت المال يستقطع مبلغ العشر من كل مكافأة تُعطى للعلماء أو غيرهم(٣١١) وذلك ما اكده رحالتنا مرارا وهو يصف الشوؤن الادارية والمالية في الهند في عهد محمد تغلق .

التجارة الخارجية
الصادرات .

ذكر ابن بطوطة مواداً تجاريه متعددة غالبا ما كانت تصدّر الى مختلف دول العالم ويمكن تصنيفها الى : مواد غذائية اساسيه ومواد كماليه فضلا عن التوابل التي هي من اكبر المواد

---

(٣٠٧) اثناء رحلته الى الصين مرّ ابن بطوطة بمدينة فاكنور في الجنوب الهندي وتحدث عن ضريبة اخرى تسمى بحق البندر والتي تنص على ان يدفع كل مركب بمينائها هدية لصاحب البلد غير المسلم واسمه باسدو وان لم يدفع تضاعف عليه المغارم اجباريا .ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج ٤،ص ٣٩.

(٣٠٨) تعرض ابن بطوطة وعدد من رفاقه لغزوة قام بها ما يقرب من ثمانين رجلا في صحراء ابو هر ويبدو انهم كانوا خارجين عن نفوذ السلطنة كما كان لهم اماكن خاصة ويعتاشون على التسليب ،وتمكن جماعة ابن بطوطة من دحرهم .: ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج ٣،ص ٩٧.

(٣٠٩) شرح ابن بطوطة وضعية الفندق المخصص لاقامة التجارفي الصين وكيفية ادراج اسماء النزلاء ..في ج ٤ ص١٢٥ .

(٣١٠) أبن بطوطة: المصدر السابق ، ج٤، ص٤٨؛ التازي :"الرحلة كمصدر للعلاقات الدولية "، مجلة المناهل ، ع٦٠، ص ٤٩.

(٣١١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٢.

المصدره الى الخارج بكميات هائلة اذ يكثر استخدامها في اضافة نكهة طيبه الى الطعام فضلا عن حفظها الاطعمة من الفساد .وقد ذكرت بعض مصادر العصور الوسطى انواعا كثيرة منها وعادة ما تكون اشجارها نابتةً في شكل افقي على هيئة عناقيد عليها اوراق تحفظها من المطر[٣١٢] وتكثر في مناطق عديدة في ارض الهند .

والجدول الاتي يبيّن اسم كل مادة وفائدتها واماكن نموها وانتاجها :

ت	المادة	اهميتها واوصافها	اماكن تواجدها
١	**الفلفل**	وهي على أنواع متعددة حيث تكون اشجارها عاليه تتدلى عناقيدها على الاغصان واجودها : النوع الخالي من العفونة ، ومنها ما يدخل في صناعة الادويه ومنها ما يدخل في حفظ الاغذية وتطييبها [٣١٣] ومن أنواعها : اشجار القرفة والبقم والجموّن : [٣١٤].	يوجد بكميات كبيرة في سندان كما تكثر في سواحل مليبار وجزيرة جاوه ومنجرور [٣١٥]
٢	**القرنفل**	زهرنبات له رائحة زكية وهو حار يابس مقوٍ للقلب ومنشّط للكبد و قاطع للغثيان فهو بذلك يدخل في صناعة الادوية واحسن انواعه :الكباش الخالي من النداوة والعفونة .	يكثر في جزيرة الزابج (اندونيسيا) وفي جزيرتي سرنديب وجاوه [٣١٦] .
٣	**الكافور**	يستخدم في صناعة الادوية والطيب وتستخرج من شجرة بحرية كبيرة تنتج مادة	يوجد في جزيرة جاوة .

---

(٣١٢) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٦٢.

(٣١٣) فلفل كلمة من اصل سنسكريتي (بلبالي) .ينظر: ابي الفضل جعفر بن على الدمشقي : الاشارة الى محاسن التجارة ،تحقيق :البشري الشوربجي،مطبعة الغد (القاهرة–١٩٧٧) ، ص ٤١ ؛
Ahmad ,M . : Op.,Cit ., p., 133.

(٣١٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣،ص٤٩.

(٣١٥) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص١٦ ؛ ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج ٣ ، ص٩٤ .

(٣١٦) القزويني: المصدر السابق ص ٢٩ ؛ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤، ص ١٠٠.

		صمغية على عدة انواع ،وتفيد في منع الصداع والرعاف[٣١٧]	
٤	المسك	مادة تؤخذ من حيوان هو فار المسك او من سرّة حيوان (الغزال) ألذي له رائحة قويه تسخدم في التطيّب [٣١٨]	جزيرة سيلان وهضبة التبت [٣١٩]
٥	العود	يستخدمه السدنة في المعابد ، ويكثر طلب الاوربين عليه لاعتقادهم ان رائحته تطرد الارواح الشريره وهو ينتج عن خشب شجر طيب الرائحة ،واختبار جودته بشدة رائحته،ومنه : القماري والقاقلي [٣٢٠]	يوجد في الاراضي الواقعة تحت يد المسلمين في الهند ،ومندل وقُمار وسومطره وجاوه[٣٢١]
٦	الزنجبيل	مادة نباتية لها استخدامات عديدة في التطبب خاصةً	متوافر في بلاد المليبار[٣٢٢]
٧	العنبر	مادة صلبة شهباء اللون تشبه الشمع اذا سخنت خرجت منها رائحة زكية، البعض يرى انها مادة تستخرج من الحوت [٣٢٣]	يكثر وجوده في بحر الهند وفي جزيرة جاوه والمناطق التي تحت يد المسلمين في الهند [٣٢٤]
٨	الصندل	شجر طيب الرائحة يشبه الجوز على شكل عناقيد فيها حب اخضر .يستخدم أحيانا للتطيب والتطبب	يكثر في جاوه [٣٢٥]..
٩	اليواقيت	احجار كريمة مهمة تستخدم للتزيّن وهي	توجد في جزيرتي سرنديب وجاوة

---

(٣١٧) ابن بطوطة: المصدر السابق ،ج٣ ، ص١١٤ ؛ النويري :المصدر السابق، ج١٢،ص ٤٥ ؛ فوزي: المرجع السابق ،ص ٢٧٤.

(٣١٨) الدمشقي : المصدر السابق ،ص ٣٦ ؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣،ص ٢٤٦ .

(٣١٩) القزويني: المصدر السابق ص ٤٢ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص١٠٤.

(٣٢٠) الدمشقي : المصدر السابق ،ص ٣٨ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣،ص ١٦٩،ج٤ ص١١٣.

(٣٢١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٦١؛ النويري: المصدر السابق،ج١٢،ص ٢٥.

(٣٢٢) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج ٣ ص٩٤ ، ج٤ ،٤٠ .

(٣٢٣) الدمشقي : المصدر السابق ، ص ٣٦؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج ٣ ص ١٦١؛ Yule,H .: Op.Cit.vol. 4, p., 12

(٣٢٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٦١ ؛ القلقشندي : صبح الاعشى .. ج ٢،ص ١٢٨.

(٣٢٥) بولو: المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤ ص٨٧ .

		علـى انـواع :الزمـرّد والمرجـان والعقيـق ، واللؤلؤ والبهرمان .	[٣٢٦]

وقد اغفل ذكر عدد من المواد المهمة في التجارة الخارجية والتي تشتهر بها ارض الهند ولاسيما بعض مواد التوابل كالخولنجان وهو مادة عطرية تستخرج من عروق نبات ذي عقد لونها بين السواد والحبرة شبيهة بالنوع الكبير من السعد [٣٢٧]، واغفل ذكر السنبل والبسباسة ، وبعض انواع الاخشاب المشهورة بجودتها وصلابتها والمستخدمة في صناعة السفن كالسابان والابنوس والصبر والذي يوجد في جزيرة جاوه [٣٢٨] كما اغفل ذكر المواد الطبيعية كالتوتيا وهي حجر يتكحّل به يستخرج من صدف بحري له شوك والكبريت والنحاس والذي يوجد في كولم [٣٢٩].

الواردات .

اما الواردات الهندية فقد كانت قليلة نسبيا نظرا للاكتفاء الذاتي بالمواد المحلية ووفرة خيراتهم وقلّة حاجتهم وطلبهم للمواد الكمالية باستثناء بعض الحاجات التي تزايد الطلب عليها من قبل الامراء والسلاطين كالخيول التي تجلب من ظفار في اليمن والقفجاق في أواسط اسيا ، وأواني الفخار التي كانت نادرة في الهند وكانت تستورد من مدينة صين كلان التي أشتهرت بالصناعات الفخارية [٣٣٠].

فضلا عن مواد اخرى تكمّل احتياجات السكان كالقطن الذي يستورد من مصر إذ أن انتاجهم منه لايكفي متطلباتهم ، والحمضيات المطلوبة عندهم كالعّلو– الالو **Alu** الحلو الذي يجلب من بلدة (وبكنة **Wabkana**) قرب بخارى [٣٣١] وكذلك التمر الذي كان يجلب من جنوب الجزيرة العربية ، والبطيخ الاخضر (الرقي) الذي كان يستورد من خوارزم وفي طعمه حلاوة ،

([٣٢٦])ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤ ص٨٧،٨١ .

([٣٢٧]) رشيدة بالسرور : الاسكندرية في عهد المماليك ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الاداب والفنون الانسانية (تونس –١٩٨٧) ص٢٠٧.

([٣٢٨]) ماركو بولو ، المصدر السابق ،ص ٢٨٣ ؛ Yule.H .: Op.Cit. vol. 4, p., 196.

([٣٢٩]) القزويني: المصدر السابق ، ص ١٠٧.

([٣٣٠]) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤، ص ١٢٦.

([٣٣١]) بخارى مدينة قديمة في وسط اسيا كانت عاصمة لسامان خداي الذي اسس دولته (٢٨٧-٣٨٩هـ/٩٠٠-١٠٩٩م) وقد احتلها المغول وخربوها عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م .ينظر: ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص ١٦؛ ابو عبد الله الطيب ابو مخرمة:تاريخ ثغر عدن ، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والاهدل ، مطبعة بريل (ليدن –١٩٣٦) ج١، ص ٦٥ .

ومن الطريف ان السلطان محمد تغلق كان يكرم الغرباء في بلاطه باطعامهم فواكه من بلادهم [٣٣٢].

الموانيء ألتي اسهمت في تنشيط ألتجارة الهندية :

وأهمها موانيء السواحل الهنديه : ومنها ما يقع شرق المحيط الهندي ومنها ما يقع غربه ، وتتضمن مجموعة المراسي الكبيرة الواقعه على ساحل المليبار واهمّها ميناء(كولم **kolm**) ويسميها الادريسي كولم ملّي وهي مدينة ساحلية كبيرة واسعة الاسواق والتجارة وصفها ابن بطوطة بانها احسن مدن المليبار كما عدها ماركو بولو من المدن التجاريه المهمة وأختصّت باستقبال التجار الوافدين من الصين لقربها منها [٣٣٣] .

وقد شاهد ابن بطوطة فيها عددا من مراكب الصين الكبيرة كالجنوك **Janque** والمتوسطة وهي الدهو **Dhow** والصغيرة وهي الكَكَم[٣٣٤] وهي محملة بالبضائع والمسافرين من التجار ومتجّهة الى الصين .

كما يظهر ان موانيء ساحل كجرات **Gujarat** مثل مينايء ديو **Diu** وميناء كمباي **Gambay** [٣٣٥] الواقعين على الساحل الغربي للهند هما من اهم مراكز التجارة في ذلك العصر لطول الخط الساحلي لهما ولاتصالات تجارها القويه مع التجار العرب وغيرهم ، ففي كمباي كانت تستقر اكبر جالية عربيه غنيه لها فنادق ووكالات تنوب عن كبار تجار بلاد الشام ومصر

---

(٣٣٢) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص ١٤ ، ج٤، ص١٧.

(٣٣٣) القزويني : ألمصدر السابق ، ص ١٠٧ ؛ شيخ الربوة :المصدر السابق،ص١٧٣ الرحلة :ج٤،ص ٥٠؛ Yule.H .:Op.Cit.,vol 4.,p 20 ؛ Ahmad ,M.: Op.Cit.,p., 8 .

(٣٣٤) الكلمة من اصل صيني Hog-Hang وحسب المستشرق يول انها تحريف لكلمة كوكاCocca ،اما السفن الكبيرة أي الجنوك فهي تتسع قرابة الف شخص منهم بحارة ومنهم مقاتلون من صنف الرماة والنفاطون وفيها غرف خاصة للسكن واماكن لزراعة بعض النباتات ، وتصنع في مدينة الزيتون وصين الصين ، وقد استطرد ابن بطوطة في ذكر قلوعها (أشرعتها) وهي اثنا عشر قلعا مصنوعة من قضبان الخيزران وتدار حسب دوران الرياح فتترك معلقة في الريح اذا رسي المركب .ينظر:الرحلة :ج٤،ص ٤٦ ؛ غسان ا سماعيل عبد الخالق: من مكونات العلاقات العربية الاسيوية ،ملاحظات ابن بطوطة حول الصين ، مجلة اوراق ،(عمان –لات) ، ص ٣٣ ؛ Yule .H .: Op.Cit., Vol ., 4 , P., 12 .

(٣٣٥) بالنسبة لكجرات لم يذكره ابن بطوطة كميناء ، وبالنسبه لكامباي فيسميه كنبايه .ينظر :ابن بطوطة :المصدر السابق ،ج٣،ص ؛ شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلاميه ،سلسلة عالم المعرفه ،(الكويت–١٩٨٨) ،ص ١٨٨،١٨٦.

والعراق ،حيث تدخل الى كامباي السفن العربيه وهي محملة بالخيول والقطن لتعود بالتوابل والاحجار الكريمه [٣٣٦] .

وكذلك ميناء لاهري وميناء كاليكوت **Calicut** الواقعين شمال المليبار بالقرب من كولم ، وكبير التجار فيهما يسمى الشاهبندر او صاحب البحر وله نائب هو الناخوذة [٣٣٧]ووصفهُ ابن بطوطه بانه من البنادر العظام وهو مرسى تجار الصين واليمن وسيلان وجاوه وذيبة المهل وفارس [٣٣٨]مما يوكد عمق الصلات التجاريه بين الهند وجزرها فضلا عن الصين .

كما وتوجد موانيء اخرى لاتقل اهميةً عنها كموانيء ساحل فندرينا **Pantalayim** المدينة التجاريه المليئه بالاسواق والمختصة ايضا بالتجارة مع الصين ، ذكرها الادريسي على انها احدى المواقع التاريخيه القديمة كما زارها الرحالة الفرنسي اودوريك برودينون **Odoric Pordenone** قبل وصول ابن بطوطة اليها (عام ١٣٢٨م) ووصفها بوصف مشابه له [٣٣٩] ثم ساحل كويل **Couil** المختص بتجارة اليمن وعُمان وهرمز وفارس [٣٤٠] وميناء منجرور **Mangalore** التي اشار اليها ابن بطوطة على انها ملتقى دولي لتجار العالم ولاسيما من اليمن وفارس فهي تنتج انواعا مميزة من التوابل وتصدرها عبر مينائها الكبير[٣٤١] وميناء كونانور **Cannanor** المختص بالتجارة مع هرمز ويستقبل سنويا قرابة مائتي سفينه من مختلف البلاد ، وميناء كوت كولام الواقع على نهر ميرابورام وميناء ساتجاون وميناء فتن **fattan** في خليج البنغال جنوب غرب الهند والذي يعد من منافذ الهند التجاريه المهمه [٣٤٢].

يظهر من خلال ما سبق ونظراً لوفرة المنتجات الهنديه المذكورة آنفاً ، ولموقع الهند البحري المتميّز أنْ تكونت للهند علاقات تجاريه مع مختلف دول العالم بشكل ادّى الى ازدحام موانئها بالتجار المسلمين وغيرهم من الدول كافة ، وكذلك بالمواد المعروضة الصادرة والواردة فيها ،

([٣٣٦]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٦؛ نعيم زكي فهمي : طرق التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة –١٩٧٠) ،ص ١٧١.

([٣٣٧]) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤، ص ١١٤ ،كما اكد هذا الوصف الرحالة عبد الله السمرقندي في كتابه (مطلع السعدين في مجمع البحرين) والذي زارها في النصف الثاني من القرن ١٥م .ينظر : عثمان : المرجع السابق ،ص ١٨٥.

([٣٣٨]) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٥.

([٣٣٩])الادريسي : المصدر السابق،ج١، ص١٩١ ؛ ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٤، ص ٤٤ هامش١١٠؛
Yule .H..:Op.Cit.,vol. 4.,p 70؛ Ahmad,M.: Op.,Cit., p., 8 ؛ Sastri ,N.: Op.Cit.,p., 88.

([٣٤٠]) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣،ص ١٩١؛ Yule .H. :Op.Cit.,vol. 4.,p 25

([٣٤١]) شيخ الربوة :المصدر السابق،ص١٧٣؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ص ٤٠؛
Yule.H . :Op.Cit.,vol 4., p 73 .

([٣٤٢]) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٦؛ Ali. M .: Op.Cit.,Vol. 1, p., 4 .

ومن اهم الدول التي كانت لها علاقات تجاريه مباشرة مع الهند : مصر [٣٤٣] عبر أهم موانئها كميناء عيذاب الواقع على ساحل البحر الاحمر الغربي والبعض ينسبه الى الحبشه في حين انه يقع على الاغلب ضمن حدود مصر وكان يستقبل الوارد من التجاره الهنديه كما كان مسلكا للحجاج [٣٤٤] فضلا عن بعض الموانىء المصرية التي شكلت محطة مهمة بين تجارة الهند واوربا [٣٤٥].

وكذلك علاقتها التجارية مع العراق[٣٤٦] واليمن ومكه وفارس [٣٤٧] والصين التي اسهمت بعض موانئها في تجارة الهند كميناء الزيتون **Zaiton** او **Shan Ju** الواقع في جنوب الصين ، وقد شاهد ابن بطوطة في ذلك الميناء نحو مائة سفينه من سفن الجنك الضخمه والسفن الصغيرة [٣٤٨] فضلا عن علاقتها المباشرة والمتواصله مع الموانىء الموجوده في مناطق جزر الهند الشرقية اذ كانت تشكل معها امتدادا ملاحياً طويلا .

ان اعظم الادلة على صدق وحقيقة ما رواه ابن بطوطة عن دور التجارة الهندية في التجارة الدولية والاقتصاد العالمي هو شهادة الرحالة الذين سبقوه والذين زاروا المنطقة بعده ، فمن ضمن الرحالة السابقين له ابن جبير الذي وصل الى مدينة الاسكندرية عام ٥٧٨ هـ/١١٨٣م ووصف ميناءها وشاهد اكواما هائلة من التوابل شبهها بالتراب لكثرتها وهي ملقاة على المرسى بأنتظار

---

(٣٤٣) كانت مصر تمثل احد الممرات المهمة لتجارة الهند الى اوربا وقد وجد التجار المصريون بكثرة في الموانىء والسواحل الهنديه وارتبطت البلدان بسفارات ومعاهدات تجاريه عميقة اثمرت لكلا الطرفين ، وقد ادى التجار الكارميه دورا بارزا في انمائها كما سيمر بنا . ينظر: ابن بطوطة: المصدر السابق ،ج٤ ، ص ٢٥؛ ياسر المشهداني : العلاقات المصريه الهنديه (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية التربية ،جامعة الموصل (الموصل –٢٠٠٠) ، الفصل الاقتصادي .

(٣٤٤) محمد بن احمد جبير : رحلة ابن جبير ، دار الكاتب المصري ، دار الكاتب اللبناني ، (بيروت –لات) ص ٦٥ ؛ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج١ ص ١٥٠.

(٣٤٥) المشهداني : المرجع السابق ، ص ٥١.

(٣٤٦) التقى ابن بطوطة بالتاجر محمد عبد الله الدوري من اهل تكريت عند بداية دخولهُ الهند براً وكان هذا التاجر ذا ثروة طائلة ومكانة عظيمة لدى منافسيه ويبدو من خلال حديث ابن بطوطة عنه انه كان خبيرا بالمتاجرة مع تلك الجهات . ذلك يدل على مساهمة العراقيين في التجارة الهنديه .ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣،ص ٢٠ .

(٣٤٧) ذكر ابن بطوطة ان ميناء لاهري كان متخصصاً باستقبال السفن التجاريه القادمة من بلاد اليمن وفارس في حين لم يتطرّق الى ذكر دور بلاد الحرمين الشريفين في التجاره الهنديه بل ذكر ابن المجاور ميناء جدّه الذي يجتمع فيه التجار الهنود والمصريون واليمنيون وتعرض فيه مختلف البضائع والسلع .ينظر: ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣،ص٨٥؛ ابومخرمة: المصدر السابق ،ج١،ص ٥١.

(٣٤٨) وكذلك ميناء لوقينو .ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص ١٣٠؛عثمان :المرجع السابق ، ص ٢٠٠

من يحملها ويصدرها الى الموانىء الاوربية [٣٤٩] ، وكذلك الرحالة ماركو بولو الذي اشار الى كمية البضائع التي تباع في الهند وتفوق مايباع منها في أي مكان اخر [٣٥٠] ، ومن الرحالة المعاصرين له والمؤكدين لمصداقية الرحالة التجيبي (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م) والذي وجد البضائع الهنديه متوفرة في الاسواق المصريه وتحدث عن اهميتها بالنسبة للاوربيين لاسيما التوابل والعود ..[٣٥١] كما ذكر احد الرحالين الذين جاؤا بعده واكدوا رواياته وهو الايطالي بيرو طافور **Tafur** (١٤١٠-١٤٨٤م)[٣٥٢] الذي عدد اصنافا مختلفة من مواد التجارة الهنديه شاهدها بعينه في المراسي المصريه حيث قال : " **وصلت قافلة تحمل جميع انواع البهار واللالىء والاحجار الكريمة والذهب والعطور والببغاوات والقطط الى جانب اشياء اخرى كثيرة يوزعونها في كافة ارجاء الدنيا ...**".[٣٥٣] .

وهكذا وبفضل تلك العلائق مع جميع هذه الدول وغيرها كانت الموانيء الهندية مزدهرة طوال العام ومكتضّة بالتجار والسلع والبضائع الهندية المراد تصديرها ، ومن جانب اخر ادى ذلك النشاط التجاري وطبيعة الصلات بين العرب والهند الى نجاح العرب في تكوين جاليات عربية على شواطىء الهند الغربية قبيل وبعد ظهور الاسلام [٣٥٤].

دور النقابات التجارية

عرفت الهند وبعض العواصم التجاريه في العصور الوسطى نوعا من انواع النقابات التجارية المركزية والتي اسهمت في حل المشاكل القائمة بين التجار المرتبطين بها والذين هم من جنسيات مختلفة ، كما تنظر تلك النقابات فيما هو مطلوب استهلاكه من السلع والمنتجات الهنديه لتصدره الى الدول الاخرى وبالعكس فضلا عن وظائف اخرى كثيرة ، واطلق على بعضها تسمية

---

(٣٤٩) ابن جبير :المصدر السابق ،ص ٤٥ .

(٣٥٠) بولو: المصدر السابق ،ص ٤٥ .

(٣٥١) القاسم بن يوسف التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب ،تحقيق:عبد الحفيظ منصور ،الدار العربيه للكتاب (تونس-١٩٧٥)،ص ٢١٨،٢٢٠.

(٣٥٢) ولد باشبيليه في الاندلس وعمل تاجرا ورحالة ووصف على انه رجل مطلع لحقيقة عالمه الجغرافي والسياسي والديني ،دامت رحلته اربع سنوات وزار بعض اقطار الشرق والغرب .ينظر : طافور:المصدر السابق، ص ٧٠.

(٣٥٣) المصدر نفسه ،ص ص ٩٧،٧٨.

(٣٥٤) زبيد احمد :الاداب العربية في شبه القاره الهنديه ،ترجمة عبد المقصود شلقامي ،دار الحرية (بغداد-١٩٧٨) ص ٤١؛ جميل عبد الله المصري : حاضر العالم الاسلامي ، مكتبة العبيكان ، ط١،(الرياض-٢٠٠٠) ،ص ١٣ ؛ينظر الخارطة رقم (٣) توزيع الانشطة الاقتصادية في الهند من خلال رحلة ابن بطوطة.

الكارم Karm [٣٥٥] وينعتهم ابن بطوطة بالاكارم [٣٥٦] على نفس لفظ معاصره الرحالة التجيبي (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م) ، والتي كانت عبارة عن نقابة كبيره لها نفوذ واسع واموال طائلة لانها ضمّت في عضويّتها تجّاراً ورجال اعمال بارزين ومشهورين بأخلاقهم الحسنة في البيع والشراء وبثرواتهم الكبيرة لدرجةً تخوّلهم بأقراض الاموال لعدد من الدول عند الازمات والتدخّل في حل المشاكل السياسة في الدول التي تمر بها قوافلهم [٣٥٧] .

اختصّ تجار الكارم بالمتاجرة في التوابل التي كانت سبب شهرتهم وغناهم بالاضافة الى متاجرتهم بعدد من السلع والمواد المهمة الاخرى كالعطور والبخور وجوز الهند وغيرها من السلع الهنديه . وقد قدّر الرحالة ماركوبولو سجايا التجار الهنود تقديرا حسنا موافقا لتقديرات ابن بطوطة لهم حيث قال انهم " **افضل وانبل مايمكن فهم لايكذبون ولايتعاملون بالربا** " [٣٥٨] .

في الواقع لم يكن ابن بطوطة اول من اخبرنا عن نشاط الكارميه او الاكارم بل سبقه الى ذلك مجموعة من الوثائق العائدة للعصور الوسطى والتي وجدت في معبد يهودي في مدينة الفسطاط في مصر وهي مكتوبة باللغتين العربيه والعبريه وسميّت بالجنيزة **Geniza** نسبةً الى الكنيسيت (المعبد اليهودي)،واحتوى بعضها على معلومات مهمه تتعلق بتجارة الشرق والاشادة بدور التجار الكارميه فيها ، ومن ثم قام المستشرق جويتين **Goitien** بتحليل عدد من تلك الوثائق ونشرها والكشف عن اسرار وخفايا تلك التجارة [٣٥٩] .

وقد توالت عدد من المصادر العربية القديمة على ذكر نشاطهم التجاري إذ ان اول اشارة لهم تعود الىعام ٥١٧هـ/١١٢٣ م اوردها المؤرخ ابن ايبك الدواداري (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) ثم ذكرها الرحالة التجيبي [٣٦٠] حتى جاء ابن بطوطة ليعزز ماذكرته المصادر السابقة عنهم وينفرد بذكر بعض المعلومات المتعلقة بنشاطهم .

([٣٥٥]) حول معاني تسمية الكارم والارآء التي قيلت فيها ينظر : المشهداني:المرجع السابق،ص٦٢ .

([٣٥٦]) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص ٢٥ .

([٣٥٧]) المفضّل بن ابي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ،المطبعة السلطانية (باريس –١٩٢٨) ،ص٤٩.

([٣٥٨]) بولو: المصدر السابق ،ص ١١٢.

([٣٥٩]) شلمون جواتين : دراسات في التاريخ السياسي والاقتصادي في العصور الوسطى ،ترجمة :عطية القوصي ، دار القلم (الكويت –١٩٨٠) ، ص ١٨٩.

([٣٦٠]) ابن ايبك : المصدر السابق ، ج٧، ص ٧١ ؛ المقريزي: السلوك لدول الملوك ، تحقيق :محمد مصطفى زيادة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة –١٩٥٨) ج١ ، ق٢ ،ص١٥٨؛ جواتين : المرجع السابق، ص ١٨٩.

ومن جملة ماروى عنهم انه كان لهم رئيس كبير يختارونه وفق معايير يدخل فيها الاساس الاخلاقي والمادي والعمري وكان رئيسهم يسمى في المدن الساحلية بالشهبندر (٣٦١) والصدر وفي العاصمة دلهي يسمى رئيس التجار . وكان لهم اماكن مركزية على السواحل تجري فيها صفقاتهم التجارية واجتماعاتهم وتوضع فيها اموالهم واموال الكبار من الامراء والتي يتاجرون بها ففي الهند كان مركزهم الرئيس في كاليكوت **Kalikut** على عهد سلطانها الملقّب بالسامري **Zamorin** (٣٦٢) وتكون عادة على شكل دور مجصصة متسعة لعدد متوسط من التجار تكفي لجلوسهم ووضع اموالهم كالتي شاهدها الرحالة التجيبي في ميناء عيذاب (٣٦٣) فضلا عن وجود الفنادق الخاصة بهم (٣٦٤)والتي لاينزل فيها التجار العاديين . وما لم يذكره أبن بطوطة عن هؤلاء التجار هو امتلاكهم سفناً خاصّة تسمى باسمهم (٣٦٥) ، وقد بلغ من درجة الاهتمام بهم ان خصصت لهم بعض الدول ولاسيما الهند قوة بحرية لحمايتهم وحماية بضائعهم ، وقد جاءت تلك العناية بعد تعرّض بعض قوافلهم لعمليات التسليب والقرصنة البحرية (٣٦٦) كما عُيّن لهم ناظرٌ في السواحل يجبي ما يستوفي مما يجلبونه من واردات التجارة الهندية (٣٦٧) ، وغالبا ما كانوا يُسْتَثنون من جميع المكوس والضرائب المفروضة على باقي التجار (٣٦٨) .

حاز الكارميون على شهرة عريضة في مختلف دول القرون الوسطى التي لها علاقة تجارية مع الهند نظرا لجودة سلعهم التي صارت مضرب الامثال حيث نظّموا شؤونهم الاقتصادية في كل

---

(٣٦١) عثمان : المرجع السابق ،ص ١٨٩ نقلا عن الرحالة عبد الله السمرقندي الذي زار كاليكوت في منتصف القرن ١٥م وأكد ذلك.

(362)Yule.H.: op.cit.,vol.4,p.67 ؛ Serjeant ,R.: Op.Cit., P. 28 ؛ المعبري: المصدر السابق، ص ١١٥

(٣٦٣) التجيبي: المصدر السابق ،ص ٢٠٥ ؛ وتذكر المصادر ان اكبر مركز نقابي لهم على الاطلاق يقع في ميناء قوص الواقع على الشاطىء الشرقي للنيل لانه كان ملتقى القوافل الوافده من اليمن والهند والحبشه وبذلك شكلت مركزا هاما للجمارك .ينظر : القلقشندي : صبح الاعشى .. ،ج٣ ص ٣٤١،ج٤، ص ٣٢١.

(٣٦٤) كانت الفنادق موجودة في اغلب المدن الساحلية لتستقبل الصادر والوارد من التجار وكانت تسمى بفنادق الكارم او المكرم .ينظر :ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص ١٢٥؛ التجيبي : المصدر السابق ،ص ١٧٤ .

(365)W.J. Fishal :The Spice Trade In Mameluk Egypt,.J.E.S.H.O, 1960,vol. 1., P., 163 .

(٣٦٦) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤ ،ص ٢٠،٣٦.

(٣٦٧) القلقشندي: ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، مطبعة الواعظ ، (القاهرة –١٩٠٦) ص ٢٥٣.

(٣٦٨) صبحي لبيب : "التجارة الكارمية ،وتجارة مصر في العصور الوسطى "،المجلة التاريخية المصريه ،ع٢ (القاهرة –١٩٥٧)،ص ٦ .

الموانىء التي يمرون بها وكانت رحلتهم تبدأ من السواحل الهندية جالبين معهم البضائع الغالية الى البحر الاحمر ثم قوص فالقاهرة فالاسكندرية ودمياط في مصر وعلى مدى العام ، حيث كانت الرحلة من الهند واليها ممكنة طول العام ، كما انتشر نشاطهم التجاري من الهند الى جزر المحيط الهندي وحتى الصين اذ اشار ابن بطوطة الى ان احد اولئك التجار وهو عز الدين بن ابراهيم السواملي امتلك جزيرة خاصةً له في سرنديب هي جزيرة كشم [٣٦٩] مما يدل على عظيم واردات تجارتهم نفوذهم الواسع في كل ميناء يدخلونه ، والجدير بالذكر ان هناك عوائل عريقة انتمى بعض ابنائها الى نقابات التجار الكارمية مثل عائلة الكولمي نسبة الى كولم في سواحل الهند ،والخروبي نسبة الى الخروبة وهي قرية قرب العريش ورفح في مصر ، والحضرمي نسبة الى حضرموت من بلاد اليمن .

وقد ذكر ابن بطوطة اسماء عدد منهم : مثل التاجر نجم الدين الجيلاني الذي كان من كبار التجار وافاضلهم حيث بنى دارا عظيمة ومسجدا على حسابه الخاص ،والتاجر خواجه اسحق الذي زاد ماله وتنامى لخيراته الكثيرة واحسانه اذ خصص له زاوية يطعم فيها الوارد والصادر وينفق على الفقراء والمساكين[٣٧٠] .

" **ومنهم كذلك الناخوذة مثقال شهير الاسم صاحب الاموال الغزيرة والمراكب المتعددة وله تجارة رابحة في الهند والصين واليمن وفارس ، ومنهم ملك التجار تاج الدين ابن الكولمي الكازروني الوافد الى الهند من ارض الترك اذ اصطحب معه الى السلطان هدايا جليلة تضمنت المماليك والجمال والمتاع والثياب ، فاعجب بها السلطان واعطاه ما يساوي اثنتي عشرة مرة قيمتها وولاه مدينة كنباية واجتمعت عنده اموال الضرائب من السفن القادمة من مليبار وسيلان وغيرها** " [٣٧١].

وفضلا عن ذلك هناك مجموعات اخرى من التجار غير الكارميه وجدوا في جهات معينة من الهند اطلق على بعضهم اسم التجار الساهه **Sara naha** [٣٧٢] وهم من اكابر التجار في دولة اباد وسيلان ويختلفون عن الكارمية في امور منها ان غالبيتهم من غير المسلمين وانهم

---

(٣٦٩) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤ ، ص ٧٩.

(٣٧٠) ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ج٤ ، ص ٢٨،٢٩ .

(٣٧١) نتيجة لمكانته الكبيره حاول الوزير خواجه جيهان اعتراض بعض الاموال التي ارسلها الى السلطان وتدبيرمؤامرة لاغتيال ابن الكولمي ،لكنها باءت بالفشل .ينظر : الرحلة :ج٣ ،ص ١٦٧،٢٤٢،ج٤ ٤٥؛ .Sarjeant: Op.Cit.p., 629.

(٣٧٢) اصلها سارنها فاها بالسنسكريتيه ،وفي سيلان تسمى ساتياها .ينظر : النعيمي:المرجع السابق،ص ١٢٠ .

مختصون بتجارة الاحجار الكريمة والمجوهرات والعقيق والياقوت اكثر من تجارتهم بالتوابل وهم بذلك اقل شهرة من الكارميه(٣٧٣) .

وكذلك مجموعة التجار المعروفين بالصوليين (بالسنسكريتيه – **Chulia**) والتي تعني (الشيعة ؟) والذين وجدوا في مدينة كولم (٣٧٤) ومن المرجح أنّ نشاطهم انصبّ في التجارة البحرية ولاسيما التوابل ، وذلك لخصوصية مدينة كولم ومرساها البحري.

وقد ذكر أسم أحد هؤلاء التجار وهو التاجر علاء الدين الاوجي من العراق واستقر بمدينة أوجه **Ucch** . كما ذكر مجموعة صغيرة من طائفة البهرة الاسماعيلية المستقرين على ساحل مدينة قندهار **Gandahar** (٣٧٥) ، وكانت لهم مرافىء وتجارات بمختلف السلع والبضائع (٣٧٦) .

هذا الى جانب ذكر عدد من التجار الخواص الذين يتجرون للسلطان ويجلبون له المهم والنفيس من المواد التي يحتاجها مثل التاجر ابي الحسن العبّادي العراقي الذي يشتري للسلطان الاسلحة والسلع من العراق وخراسان (٣٧٧) .

ومن خلال ما تقدم يمكن القول ان الحركة التجارية في الهند في القرن ٨هـ /١٤م ومن خلال دور تلك النقابات كان مزدهرة نتيجة لازدهار تجارة التوابل وباقي الصادرات الهنديه مما أدى الى الانتعاش النسبي في الحالة الاقتصادية وذلك رغم حدوث عدد من المجاعات والكوارث الطبيعية ، كما ان احتياجات السكان كانت بسيطه فضلا عن ان هناك تفاوتا بين الطبقات ، فمثلا إن المردود الاقتصادي للتاجر أو الموظف الحكومي كبير نسبيا منه الى المزارع مما يدل على اهمية التجارة وعظم مردودها .

---

(٣٧٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤ ،ص ٢٢٥.

(٣٧٤)القزويني :المصدر السابق ، ص ١٠٧؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤ ، ص ٥٠ ؛ yule,H . :Op.Cit.,vol . 4.,p 20 ؛ Ahmad ,M.. :Op.,Cit., p., 8 .

(٣٧٥) ميناء مهم يقع جنوب كجرات وهي غير قندهار الواقعة في الملتان .

(٣٧٦) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص٣٠، ٤٩؛ Yule .H: Op.,Cit.,Vol.4 , p., 63..

(٣٧٧) ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج٣، ص ٢٣٤.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

المبحث الاول
الطبقات الاجتماعية والاديان

المبحث الثاني
الحياة العامة للهنود

كان لأبن بطوطة فضل في رسم وتوضيح وتعريف المظاهر الاجتماعية التي سمعنا بعدد منها لاول مرة ، ونظراً لكثرتها وتنوعها سنحاول تقسيمها على الاقسام الاتية :

المبحث الاول

الطبقات الاجتماعية والاديان

كان المجتمع الهندي في القرن ٨هـ/١٤م يتشكل من عدة طوائف بعضها عرقي وديني ، وأديان منها سماوي واكثرها وضعي . وكان لكل طائفة تاريخها وتقاليدها الخاصة واماكنها وطقوسها ، ونفهم من كلام ابن بطوطة ان أهل الهند كان اكثرهم من غير المسلمين وهم رعية تحت ذمة المسلمين ويسكنون القرى ويكون عليهم حاكمٌ من المسلمين ،كما أن الاسلام كان من اهمّ الديانات الموجودة في الهند والمناطق المجاورة لها أوعلى الاقل في المناطق التي وصل اليها الرحالة بنفسه ، ولذلك فقد كان الحكم السائد فيها هو الحكم الاسلامي منذ القرن ٦هـ / ١٢م المعروف بنزاهته وسماحته وقد ذكرنا في الفصل الاول كيف ان الهندوس وابناء الطوائف الاخرى غير الاسلامية قد اتيحت لهم الفرصة في الانخراط بالسلطنة الاسلامية وتابعوا اعمالهم ومسؤولياتهم مع غيرهم من المسلمين دون مشاكل تذكر ومن هنا يمكن القول بان الحياة اليومية للطوائف الهندية كانت مستقرّة بتأقلم السكان فيما بينهم ودون مصاعب ايضا .

ولعل اهم الأعراق والأديان في الهند هي :

١) **الهندوسية Hindus:** وهي ديانة الاريين (ذوي البشرة البيضاء) الذين غزو الجزء الشمالي الغربي للهند من أواسط أسيا في حوالي ٢٥٠٠ ق.م ، والذين أنعزلوا عن باقي سكان الهند الاصليين (ذوي البشرة السمراء) وحافظوا على أعراقهم النقية [٣٧٨] ، ومن الجدير بالذكر ان تلك الطائفة كان لها كتاب مقدس يمثل دستوراً لها يسمى (**الفيدا Veda**) وهي كلمة سنسكريتيه تعني (المعرفة) وتظم مجموعة من الاناشيد والحكم المتعلقة بحياتهم اليومية وعباداتهم ويرجع تاريخ ظهورها الى ما يقرب من ٤٥٠٠ قبل الميلاد وبعض اشعارها تمجد الالهة الهندية مثل الاله فارونا **Varona** اله السماء والاله سوريا **Sourya** اله الشمس ، والاله اجني **Agni** اله النار فضلا عن اندرا **Andara** اله الرعد والمطر ومنها اشتقّت ملحمتا المهابهارتا **Mahabharta** والرامیانا **Ramyana** [٣٧٩] وكانت تتالف من اربع اقسام : الرك فيدا **Rg Veda** والسام فيدا **Sam Veda** وهما الاناشيد اللتان تؤديان عند تقديم القرابين للآلهة ، ثم اليكر فيدا **Yakar Veda** وهي الصلوات والادعية واخيرا الاتهر فيدا **Artharval Veda** وهي التعاويذ والرقي [٣٨٠].

(٣٧٨) عبد الرحمن حمدي :الهند ،عقائدها واساطيرها ، دار المعارف ، (القاهرة–١٩٧٨) ص ٥٨ ؛ شلبي : المرجع السابق، ج٨، ص ٢٥٤.

(٣٧٩)البيروني : المصدر السابق، ص ٧٧ ؛ حمدي : المرجع السابق ، ص ٧٣.

(٢) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل ،دار المعرفة، (بيروت – ١٩٧٥)، ج٢، ص ١٠؛ Basham ,A . : Op.,Cit .,p 247.

وقد شاهد ابن بطوطة تلك الادعية والاناشيد تؤدّى من قبل مجموعة من الهندوس فيعدد من المعابد الهندية [٣٨١]. ومن تعاليم كتاب الفيدا أيضا هو الاعتقاد بأن **براهما Brahma** هو خالق الكون وان جميع البشر جاءوا من مانو مهاريشا **Mannu** أي (الولي العظيم) [*] على اربعة مستويات وعلى حسب النظام الطبقي والتقسيم الذي فرضه الاريون حيث جعلوا المجتمع الهندي على شكل أربع طبقات والمسمى بـ(نظام فارنا **varna**) كالاتي :

أ) الشاكبيرية **Shakberea** أو **البراهمة Brahman** :وتعني (السلطة المقدسة) وهم الاشراف ورجال الدين من اصحاب البشرة البيضاء (الارييون) ، وقد جاءوا من رأس مانو ولذلك فهم اكثر البشر قدسية واحتراما في الهند [٣٨٢]. وقد تحدث ابن بطوطة عن طائفة المرهتة **Marathas:** وهم طائفة عدّها أبن بطوطة من اشرف الطوائف الاجتماعية فضلا عن البراهمة وذلك لأعتدالهم في حياتهم اليومية ومعاشهم فهم لا يرون تعذيب الحيوان ولاياكلون غير الارز ويظهر عليهم التقشّف والزهد وهم بذلك اقرب الى طائفة الشاكبيرية ، واكثر مايوجدون في مدينة نذربار وجزائر ذيبة المهل والمالوه [٣٨٣] ولذلك فهم يعيشون حياة كريمة مرفّهه كالنبلاء .

ب) الكشترية **Kshatrea** : وهم طبقة رجال الحرب والسيف وقد اشار اليهم ابن بطوطة على انهم من الطبقات النبيلة التي لها الشرف في الدفاع عن ارضها اوقات الحروب وقد جاءوا من ذراعي مانو [٣٨٤].

ج) البيشية **Vaishya** أو الويشية وهم الصنّاع والزرّاع واصحاب المهن (ذوي البشرة السمراء) وجاءوا من سيقان مانو [٣٨٥]. وكان من ضمن هذه الطبقة طائفة الزط التورانيين **Jat** في غرب الهند والتي انصهرت في المجتمع الهندي ، ولكن أبن بطوطة لم يتفصّل بذكرها [٣٨٦]

---

(٣٨١) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٩٠.

(*) يمثل مانو مهاريشا ابوالبشر بالنسبة للهندوس تبعا للاساطير الهندية القديمة قبل ٢٠٠ ق.م ، وهوالذي سن لهم الامور التشريعية .ينظر :البيروني : المصدر السابق، ص ٧٧؛ حمدي : المرجع السابق ص٢٤ .

(٣٨٢) المسعودي : المصدر السابق ،ج١،ص ٩٣ ؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ص ٢٧.

(٣٨٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج ٤ ، ص ٢٧،٢٩ ؛ Basham ,A. :Op.,Cit .,p., 138.

(٣٨٤) اليعقوبي : المصدر السابق ،ج١ ،ص ٩٤ ؛ أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ،ص ٢٧ .

(٣٨٥) البيروني ، المصدر السابق، ص ٧٦ ؛ لم يذكر أبن بطوطة اسم هذه الطائفة صراحةً إلا انه اشار الى الصناع والحرفيين في ج٣،ص ٢٤٠ ؛.

(٣٨٦) عن طائفة الزط : ينظر : الطحطوح : "الزط في ظل الدولة العربية الاسلامية " ، مجلة جامعة تكريت ، مجلد (١٢) ، ع ٥ ، سنة ٢٠٠٥م ، ص ٣١-٥٩ .

د) الشودرية **Shudriya** : وهم من طبقة الخدم والعبيد . وقد ظهرت طبقة خامسة خارجة عن تلك الطبقات وهم المنبوذون **Out Castes** من قبل الطبقات الاخرى لانهم جاءو ا من قدم مانو[(٣٨٧)] .

ومن الملاحظ ان هذا النظام ظلّ يؤدي دورا مهما في مجمل الحياة اليومية لعامة سكان الهند وجزرها الشرقية [(٣٨٨)]

ويبدو أن ابناء هذه الطبقات يختلفون في كافة تفاصيل حياتهم اليومية وحتى في المنزلة الاجتماعية وما يترتّب عليها من فروق فردية بينهم وعلى سبيل المثال كان الزواج من طبقة الى أخرى صعوداً محرّما ويحقّ للبرهمن ان يتزوج اربع مرات وللكشتري ان يتزوج ثلاث مرات وهكذا [(٣٨٩)] ، ومن معتقداتهم ايضاً :القول بالتناسخ وهي ان تحلّ روح الاله في عدد من الموجودات وهو علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يكن منهم [(٣٩٠)] .

ومن هنا فأنهم يعتقدون ان الله (ﷻ) واحد ولكنه حلّ في عدد من الالهه التي عبدوها كالاله شيفا **siva** المعروف لدى الاريين بملك الغابات والوحوش ، وله عدّة وجوه وهو من اقدم الالهة والاله فشنو **Fishno** الذي يوجد صنمه في مدينة دينور **Denur** (دوندره) من الذهب [(٣٩١)] والاله براهما اله الخلق .

وكانت لديهم اماكن لممارسة طقوسهم الدينية ومواسم لتقديم القرابين والاحتفالات ، ففي داخل كل معبد يوجد صنم كبير من الذهب وتدور حوله عدد من المغنيات والراقصات عند تقديم الفروض والقرابين وتكون مجبيات المدينة وقفاً لهُ [(٣٩٢)].

كما ان الهندوس عبدوا الحيوانات وقدّسوها ولاسيما البقرة حيث تناولوا بولها للتطهير من عدد من الامراض وحرّموا ذبحها وكان جزاء من يفعل ذلك منهم ان يخاط جلده بجلدها ويحرّقان

---

(٣٨٧) البيروني : المصدر السابق ،ص ٤٨ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ص٢٤٨ ؛ شلبي : ألمرجع السابق، ج ٨ ص ٢٥٤.

(٣٨٨) ابن خرداذبة : المصدر السابق ،ص ٧١؛ حمدي : المرجع السابق ص ٢٢.

(٦) البيروني : المصدر السابق ،ص ٣٢ ؛ حمدي : المرجع السابق ،ص ٣١.

(٣٩٠) البيروني : المصدر السابق،ص ٣٣ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق، ج٢،ص ١٠.

(٣٩١) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ،ص ٩٠.

(٣٩٢) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ،ص ٩٠.

معاً [٣٩٣]. ولعل عبادة الحيوانات في الهند كانت قد نشأت عن الاعتقاد بالتناسخ كما اشرنا ، أي ان الله (ﷻ) يتجلّى في عدد من الاحياء فيحّل حلوله في هذا الحيوان او ذاك[٣٩٤] .

٢) **البوذية Buddhest** : وهم الهنود الذين يتبعون اراء احد الحكماء القدماء وهو جوتاما بوذا **Gotama Buddha** (٥٥٧ –٤٨٠ ق.م) أي (العارف المستنير) [٣٩٥] والذي جاء بتعاليم ناقدة ومناقضة لنظام الطبقات الذي فرضه الاريون على الهنود ومثّل ظهوره بمثابة الثورة ضدهم ، وقد انتشرت تعاليمه في الهند بواسطة الملك اشوكا (٢٩٤–٢٢٧ ق.م) احد الملوك المحاربين الهنود منذ القرن الثالث ق.م [٣٩٦] .وكان من اهم تعاليمه : اخماد الرغبة في الحياة وكبت المشاعر والاحاسيس ،والغاية من كل ذلك هي ان يصل الانسان الى حالة الهروب من الالم وتحقيق الصفاء او مايسمى بحالة النيرفانا **Nervana** [٣٩٧] .

وعلى الرغم من أن ابن بطوطة لم يذكر تسمية البوذية صراحةً إلا انه شاهد في مدينة تارنا **Tarna**الاثرية تماثيلا عديدة تعتبر رموزا للبوذية وشخوصها [٣٩٨] ، كما انتشرت من الهند البعدد من مناطق الجنوب لاسيما في جزيرتي سيلان وجاوه .

ومن الجدير بالذكر ان المذهب البوذي كان من اعدل المذاهب الوضعية التي سادت الهند على مدى طويل فقد قلّصت الفوارق بين الطبقات واتاحت بعض الحريات الاجتماعية بين تابعيها وكانت معروفة لدى سكان البلاد المجاورة وبخاصة من قبل العرب . وعلى الرغم من كل ما سبق لا تُعد البوذية اضافة في صميم العقائد الهندية بل هي اضافة في اداب السلوك وفلسفة الحياة وفي عرض الارآء على يد غير المستأثرين بها قديما [٣٩٩].

([٣٩٣]) البيروني: المصدر السابق،ص ٤٦٨؛ محمد بن أحمد المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق :غازي طليمات ،وزارة الثقافة (دمشق–١٩٨٠)،ص ٣٠٠ ؛ أبن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،٨١ .

(٤) شلبي : المرجع السابق، ج٨ ،ص ٢٥٨ .

([٣٩٥]) ولد بوذا من اسرة منعمه من طبقة الكشتريه ولفت نظره الفقر والبؤس لدى الطبقات الاخرى ولاسيما طبقة الشودرى فترك العيش الرغد وعاش سبع سنين يتأمل وينشر تعاليمه باحثا الحقيقة في الحياة .ينظر :النمر : المرجع السابق ، ص ٧٥.

([٦]) النمر : المرجع نفسه والصفحة .

([٧]) اسماعيل العربي:الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، الدار العربية للكتاب،(الجزائر ١٩٨٥) ،ص ١٤ .

(١) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص ٥٨.

([٣٩٩]) مجموعة مؤلفين: موسوعة الاديان في العالم ، مطبعة ناشونال ، (باريس – ٢٠٠٠)،ص ٢١١.

٣) **طائفـة البرهنكـار** Barah naksr : مرّ ابن بطوطـة وهو فـي طريقـه الـى الصـين بمدينـة سُنرَكاوان في البنغال والتي تبعد ثلاثة عشر ميلاً عن داكا **Dacca** وذكر وجود طائفـة البره نكار ويبدو من حديثه عنهم انهم يتمتعون بتقاليد غريبـة فهم طائفة متخلفة لا يرجعون الـى دين الهنود ولا الـى غيرهم ... يتعـاملون بالسـحر ..وسكناهم فـي بيـوت مـن القصـب مسقّفة بالحشـيش علـى شاطـىء البحـر .. ورجالهم عرايا لايستترون ومشوّهي الخلقة اما نساؤهم فلسن كذلك ولهّن جمال بـارع ، ويكـون للرجل منـهم ثلاثون امراة فمـا دون ذلك او فوقه [٤٠٠] وسلطان تلك الطائفة يتنقل علـى فيل وهو الوحيد الذي يستتر بالجلد . لقد روى الادريسـي تقاليد مشـابهة لسكان جزيرة البينمان او أندمان **Andaman** فذكر أنّ الرجل لايتزوج المرأة التـي يرفض اهلها تزويجها حتـى يقتل رجلا ويأتي بقحف رأسـه ، فلو قتل خمسين رجـلا زوّج خمسين أمرأة وشـهد لـه بالباس والقوّة [٤٠١] .

٤) **الاسلام** : علـى الرغم من عدم امتلاكنا لإحصـائيات دقيقة لأتبـاع الهندوسية ، والبوذيـة ، وأتبـاع الدين الاسلامي في الهند ، لكن من المرجح أن المسلمين كانوا أقليـة قياساً الـى الكل إلا أن ابن بطوطـة ذكرهم وكـأنهم يتمتّعون بالاغلبيـة ربّما لكثرة تعاملاتـه واحتكاكـه معهم وتجنّب الطوائـف الاخـرى . كمـا وجدوا بمختلف أعراقهم (كـالعرب والترك والفرس فضـلا عن الهنـود) وكـانوا هم الحاكمين ولـهم الكرامة والمنزلة والقوة ، ومنهم الوزراء والقادة فهم " **معظمون اشد تعظيم** " [٤٠٢] .

وأصبحوا يكونـون مجتمعاً آخر داخل المجتمـع الهنـدي الكبيـر وكـانوا منتشرين فـي اغلـب المدن الهندية التي زارها [٤٠٣] باستثناء عدد من المناطق التي تخلـو من المسلمين كالجبال مثلا وبعض الاماكن التي كانت تسكن منذ القدم من قبائل عدائية عنصرية لاتقبل التعامل مع الغير إذ لامجال للدخول اليهم على سبيل المثال مدينتي لاهري وكيرالا ، لذلك فهو كثيراً ما كـان يذكّر بأن اهل المدينة الفلانية كلهم مسلمون ، او ان الاسلام عندهم كثير .

كمـا ذكـر وجـود طائفـة السـامرة : او سـومرا **Sumra** : وهـم قبيلـة كبيـرة اصـلها مـن الراجبوت الذين بسطوا نفوذهم على اقليم السند بعد انتصار السلاجقة على الغزنويين عام ٤٣١هـ/

---

(٤٠٠) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٤،ص ١٠٧.

(٤٠١) الادريسي : المصدر السابق ، ج١، ص ٧٧ .

(٤٠٢) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤، ص٥٠ ، ٩٧ ؛ الشرقاوي : المرجع السابق ،ص ٢٦٩.

(٢) انتشر المذهب الشيعي في الهند منذ القرن ٤هـ/١٠م بنزوح الاسماعيلية اليهم ،اما السنة فقد عُزّزت بوصول الشيخ عبد العزيز الاردبيلي الى دلهي والذي كان تلميذ لابن تيمية ينظر :

Aziz Ahmad : Studies in Islamic Culture in Indian Environment, (Oxford -1964), p., 4 .

١٠٤٠م . وهم اصلا من الهندوس ثم اعتنقوا الاسلام وكان لهم امير يسمونه (وَنار **Wannar**) .ومن عاداتهم انهم منعزلون عن بقية الطوائف والناس في المجتمع الهندي في اغلب جوانب حياتهم اليوميه وتعاملاتهم ومصاهراتهم [٤٠٤] .

ومن المهم ان نذكر هنا ان تادية الفرائض والمناسك الاسلامية كانت تقام بتواصل وانتظام في الهند على المنوال نفسه الذي سارت عليه في باقي بلدان العالم الاسلامي ونفهم من الرحلة ان الصوم والحج والزكاة فضلا عن الصلوات الخمس وصلاة الجمعة كلها كانت تقام بحرية في دلهي ودولت اباد وباقي المدن الهندية التي وصل اليها كما شاهد بنفسه صلاة العيد في جامع كولم والذي كان المسلمون يحضرون اليه منذ المساء ويستمرون في التسبيح والتهجّد والدعاء حتى الصباح كما لاحظ اقامة صلاة الجمعة والتي لم تختلف عن اقامتها في الاماكن الاخرى من ناحية ادائها ومناسكها واركانها وذكر اسم الخليفة العباسي في نهايتها .. [٤٠٥] .

وتحدث كذلك عن الصدقات التي كانت تمنح الى الفقراء من الامراء والمنعمين ، وعن صوم شهر رمضان وصلاة التراويح في مساجد دلهي ، اما الحج فكان قائما ايضا وبشكل موسمي كما هو معروف ولكن نظرا لبعد المسافة بين دلهي والديار الاسلامية المقدسة (في الحجاز) ووعورة الطريق البري وصعوبته فقد كان عدد الحجاج الهنود قليلا ولذلك لم يحدثنا الرحالة عن مرافقته لأيّ من قوافل الحجيج الهندي .

اما بصدد **اليهود والنصارى** فقد كانت معلوماته قليلة عنهم نظراَ لان وجود هاتين الطائفتين قليلا نسبيا بالمقارنة مع المذاهب والطوائف الاخرى ، اذ ان الرحالة لم يتحدث عنهم الا عندما وصل منطقة كيرالا **Kerala** قرب مدينة كنج كري التابعة لكولم إذ وجد هناك حيّ يسكنه اليهود باعلى احد الجبال .وكانوا يؤدون الجزية لسلطان المسلمين فيها [٤٠٦]، وقد اكد المستشرق سيكال **Secal** وجود الجالية اليهودية في المنطقة نفسها حتى اوقات متاخرة بعد زيارة الرحالة اليها [٤٠٧] .

وعلى الرغم من أنه وجد كنيسة للنصارى عندما مرّ بقرية انجديف **Anjadeve** قرب مدينة جوا الساحلية [٤٠٨] إلا انه لم يذكر كنيسة مار توما او توماس الرسول الذي نشر النصرانية في

---

(٤٠٤) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ،ص ٧٩.

(٤٠٥) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٤،ص ٨٠ ؛ الشرقاوي : المرجع السابق ،ص ٣٢١ ؛ Mujeeb ,M. : op.cit .p., 204

(٤٠٦) الرحلة ج٤ ص ٣٩.

(٤٠٧) الرحلة: ج٤،ص ٤٩، هامش (١٢٩) نقلا عن (J.Segal: Ahistory of The Jews of Cochin) .

(٤٠٨) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣١.

الهند [٤٠٩] وربما يعود السبب في انه لم يعتن بذكر الطوائف والاديان الاخرى الى فطرته الاسلاميه المحضة [٤١٠] .

والجدير بالذكر هنا أنه لم يشر الى عدد من الطوائف والاعراق المعروفة مثل طائفة البيكور التي نشأت في سيلان وعرفت بحبها للعرب والمسلمين نتيجة لتعاملاتهم التجارية ومصداقيتهم في البيع والشراء فضلا عن عدم ذكره طائفة الياكسوس **Yaksos** سكان جزيرة سيلان الاصليين الذين كانوا يعبدون قوى الطبيعة وسموها بجزيرة الثعابين تقديساً لها ، وكذلك طائفة السنهاليين ثم طائفة التاميل النازحة من الجنوب الهندي والذين نشروا الديانة الهندوسيه [٤١١] ولم يذكر طائفة عبّاد الماء (الجهكلية) التي تعتبر الماء اهم عناصر الطبيعة واصل ولادة كل شيء ، أو طائفة عبّاد النار(الاكنوطرية) الذين وجدوا في الهند في تلك المدة وربّما وصلتهم من الفرس الذين كانوا اوّل من عبدوها وعظّموها [٤١٢].

هذا الى جانب عدد كبير من الاسر العربية والفارسية والتركية التي هاجرت الى الهند كمعارضة سياسية أو لاسباب أقتصادية والتي ربما انصهرت في المجتمع الهندي [٤١٣].

يظهر مما سبق أنّ أبن بطوطة لم يعن بالحديث عن افراد المجتمع من ابناء الطوائف الفقيرة ولم يذكر احوالهم بما فيه الكفاية ، قدر عنايته بالحديث عن الامراء والملوك ، ولكنه بيّن وجود فوارق حادة بين طبقات المجتمع عموما عندما تحدث عن طبقة السامرة المشار اليها وميّزهم عن غيرهم[٤١٤] .

المبحث الثاني

الحياة العامة للهنود

([٤٠٩]) حول توماس الرسول والنصرانية في الهند ينظر : طافور: المصدر السابق ،ص ٩١.

(5) Gibb,H:The Travels … vol. 1 ,p., 3.

([٤١١]) الطحطوح : سيلان .. ، ص١٦.

([٤١٢]) الرامهرمزي : المصدر السابق ،ص ١١٨؛ ابو الفدا: المختصر ..ج١،ص١١٧؛النويري : المصدر السابق ، ج١، ص ١٠٦.

([٤١٣]) النويري : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩١؛ابو اطهر المباركبوري : "من النارجيل الى النخيل" ، مجلة ثقافة الهند ، مج ١٦، ع٣، عام ١٩٦٥، ص ٩٨.

(٢) خصباك : المرجع السابق ،ص ٢٢٨.

١) **المراسيم والتقاليد السلطانية** :- وهي مجمل الاجراءات المتخذة من السلاطين والامراء في تعاملاتهم الداخلية ، فقد كان لسلاطين الهند بعامة وللسلطان محمد تغلق بخاصة مراسيم اجتماعية في استقبال الوافدين على بلاطه من امراء وغرباء وعلماء ...وكان من عادته ان يكرم كل قادم اليه بهدية تعادل قيمة ما جُلِبَ لهُ اضعافاً ، ويبدو ان الهدية كانت تشكّل معلما مهماً من معالم الحياة الاجتماعية على الاقل لدى السلاطين والامراء . كما كان يفضل الاجانب والغرباء ولاسيما الوافدين اليه من البلاد العربية وذلك الامر لفت انتباه رحالتنا خاصةً وهو غريب .وقد مرّ بنا مصداق ذلك في الفصل الاول عند الحديث عن وزراء وحاشية السلطان محمد تغلق الذين كان معظمهم من الغرباء حيث راعى غربتهم واكرمهم وخصّهم بالولايات والمراتب الرفيعة ، وزيادةَ في هذا التقدير والاحترام للغريب فقد نفذ السلطان أمرهُ في تسميتهم بـ(**الاعزّة ، فصار لهم ذلك اسما علما** ")[٤١٥] .

وما يؤيد ذلك ايضا هو ما كان يقوم به تجار السند والهند بتسليف الوافدين من العرب وغيرهم الاموال وتقديم الهدايا لهم ، اذ انهم كانوا يثقون ثقة كبيرة بالغريب كما اننا لم نعثر على نص يذكر ان اولئك التجار كانوا ياخذون اموالهم المقروضة بالربا او حتى بتسجيل عقد يضمن حقهم من الغريب . كما كانت له مراسيم خاصة عند خروجه في الاعياد والسفر والصيد ، والنصوص الاتيه المقتبسة من الرحلة تبين لناعدد من المراسيم :-

أ) في الاحتفالات التي تسبق أعياد المسلمين يبعث السلطان الى الوجهاء والوزراء والعبيد ،الخلع والهدايا ، وفي صباح اليوم الاول للعيد " **تزيين الفيلة كلها بالحرير والذهب والجوهر ويكون ستة عشر منها لايركبها احد بل تخصص لركوب السلطان ...ويمشي بين عبيده ومماليكه ..وعلى راس كل منهم شاشيه ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب ...ويمشي بين يديه النقباء ايضا وهم نحو ثلاثمائه** ..." [٤١٦] وقد تكون هذه المظاهر المبهجة تحتوي على المبالغات ولكنها ان دلت على شيء فانما تدل على عناية الهنود بافراح العيد واحتفالاته.

ويبدو ان ابن بطوطة قد تاثر بتلك المراسيم إذ وصف قصر السلطان يوم العيد والذي يغطى بخيمة عظيمة تسمى (الباركة) وتتسع لجميع المهنئين والمحتفلين ويسلم السلطان عليهم من فوق سريره المرتفع نسبيا عنهم . ومن العادات ألجيّدة للسلطان محمد تغلق انه كان يجمع اموالاً

---

(٤١٥) فضلا عن تسميتهم احياناً بالخواجة. ينظر : ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ص ٧٥،٢٤١.

(٤١٦) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ص ١٥٨.

موضوعة في كيس (مصرورة) من حكام الاقاليم والقرى الذين يأتون للتهنئة ويقدمها منحة او مساعدةً لمن يشاء من الفقراء والمعدمين وهي بمثابة زكاة لموارد تلك الاقاليم ، وكان يشترط على الحكام ان يكتبوا اسماءهم على المصرورات ويبدو انه كان يريد من وراء ذلك معرفة الممتنعين والمتخلفين عن الدفع ، وكان من عاداتهم ايضا ايقاد مدخنة بخور كبيرة وعالية مصنوعة من الذهب تخرج دخانا طيّب الرائحة حيث يحرقون بداخلها العود القماري والقاقلي والعنبر الاشهب و الجاوي حتى يعمّ دخانها القصر كله ويسمونها (**المبخرة العظمى**)(٤١٧) .

وكان العبيد والخدم يرشون الحضور بماء الورد في اوانٍ من الذهب والفضة ثم تبدأ مظاهر البهجة والسرور عندما يدخل المطربون والعازفون ويبدا الرقص والغناء ، وكان الهنود يحتفلون ايضاً عند رجوع السلطان محمد تغلق من السفر أو الغزو ، اذ " **تزيين الفيلة ... منها مزركشة ومنها مرصّعة وتوضع قباب مقسومة على طبقات وتكسى بثياب الحرير ويكون على كل طبقة الجواري المغنيات وعليهنّ اجمل لباس واحسن حلية ..وتزيّن حيطان الشارع الذي يمرّ به من باب المدينة الى باب القصر بثياب الحرير ويمشي امامه المشاة من عبيده وهم الالاف وتكون الافواج والعساكر خلفه** " (٤١٨) .

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ خروج السلطان من القصر لم يكن الا لأمور مهمة كأن يقود جيشه لمواجهة عدو او للقضاء على تمرّد أو ليلتقي بعدد من الاصدقاء أو للصيد حيث يصطحب معه عدد من الوزراء فضلا عن الطباخين ..(٤١٩) .

ان مجمل تلك الاحتفالات والمظاهر ولاسيما فيما يتعلق بتزيّن الفيلة وركوب السلطان على احدها أُكّدت من قبل عدد من الرحالة الذين زاروا المنطقة بعد عدّة قرون من زيارة ابن بطوطة لها (٤٢٠).

ب) امّا عطاء السلطان وإكرامه للمقربين والغرباء ، فهو تقليد أطنب في وصفه ابن بطوطة اذ انه عدد عطاءات مغريه وكبيرة ربّما كانت سببا في اقبال عدد من اهل العلم والفضلاء بل وحتى الساسة على ممارسة نشاطاتهم وحياتهم اليوميه في الهند وقد مر بنا قدومابن الخليفة العباسي الى دلهي واقامته فيها ، وكانت لمحبة السلطان له "**ان اعطاه عطاءا جليلا ،وكان يقوم له متى**

---

(٤١٧) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ص ١٦٠.

(٤١٨) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣ ص ١٦٢.

(419) Mujeeb,M .: op.cit, p., 205 .

(٤٢٠) ومنهم الرحالة محمد بيرم التونسي (١٢٥٦-١٣١٧ هـ/ ١٨٤٠- ١٩٠١م) زار عدد من دول العالم كاوربا ومدن الدولة العثمانية ، فضلا عن الهند والصين ودول جنوب شرق اسيا .ينظر :محمد بيرم التونسي:صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ،دار الكتب (بيروت-١٩٩٧)،ص ٧٠.

دخـل عليـه ويعظمـه " [٤٢١] ، كما ذكر عطاء السلطان لحاجي كاون وهو ابن عم ابي سعيد سلطان العراق [٤٢٢] الذي وفد على السلطان محمد تغلق واعطاه ثلاث صينيات احداها مملوءة يواقيت والاخرى زمردا والاخرى جواهر [٤٢٣] .

هذا فضلا عن عطاءات اخرى لعدد من رجال الفقه والعلم. امّا ما يأتيه من الهدايا فهي مختلفة بحسب طبيعة ومركز من يفِد اليه فكان هناك تقليد طريف في ذلك وهو ان كل من يتخلف عن مجلس السلطان لثلاثة ايام فصاعدا دون عذر مشروع فعليه ان يقدم هدية على قدر مقامه الاجتماعي وحالته المادية ، فالفقيه يهدي المصحف والفقير يهدي المصلى (السجادة) والسواك والسبحة ، والامراء يهدون الخيول والجمال والسلاح فضلا عن هداياهم المقدمة الى السلطان في اوقات المناسبات ، كالهدية التي اهداها الوزير خواجه جيهان الى السلطان محمد تغلق وتضمنت " **صينية مملوءة بالياقوت واخرى مملوءة باحجار الزمرّد واخرى باللولؤ الفاخر** " [٤٢٤].

وفي جزائر ذيبة المهل ينبغي على القادم الى القصر ان يقدم ثوبين من الحرير للسلطانة ولزوجها الوزير ، وكان من عاداتهم في تقديم فروض الطاعة والولاء ايصال السبّابة بالارض ثم تقبيلها ووضعها على الرأس . اما في جزيرة جاوة فذكر أن سلطانها يسلّم على ضيوفه بالمصافحة ويستضيف الغريب ثلاثة ايام ومن ثم يبدأ السؤال معه [٤٢٥]وهكذا فهي قريبة من التقاليد العربية الاصيلة .

ج) ومن عادات السلاطين والملوك الهنود تحريمهم لشرب الخمر ومعاقبتهم للسراق ، وهذا ما ذكرته عدد من المصادر العربية القديمة [٤٢٦] واكدها ابن بطوطة ، ومن الروايات الواردة في هذا الشأن : أنّ من يشرب الخمر يعاقب بالجلد ثمانين جلدة ويسجن في حفرة مطمورة لثلاثة اشهر لاتفتح إلا للطعام ، مما يدل على تنوّع العقاب بين جسدي ونفسي وفقدان المكانة الاجتماعية ، كما تحدث عن عقوبة أشدّ في حالة السرقة حسب النص الاتي : " **ان رجلا من اقارب السلطان**

([٤٢١]) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ص ١٦٨ .

([٤٢٢]) هو موسى خان بن علي اعترف به لمدة قصيرة كخلف لابي سعيد ثم قتل على يد الشيخ حسن في عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م في العهد الجلائري ،ولقب كاون تشريفي ويعني خان بالتركية . ينظر : الرحلة ،ج٣ ص ١٦٨ هامش رقم ٥١ .

([٤٢٣]) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ص ١٧٢ .

([٤٢٤]) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣ ،ص ١٥٨.

([٤٢٥]) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣ ،ص ١٥٢ ؛ ج٤ ،ص ٦٢ ، ٧٤، ١١٤ .

([٤٢٦]) على سبيل المثال انظر :المقدسي : المصدر السابق ،ص ٣٠٠ ؛ الرامهرمزي : المصدر السابق ، ص١٥٧ .

في كولم اكل حبة عنب من مزرعة دون ان يستأذن فقُتل ووسّط . وان رجلا اخر اخذ سيفا من احد التجار [دون ان يعطيه اجره] **وشكاه للسلطان فقتل بالسيف** " [٤٢٧] وهكذا فقد عدت السرقة في عدد من الاماكن كالمليبار من الكبائر حتى ولو كان المعتدى عليه من ابناء الطوائف الاخرى . وتلك العادات انما جاءت متوافقة مع تعاليم الدين الاسلامي والقاضية بتحريم الشرب وتحريم السرقة والمعاقبة على ذلك . قال تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ [٤٢٨] وكذلك قوله تعالى ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز** ﴾ [٤٢٩] وبالمقابل فقد أكد ابن بطوطة ان الشرفاء والفضلاء في بلاد الهند يعظمون اشد تعظيما وخاصة المسلمين منهم [٤٣٠].

د) اما لقاءات السلطان بالناس في الايام الاعتيادية فيكون بعد العصر يوميا في المشور (القصر) حيث يجلس على مصطبة مفروشة بيضاء ويجعل خلفه مخدة كبيرة وعن يمينه ويساره متكأً "**وجلوسه يكون كجلوس الانسان للتشهد في الصلاة** " [٤٣١] .

٢) **الطقوس والمناسك الدينية للهنود** : اما الطقوس الدينية المعروفة لدى الهندوس البراهمه فهي : الحج الذي كان يقام على مدار السنة دون موسم معيّن الى المكان المقدس الذي يحجون اليه وهو نهر الكنج ، وصنم الملتان ، اما الحج عند سكان جزر سومطرة وجاوة وسرنديب وجزر ذيبة المهل فقد ذكر أبن بطوطة انه يكون عند قمة جبل آدم(عليه السلام) الذي هو احد المعالم الدينية والاجتماعية في جزيرة سيلان ويقع في قمّة جبل الراهون قرب بحر هركند وهو شاهق الارتفاع لمسافة تقدّر بسبعة الاف واربعمائة وعشرين متراَ (أي حوالي خمسة أميال) ويرى من مسافة بعيدة حيث قال : " **ولمّا صعدناه كنّا نرى السحاب اسفل منا وقد حال بيننا ورؤية اسفله** " [٤٣٢]. وهو صعب الطلوع واثر القدم فيه واضحا مغموسا في الارض بعمق سبعين شبراً [٤٣٣].

---

[٤٢٧] أبن بطوطة : المصدر السابق ،ج٤،ص٢٧، ٥٠ . ونلحظ هنا ان العقاب كان اشد مما نصّت علية الاية .

[٤٢٨] القرأن الكريم / سورة المائدة ، اية ٩٠.

[٤٢٩] القرأن الكريم / سورة المائدة ، اية ٣٨.

[٤٣٠] أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ،ص ٢٩.

[٤٣١] أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣ ،ص ١٥٢.

(١) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٤ ،ص ٨٦.

[٤٣٣] أبن بطوطة : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

وكان المسلمون الهنود يقصدونه للحج والتبرّك وطلب الحاجة في حين يعده الهندوس مقدساً لاحتوائه على جثمان (سوجز موبار) **Sujes Mubar** احد كبار مؤسسي نظامهم الديني وقد وصل ابن بطوطة اليه بوساطة احد الادلاء واشار الى ان المسلمين والهندوس الزائرين كانوا يضعون الذهب واليواقيت على القدم والضريح للتبرك ، فيأتي الفقراء لأخذها .(٤٣٤)

ومن الطقوس الاخرى التي أثارت عنايته ومما وجدنا له اساسا في طبيعة التقاليد الهندوسيه هي **ظاهرة الساتي Sati** والتي تقضي بأن تحرق المرأة الارملة نفسها بعد وفاة زوجها أحياناً، واصل تلك العادة نشأ عن طبيعة الزواج المبكر إذ ان كثيراً من النساء يترملن وهن صغيرات السن بسبب وفاة ازواجهن ، ولعلها ظهرت من عادات الفروسية فيعدد من المناطق كمملكة البلهرا احدى ممالك الهند فعند وفاة الملك او الفارس يحتضر محبيه وملحقاته لوفاته ، كما يضيف أبن بطوطة حالة أخرى للحرق وهي أن الملك يحرق نفسه وجماعة من اهله وحاشيته لعدم استطاعته توفير الحماية والامن لمجيره ، وعندها يسمّى هذا التقليد بـ(جوهار) **Johar**(٤٣٥). أن ذلك يدل على أنّ هذا التقليد لم يكن مقتصرا على النساء فحسب بل كان للملوك نصيب من ذلك .

تعد هذه العادة من اهم الظواهر التي لفتت انتباه الرحالة المسلمين الذين زاروا الهند قبل ابن بطوطة كاليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) ، والرامهرمزي (ت بعد ٣٤٠هـ/٩٥٦م) ، والمسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ، والبيروني (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) .

وبالرغم من ان تلك العادة كانت خيارية او امرا مستحبا الا انه في بعض الاحيان كانت الارامل يجبرن على الحرق ، وقد حاول عدد من المؤرخين تعليل تلك العادة الصعبة التي تتجلى صعوبتها في القدرة الهائلة على تحمل العذاب والحرارة معا ، فهناك من عدّها حالة خاصة بطبيعة الهندوس الذين يعذبون أنفسهم بانواع العذاب من دون الامم (٤٣٦) مما يعني أنّ تلك الظاهرة كانت بالفعل نابعة من صميم التقاليد الهندوسية ولم تكن متأثرةً بتقاليد المناطق المجاورة . وقد أرجع عدد من المؤرخين اسباب الحرق الى تعلق الرعية بالملوك وحبهم لهم (٤٣٧).

اما البيروني فيروي عن الهنود "**أنّ للحيّ الحق في جسده فلا يميل فيه الى الاحراق إلا الارملة التي تؤثر إتّباع زوجها ..وإنّ من حق الجثّة على الورثة أن تغسل وتعطّر وتكفّن ثم**

---

(٤٣٤) القزويني : المصدر السابق ،ص ٢١٠؛ التجيبي : المصدر السابق ،ص ٢١٩ ؛أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ص٨٨ ؛ الزياني : المصدر السابق ،ص ٢٥٥؛ بولو : المصدر السابق ،ص ٣١١؛ أبن خلدون : المقدمة ،ج١،ص٤٧ .

(٤٣٥) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٠ ، ص ٢٠١، هامش ١٠ ؛ حمدي : المرجع السابق ص ٢١.

(٤٣٦) المسعودي :المصدر السابق، ج١ ،ص٢٣٢ .

(٤٣٧) اليعقوبي : المصدر السابق ، ج١،ص ٧٢؛ المروزي : المصدر السابق، ص ٢٨.

تحرق.. ." [٤٣٨] ،وفي ذلك اشارة الى اعتقاد الهندوس بضرورة تعذيب النفس من أجل الوصول الى النعيم الابدي بعد الموت . كما روى الرحالة ماركو بولو عن الحرق عدد من النصوص حيث وصفها بالعادة الشريرة [٤٣٩] .

وقد خبر ابن بطوطة تلك التقاليد الهندية اذ اكدها بتفاصيل ممزوجة بالدهشة حين يقول :" **كنت بمدينة اكثر سكانها من الكفار تعرف بأمجري ..ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهنّ على احراق انفسهنّ اقمن قبل ذلك ثلاثة ايام في غناء وطرب واكل وشرب كأنهن يودعن الدنيا ..وفي صبيحة اليوم الرابع اتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها وفي يسراها مراة تنظر بها على وجهها والبراهمة يحفون بها واقاربها معها وبين يديها الاطبال والابواق والانفار ..والنيران قد اضرمت قرب ذلك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها روغن كنجت وهو زيت الجلجلان فزاد من اشتعالها ..فرايت احداهن .. رمت بنفسها في النار ..ورمى الرجال ما بايديهم من الحطب عليها .. ولما رايت ذلك كدت اسقط عن فرسي لولا اصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت .** "[٤٤٠]

ويظهر من خلال هذا النص ان لهذه العادة طقوساً خاصة كما فيعدد من التقاليد الهندوسية الاخرى ، كما انها كانت تثير الناس وترهبهم وتدل أخيراً على مدى العذاب النفسي والجسدي الذي يتأتى من النار المستعرة ، ولاشك ان هول ذلك الموقف أدى بالتالي الى ان يفقد أبن بطوطة صوابه ويسقط على الارض مغشياً عليه. [٤٤١]

في الواقع تأتي شهادة ابن بطوطة هنا تاكيداً لما ذكره السابقون له عن ذلك التقليد ، ومن جانب أخر فقد اكدّها الرحالة الذين جاءوا بعده ولاسيما منهم : الرحالة الايطالي دي كونتي في منتصف القرن ٩هـ/ ١٥ م الذي تحدث عن مثل تلك العادات وراى امرأة هندية هربت الى مصر رفضت اداء تلك العادة [٤٤٢].

ويبدو من خلال ما ذكره ابن بطوطة أزاء هذه العادة في الهند ان الايمان بالحياة بعد الموت كان معتقدا مهما موجودا لدى طائفة البراهمة حيث شاهد في احدى المناسبات المرأة التي

---

(٤٣٨) البيروني : المصدر السابق ،ص ٤٧٩.

(٤٣٩) بولو ، المصدر السابق، ص ١١١

(٤٤٠) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٠.

(1) Dunn ,R .:Op.,cit ., p., 240 .

(٤٤٢) طافور :المصدر السابق، ص ٨٧.

حرقت نفسها وهي تضحك والناس يقولون لها " **ابلغي السلام الى ابي اواخي أو امي او اصحابي ،وهي تقول: نعم وتضحك اليهم** .." [٤٤٣] .

ومما يجدر القول هنا أن ابن بطوطة لم يرض عن عادة حرق الموتى لدى الهندوس في حين ابدى اعجابه بمراسيم الدفن وبعض عادات الهنود المسلمين في زيارة القبور حيث " **وعادتهم أن يجعلوا نعل الميت عند قبره فوق متّكأه وكان اذا وصل القبر خدم له كما كان يخدم له ايام حياته** " ،" **ثمّ يؤتى بالفيلة والخيل فتربط عند باب التربة وهي مزينة ..ويرتّب القراء لقراءة القرآن بالاصوات الحسان والمدّاحين ...وهو يسمون بالارباب** " [٤٤٤].

وفضلا عما ذكر فهناك عادة اخرى اقل شيوعاً من الحرق ، وهي الغرق الذي لا يكون الا في نهر الكنج المقدس **gange** وكانوا يزعمون ان من يفعل ذلك منهم يمكنه التقرّب إلى الاله كرشنا او (كساي) أي الله(عَزَّ وَجَلَّ)[٤٤٥] ، وقد اكّد عدد من المؤرخين ذلك بذكرهم لقدسية ذلك النهر من قبل الهندوس وعده نابعا من الجنّة ، فضلا عن رميهم لرماد الموتى فيه : " **وإذا مات ميت احرقوه وذروا رماده فيه ليصل الى عين الخلد والبقاء ..ويضنون ان ذلك مطهراً لآثامهم**"[٤٤٦] .

أنّ كل ما ذكر عن عادتي الحرق والغرق يدل على أن غالبية الهندوس يقرّون بوحدة الوجود ، رغم عدم إيمانهم بالنبؤات ، وما كانت عباداتهم للأصنام ولبعض قوى الطبيعة ، أو قولهم بالتناسخ إلا ليقربهم ذلك الى الله الخالق (عَزَّ وَجَلَّ)[٤٤٧] ،ويتّضح كذلك أنّ الاسلام أثر إيجابياً في الحد من تلك الظاهرة التي كانت منتشرة الى حدَ كبير خلال القرون الهجرية الاولى ولكنها قلّت في القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد بدليل أن ابن بطوطة لم يذكر سوى ثلاث روايات عن الحرق رغم بقائه قرابة عقد من الزمن في تلك المناطق .

---

(٤٤٣) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٠٠. ومما يؤكد ذلك هو وجود مقابر(قبل مجيء العقائد الهندوسية) في حضارة الهند القديمة تدل على مراسيم الدفن عندهم حيث كانوا يدفنون مع الجثة ادواتها اللازمة في الحياة مثل الاواني والادوات الشخصية وما يتعلق بالزينه والحمام ينظر: الندوي : الهند القديمة ، مطبعة الشعب ،(بغداد –١٩٧٠) ، ص ٤٦.

(٤) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ،ص ٢٤٣.

(٤٤٥) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٣، ص١٠٠.

(٤٤٦) ابو الفدا : المختصر..ج١،ص ١١٧؛النويري : المصدر السابق ،ج١، ص ٢٧٢ ؛ شيخ الربوة :ألمصدر السابق، ص ١٠٠.

(٤٤٧) أبن الفقيه: المصدر السابق، ص ١٤ .

٣) **الخرافات والاساطير**: وهي من الظواهر المعروفة في تلك المناطق منذ القدم ، وكانت من اهم المظاهر التي شدّت أنتباه الرحالة في الهند كما استغرب من طقوسها واماكن ممارستها كثيراً الا انها كانت عادية لسكان الهند ، وقد اطلق على طائفة السحرة في المجتمع الهندي اسم الجوكية [٤٤٨] والبعض من المؤرخين يرون ان حركاتهم وممارساتهم تشبه الى حدّ ما ممارسات رياضة اليوغا (**Yogi**) [٤٤٩] واتفق بالراي هنا مع من أكّد انهم فعلاً اليوغيين بالمفهوم الحديث [٤٥٠].

وكان من ابرز صفاتهم التي عددها ابن بطوطة هي قدرتهم العاليه على التحمل والصوم لمدة طويلة وان اغلب طعامهم من الحبوب ولا يأكلون اللحم مطلقا ويدعون انهم يعرفون المجهول ويحدثون بالغيب كما ان لهم نظرة تصيب ولهم قدرة على الارتفاع عن سطح الارض لمسافة تزيد على اربعة امتار وبعضهم يحلق شعر رأسه ووجهه ، ويُعتقد ان بعضهم يمكنه التحوّل الى صورة حيوان اوسبع وقد ذكر بهذا الصدد(والحديث على ذمة ابن بطوطة) قصة عن السبع الذي يغير على مدينة بروان **Barwan** **في** اقليم كوليور ويفترس الناس وكانوا يسكنون في مدينة كاجورا Khajuraho وذكر ان البعض منهم يعتنقون الاسلام وقد تعلموا السحر منهم حيث التقى مع احدهم في مدينة انجديف قرب هنور وعند الحديث معه (بالاشارة) عرف انه مسلم يصلي ويذكر النبي محمد (ﷺ) كما رأى مسلما يتعلم فنونهم في مدينه منجرور [٤٥١].

فضلا عما ذكره ان السحرة لم يكونوا من الرجال فحسب بل ان عدد من النساء كنّ يأكلنَ قلوب الاطفال ومن تفعل ذلك منهن تسمى (كفتار **Kuftar**) ، وللهنود طريقة في كشف الساحرات منهن وهي ان يربطوها بحبل ويرموها في البحر فاذا طفيت على سطح الماء ولم تغرق

---

(٤٤٨) وكذلك سماهم عدد من الجغرافيين والرحالة السابقين الذين تحدثوا عن طائفة اخرى ايضا هي (البوكية) ، بأستثناء الرامهرمزي الذي لم يذكر تسميتهم .ينظر : الرامهرمزي :المصدر السابق ، ص١٥٨ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ،ص ٥٧ ؛ أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ،ص٢٠ .

(٤٤٩) اليوغا اساليب وممارسات رياضية وفنية تهدف الى تحقيق حالات سحرية وقوى اعجازية مثل القدرة على تعليل الجاذبية وابطاء الانشطة الحسّية والتحكم بالتنفس ورؤية الاشياء غير المنظورة وقراءة افكار الاخرين وكانت لها ثلاثة اساليب : (الكارما) وهي اتباع طريق الاعمال الصالحة ،و(جنانا) وهي اتباع طريق المعرفة ،و(باكني) وهي اتباع طريق الحب الالهي .الجدير بالذكر ان البراهمة كانوا لا يعترفون بفلسفة اليوغا ولذلك فقد اصبحوا طبقة مستقلّة بذاتها . ينظر : حمدي : المرجع السابق ،ص ٦٦،٦٨.

(450) Mujeeb,M .: op.cit، p., 233 ؛ Beckingham, J. : In Search of Ibn Battuta , Asian Affirs , vol .8 , 1977, , p., 20 .

(٤٥١) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤،ص١٩، ٢١

فانها اكلت قلب طفل أي انها كفتار [٤٥٢] والكفتار لفظ فارسي يطلق على حيوان صحراوي يسمى ايضا بـ(الداين) ، والمرأة الكفتار جاء اسمها لانها تستخدم هذا الحيوان في سحرها [٤٥٣] .

وهذا يعني ان الرحالة انفرد بذكر بعض الامور عنهم من خلال معايشتهم ومشاهدة سحرهم .وقد اكّد ذلك الرحالة الايطالي دي كونتي عن مشاهدته لأناس "**بارعون كل البراعة في فنون السحر وهم مبحرون في البحر الاحمر ويتشاورون مع الشياطين** .."[٤٥٤] وذلك عند زيارته للهند بعد ابن بطوطة مما يقرب من القرن ، وربما تكون بعض افعال وممارسات تلك الطائفة ضربا من الاساطير والعجائب التي ملأت عدد من صفحات الادب الهندي وأدب الرحلات في العصور الوسطى وهي اثار ووقائع ومرويات وردت ايضا عند الجغرافيين والبلدانيين وليس ثمّة ما يثبت حقيقتها ولا مايقطع بطلانها [٤٥٥] .

وقد شكلّت عدد من الافكار والاساطير جانباً من ادب الرحلات ولاسيما رحلة ابن بطوطة واذا ما استقصينا هذا الادب وامعنّا النظر فيه منذ نشأته وحتّى القرن الثامن للهجرة لوجدنا ادبا اسطوريا جمّا ولعل من تصّدوا لادب الرحلات لم يولوا هذا الجانب اهتمامهم الا ما ذكروه من اساطير مبعثرة على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء والتحليل ومقارنة اساطير الشعوب بعضها ببعض [٤٥٦]، ومن العجائب والمبالغات التي استأثر بها ابن بطوطة في الهند حكاية الفيران التي تأكل الرجال في قلعة ديوجير وحكاية امير قرية علابور (قرب كواليور) وهو بدر الدين من اهل الحبشة والذي كان ياكل الشاة عن اخرها في اكلة واحدة ويشرب بعدها رطلا ونصف من السمن او قصّة الشجرة العجيبة في مدينة ده فتن والتي فيها ورقة مكتوب عليها (لااله الا الله ، محمد رسول الله) وانها تعالج الناس من الامراض المختلفة وكانت بذلك سبب اسلام الكثير من الهندوس ، او حكاية النساء ذوات الثدي الواحد في جزائر ذيبة المهل [٤٥٧] .

٤) **الاعياد والاحتفالات العامة** : كان الهنود بكل طوائفهم يعيشون حياة بسيطة ولكن مع هذا كانوا يحبون الافراح ، ومظاهر البهجة وفي هذا المجال كان بعضهم يبذر الاموال في المناسبات والاعياد ، ولعل ابرز اعياد المسلمين التي ذكرها في الهند :اقامة العيدين المباركين (عيد الفطر، وعيد الاضحى) ثم عيد المولد النبوي الشريف ، ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان . وربما

---

(٤٥٢) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٤، ص ، ٤٤ ؛ الشرقاوي : المرجع السابق ،ص ٢٦٧ .

(٤٥٣) النعيمي: المرجع السابق ،ع ٢٦، (بغداد- ١٩٧٥) ، ص ٥٢.

(٤٥٤) طافور : المصدر السابق ،ص ٨٩ .

(٤٥٥) فوزي : المرجع السابق ،ص ٤٠.

(٤٥٦) علي محسن مال الله : ادب الرحلات من القرن ١-٨هـ ،دارالشوؤن الثقافية (بغداد -١٩٧٨).ص ٣٣٧.

(٤٥٧) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤،ص ١٨،٢٤، ٤٣،٧٧.

استحدث ابن بطوطة عيدا واحتفالا اخر يتعلق باحياء ذكرى وفاة السلطان قطب الدين ايبك مؤسس السلطنة الاسلامية في الهند حيث كان يجمع الناس من الفقراء خاصة لاطعامهم الخبز واللحم [٤٥٨].

اما اعياد الهندوس فقد كانت كثيرة وعلى الرغم من انه ذكر عيد النوروز الا انها كانت تصل الى سبعين عيدا ولكن ليس معظمها مشهورا بل هي محلية ومختصة ببعض الطوائف مثل عيد (رافي) وهو عيد المحبة وعيد (ديوالي) وهو عيد الشمع .. [٤٥٩]

ولعل الطرب والموسيقى والرقص كانت من اهم الفنون والطقوس التي كانت ترافق اغلب الاحتفالات بالمظاهر الاجتماعية والدينية في الهند ففي المعابد الهندوسيه كانت تعزف الانغام الهادئة وترقص الراقصات حول الصنم الاكبر وذلك اثناء تقديم القرابين وطلب الحاجة فمن المعروف ان كتب الفيدا التي الّفت باللغة السنسكريتية اوردت اشعارا وابياتا كانت ترتل بين يدي الاله اثناء اداء الطقوس في معزوفات موسيقية [٤٦٠] وذلك ما اطلق عليه بالرقص التعبدي الذي لم يكن في الحقيقة مقصوراً على النساء بل يشمل المتعبدين من الرجال [٤٦١] .

وفي المناسبات الاجتماعية الاخرى كان يجتمع عدد كبير من الراقصات والمطربين والعازفين في مكان الاحتفال وتنشد الاغاني فضلا عن اقامة هذه المظاهر بعد صلاة التراويح في رمضان . وكان للمطربين في دلهي امير خاص بهم وهو شمس الدين التبريزي (؟) [٤٦٢] ويبدو انه كان من واجباته تنظيم امور المطربين والاتفاق مع الناس الذين لديهم افراح ومناسبات ويقبض الاجور ، وكان السلطان محمد تغلق يختار مجموعة من الراقصات والمطربين والعازفين ويجلبهم الى قصره لاحياء الحفلات له يوميا . ومن الالات الموسيقة التي اشتهرت وظهر بعضها بفضل عناية السلاطين والموك المسلمين بالموسيقى : الاطبال والابواق والانفار والصرنايات أي الغيطات وهي الة موسيقية نفخية قصيرة شعبية طرفيها منفتحين على شكل بوق وغالبا ما

---

(٤٥٨) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣،ص ٢٤٤؛ سخي حسن تقوى :"الافراح في الهند القديمة" ، مجلة ثقافة الهند ،ع ٣ ،سنة ١٩٦٥ ،ص ٩٨.

(٤٥٩) البيروني : المصدر السابق ،ص ٤٤٨؛ ابو مخرمة : المصدر السابق ، ج١،ص ٣٤؛ الندوي : الهند القديمة، ص ٢٨٦ .

(٤٦٠) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص ٩٠؛ ألندوي : الهند القديمة ،ص ٢٧٨.

(٤٦١) العربي : المرجع السابق ، ص ١٥٠.

(٤٦٢) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٣،ص ١٧٨.

يصاحبها الطبل في العزف [٤٦٣] فضلا عن الالات القديمة كالناي (فينا) والماصول (شهناوي) [٤٦٤].

كما ذكر وجود سوق خاص بالمطربين في مدينة دولت اباد يسمى بـ(طرب اباد) وقال انه :" **من اجمل ألاسواق واكبرها ، فيه دكاكين كثيرة ،كل دكان له باب يفضي الى دار صاحبه ، وللدار باب سوى ذلك .والحانوت مزيّن بالفرش ، وفي وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنيه او ترقد وهي متزينة بانواع الحلي وجواريها يحركن مهدها** " [٤٦٥] ويبدو ان دخل هؤلاء المطربين و الراقصات يعتمد على ما كان يعطيه الناس والمارة لهم من اموال في وسط السوق عصر كل يوم خميس حيث : " **يجلس امير المغنين وبين يديه مماليكه وخدامه وتاتي المغنيات طائفة بعد اخرى فيغنين بين يديه ويرقصن الى وقت المغرب ثم ينصرف** .." [٤٦٦]

٥) **مكانة المرأة وتقاليد الزواج** : لاشكّ ان الزواج هو الرباط المقدّس بين الرجل والمرأة وقد اتفقت جميع الاديان السماوية على قدسيّته ، ولكن المراسيم التي ترافق الزواج قد تختلف من منطقة الى اخرى تبعاً للتعاليم الدينية والتقاليد الاجتماعية .

ففي الهند قدّم لنا ابن بطوطة صورة واضحة عن تلك التقاليد التي تتعلق بمراسيم زواج المسلمين وألايام التي تسبقه حيث انه حضر حفل زفاف احد الامراء وهو الامير سيف الدين غدا مهنّى (امير من عرب الشام) على اخت السلطان محمد بن تغلق (فيروز خونده) في دلهي حيث قال :" **فلمّا كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلا الى هذا القصر فزينه وفرشنه باحسن الفرش واستحضرن الامير سيف الدين وكان عربيا غريبا لاقرابة له فحففن به واجلسنه على مرتبة معينة له** .. "[٤٦٧] .

كما عيّن السلطان جماعة يعنون بشأن مستلزمات العرس الاخرى من لباس وطرب ورقص وزينة ولوازم الاكل والعشاء بعد ان يكتب عقد الزواج ويقرأ الصداق بدار السلطان من قبل كاتب العدل او المأذون والذي يسمّى (**شونويس**) وكانت من تقاليدهم ان يضعوا فوق رأس العريسين

([٤٦٣]) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج ٣،ص ص ،٨٤، ١٧٩ ، احمد الزيادي: " مصطلحات المحلية المغربية ومظاهرها في رحلة ابن بطوطة " ، مجلة المناهل،ع٦٠ ، ص ٢١٤.

([٤٦٤]) الندوي : الهند القديمة ،ص ٢٨١.

(٦) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج ٤،ص ٢٥

([٤٦٦]) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج ٤،ص ٢٦ ؛Mujeeb ,M. : op.cit.,p., 205. . اما الرقص الهندي فكان من صميم الطقوس الدينية لدى الهندوس حيث يتميز بايماءات تعبيريه تشترك فيها الارجل بحركاتها الخفيفة ويسهم الوجه والعيون واصابع اليد بنفس الاشارات تعبيرا عما تختلج به النفوس وتخفيه الصدور من الاحاسيس والمشاعر . ينظر : الندوي : الهند ، ص ٢٦٩.

([٤٦٧]) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ،ص ١٧٨.

اكاليل من زهور الياسمين والنسرين وان يضع الرجال الحنّاء على ايديهم وارجلهم على الرغم من معرفتنا بأن هذا التقليد متداول اكثر بين النساء على الاقل في المشرق الاسلامي ، ولذلك فقد بدى هنا الامير سيف الدين محرجاً امام الالتزام بهذا التقليد ولكن توجّب عليه الانصياع لما هو متّبع هناك (٤٦٨) .

ومن تقاليدهم الطريفة التي ذكرها ايضا أن يتخلل الحفل نوعا من العراك أو الصدام السلمي (ويسمى عند الهنود :غوتي **Chauthi**) بين أهل العروس وأهل العريس ومفادها ان تقف جماعة مع الزوج وجماعة اخرى مع الزوجة فتقوم الجماعة الاولى بدفع باب الزوجة حيث يقف جماعتها خلفه وان غلبوا عليهم يُدخِلون الزوج الى غرفة زوجته ويغادرن والا تقع عليهم غرامة نقدية ، وبمناسبة النقود فقد كانوا يقومون بنثر الاموال فوق راس العريسين طوال الطريق حتى يصلوا دار الزوجية ، وهذه العادة معروفة ايضا لدى اغلب سكان المشرق والمغرب الاسلاميين (لاسيما العراق والمغرب) حيث تسمى بالغرامه (٤٦٩)، وربما كان القصد منها مساعدة العريسين على بدء حياتهما الزوجية وشراء حاجاتهما الضرورية .

ومن الطريف ان الزوج كان يتحمل نفقات الملابس والمعازف والعشاء ، وفي جزر ذيبة المهل وصف ابن بطوطة تقاليد مغايرة عمّا سبق ذكره خاصة ما يتعلق بمقدّم ومؤخر الزواج اذ انه ابدى دهشتهُ بطريقة الزواج هناك وذلك لسهولة الصداق وحسن معاشرة النساء (٤٧٠) ويبدو ان دهشة ابن بطوطة كانت في محلّها إذ ان سكان تلك المناطق مسالمين هادئين وليس لديهم خصومات سياسية او طائفية مادام أغلبهم مسلمين ، ومن هنا فان مشاكلهم قليلة (٤٧١) .

كما ان موقع تلك الجزر الساحلي ساعد على توافد العديد من التجار ورجال الاعمال اليها وبقائهم فيها لفترات طويلة ، وكان قسم منهم يتزوجون من نساء تلك الجزر خاصّةً اللاتي كُنّ من قبيلة المرهته المشهورات بجمالهن الفائق بالانوف والحواجب وطيب الخلوة (٤٧٢) غير ان حياة او بقاء هذا الزواج متعلق بالمدة بنفسها التي يبقى فيها اولئك الاجانب في الجزر وعندما يغادرونها سرعان ما يبطل عقد الزواج فالنساء هناك لايتركن جزيرتهن ومن هنا ساد بينهم الزواج المؤقت

(٤٦٨) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣ ،ص ١٧٩.

(٤٦٩) ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج٣ ،ص ١٧٨ ،١٧٩، هامش ٦٣ ؛Husain ,M .:Op.,Cit, p., 58 .

(٤٧٠) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤ ص٧٧.

(٤٧١) لم تكن لتلك الجزر قوة عسكرية كبيرة ولم يكن لسلطانتها أية طموحات بالتوسع ،وقد عمل ابن بطوطة فيها قاضيا لثمانية عشر شهرا وحكم مرة على سارق بقطع يده فغشي على كل من في المجلس لعدم تعوّدهم على رؤية مثل تلك المواقف .ينظر : الرحلة ،ج٤،ص ٥٧.

(٤٧٢) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤،ص ٢٥.

او زواج المتعة ، ولو كانت لدينا احصائية بنسبة النساء الى الرجال لحكمنا بأن كثرة النساء وقلة الرجال كانت سببا اخر في كثرة الزواج من الاجانب فيها .

ومن الجدير بالذكر ان ابن بطوطة نفسه كان قد ناسب الاسرة الحاكمة وتزوج باربع من نساء تلك الجزر حسبما يسمح له الشرع ثم طلّقهنّ لرفضهن السفر معه واعطاهن اجورهن (مؤخّر الصداق) [٤٧٣] وذكرعدد من عادات النساء هناك فقال ان المرأة لاتاكل مع زوجها مطلقا وامتعض من مسألة مكوث المطلقات في دور ازواجهن لمدة طويلة لحين صدور امر الطلاق [٤٧٤]. وهذه اشار الى كثرة الطلاق بسبب قلة المهور والمؤخر وكثرة الزواج من الاجانب .

وفي جزيرة سومطرة (في اندونيسيا) تحدث عن تقاليد اخرى للزواج تختلف قليلا عمّا ذكر حيث يأتي الزوج على فيل مزيّن على ظهره سرير وفوقه قبة شبيهه بالبوجة وهي محفّة العروس وينزل قرب دار خطيبته محاطا بالمقربين والمهنئين وسط اجواء الفرح والموسيقى فتعطيه العروسة باقة من ورد التنبول [٤٧٥].

امّا الجواري فقد كانت الواحدة منهن تسمى بـ(العنبر) وكان لكل سلطان أو امير عدد منهن وقد استخدمن في الخدمة والعمل والاهداء والتبادل، ونلحظ هنا ان ابن بطوطة لم يمتعض من مسالة تبادل الجواري والعبيد كهدايا بين الامراء وعّد ذلك امرا طبيعا الا انه امتعض من مسالة عرض المغنيات في اسواق طرب اباد [٤٧٦].

كما لم يفته وهو يتحدث عن المظاهر الاجتماعية التي شاهدها ان يصف عدد من الكماليات والازياء الشعبية والحلي التي تتزيّن بهاعدد من النساء والتي تضيف شكلا جماليا اخر الى جمالهن ،فقد وصف أنواعا من القلائد والخلاخيل والاساور التي تلبسها النساء في سيلان والتي تختلف تسمياتها باختلاف انواعها فمنها مايسمى بـ(البايل) ومنها (البسدرد) كما تحدث عن شبكة مذهّبة توضع على رؤوس الجواري الخاصّات بالسلطان [٤٧٧] . كما يستنتج من حديثة عن لباس نساء جزيرة ذيبة المهل أنه كان خفيفاً وقصيراً وسبه متعرياً بسبب حرارة الجو ،

---

(٤٧٣) تزوّج من زوجة والد السلطانة خديجة ، ثم تزوج بنت احد الوزراء في ذيبة المهل ،وتزوج اثنتين اخريات في جزيرة ملوك. وعلى الرغم من معرفتنا بعدد زوجاته الا اننا يمكننا الجزم بانه لم يكن زير نساء او شهوانيا ولاطالب مال ولاجاه لانه كان يريد من ذلك اقامة علاقات اجتماعية مع الناس ، كما لم يكن زواجه في تلك الجزر من النكاح المؤقت فهو كما معروف على المذهب المالكي الذي يقاطع ذلك النوع من الزواج في حين يبيحه المذهب الشيعي. ينظر:أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ص٧٧؛ عز الدين بحر العلوم : الزواج في القرآن والسنّة ،دار الزهراء (بيروت –١٩٧٨) ص٢٠٨ .

(٤٧٤) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ص ٧٣ ؛ Husain ,M .:Op.,Cit, p., 59.

(٤٧٥) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ص ١٥٨.

(٤٧٦) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٤ ص ٧١.

(٤٧٧) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٤،ص ص ٦١،٨٣.

ودرجة الرطوبة هناك ، ويظهر انه امتعض من لبس نساء تلك الجزر "**واللاتي كُنّ يُعَرّينَ صدورهنّ** " وكُنّ غير معتدلات في اللبس برأيه ، وقد جهد كثيرا حسب ما اخبرنا في ان يسترهن ولم يستطع[٤٧٨] ، وعلى النقيض من ذلك فهو لم يذكر مثالا عن حجاب المرأة المسلمة (ألخِمار)في الهند والذي كان موجوداَ ولم يتسن له الكلام عنه[٤٧٩].

كما وصف أسرّة النوم التي تصنع عادة من خشب الخيزران وتغطى بالاقمشة الحريرية [٤٨٠] .

يتّضح مما سبق أن الاسلام عنى عناية خاصة بالمراة ودورها في الحياة الاجتماعية في الهند على عكس التقاليد الهندوسية التي حرمت المرأة منعدد من حقوقها في الحياة وعدها دون كرامة إذا توفي زوجها ولم تحرق نفسها في النار.

وعلى الرغم من سعة تلك الروايات الا انه لم يذكر لنا ما قاله عدد من الرحالة الذين زاروا المنطقة مثل وجود جزيرة النساء(في جزر الهند الشرقية) ، كما لم يتفصل بذكر ملابس العامة (من الرجال) سوى ذكره انها كانت بسيطة في العادة وتتكون كالتحتانيات والوسطانيات والعمائم فضلا عن ذكره لبس سلطان منطقة هنور ووصفه " **على انه يتكون من ملاحف الحرير والكتان الرقاق يشد في وسطه فوطة ويلتحف ملحفتين إحداهما فوق الاخرى ويعقد شعره ويلف عليه عمامة صغيرة** " [٤٨١].

ورغم حديثه عن الجوانب الصحّية المتعلقة بحياة الهنود وذكره بانهم " **يستحمون مرتين في اليوم ..صباحا ..ومساءا** " [٤٨٢] الا انه لم يتطرق الى وجود المستشفيات في حين ذكر العمري ان هناك ما يقرب من سبعين مستشفى في دلهي وحدها في تلك المدة [٤٨٣] .

٦) **الاطعمة** : لايخفى على دارسي الثقافات الاسلامية ان الطعام هو احد ملذات الحياة وله اهمية في المجتمعات الاسلامية ،فالكرم علامته تقديم المأكولات والضيافة لاتكتمل إلا بطعام او شراب [٤٨٤]، وقد ذكر ابن بطوطة معلومات عن عدد من الاطعمة الشعبيه في الهند واصفا مكوناتها وطريقة تحضيرها فضلا عن ذكرهعدد من الاداب والتقاليد المتعلقة بالطعام ومنه مايتعلق بالطعام

([٤٧٨]) بولو :المصدر السابق ،ص ١١١ ؛ ابن بطوطة: المصدر السابق ،ج٤،ص٧٣ ؛
Wolf ,K .:Op.,CIT.,P.,106. ؛Dunn,R.: Op.,Cit.,p., 40

([479])Husian .M . :OP.,Cit., p., 58.

([٦]) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤، ص ١١٥ .

([٤٨١]) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٥، ١١٣ .

([٤٨٢]) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ١١٤ .

[483] FryKenberg ,R .: Op.,Cit.,p., 50 .

([٤٨٤]) حسين محمد فهيم :ادب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت –١٩٨٩)،ص ١٤٣.

الذي يطبخ في مطابخ القصر السلطاني ويقدم للمحتفلين فيكون على قسمين : طعام الخواص (الخاصّة) ، وهو الطعام المعد للسلطان وكبار الوزراء ،وطعام العام (العامة) وهو الذي ياكل منه القضاة والنقباء والفقهاء ومن ثم بقية الناس كالخدم من الحاضرين فضلا عن اقارب السلطان وعلى حسب الترتيب والمنزلة (٤٨٥) ، وهنا يحتار ابن بطوطة في نسبة هذا التقليد الى سلطان الهند ام انه مقتبس من دولة اخرى مجاورة :" **ولا اعلم ان سلاطين الهند اخذوا ذلك من سلاطين اليمن ام ان سلاطين اليمن اخذوا عن سلاطين الهند** (٤٨٦) .

ويتكون الطعام عادة من لحوم الدجاج والخراف والسمك والارز وخبز الرقاق . اما ترتيب الخدم والطهاة فكانوا يقفون في احدى الجهات من السلطان واسلوب الخدمة عندهم هو **حط الراس نحو الكوع** (أي تقديم أنحناء بسيط الى نهاية الزند) وكان من عوائد الناس ان لايأكلون الا بعد ان يقول الحاجب المكلف بخدمتهم : بسم الله ، وبعد الاكل ياتي الشربدارية ويقدمون في اواني من الذهب والفضة والزجاج ، ماء النبات ويشربونه ويسمى بـ(الفقاع) الذي توهم البعض وعده نوعا من النبيذ وهذا يتنافى مع الحقيقة إذ ان الهنود لايشربون الخمر بل هو شيء من نبات الكمأ والفطر (٤٨٧) ، ويشربونه قبل الاكل ايضا . ثم ياتون باطباق التنبول والفوفل وهي مجموعة من الازاهير التي تستخدم كعطر لغسل اليد فضلا عن استخدامها في الزينة ، ويكون هذا الترتيب على مرتين في اليوم : الاولى في الغداء ظهراً والثانية بعد العصر (٤٨٨) ويظهر ان الرحلة انفردت في التفصل بذكر المعلومات في اعلاه من دون المصادر المعنية الاخرى فهي معلومات دقيقة تنمّ عن شخص عايشها .

وفي مدينة سيوستان تحدث عن طعام يسمى (زرد شوبة) وهي لحوم من حيوان برمائي من فصيلة التماسيح ولكنه بدون ذنب ويسمى أيضاَ ورل البحر (عند ابن بطوطة ، ألسقنقور) حيث يحشون بطنه بالكركم ويشوونه على النار ،ومن الطريف أن ابن بطوطة أستقذر ذلك الطعام ولم يأكله ، وكذلك طعام (المشنك) وهي كلمة فارسية تطلق على نوع من الحبوب مثل الذرة والجلبان فضلا عن اكلهم لألبان الجواميس (٤٨٩) .

وذكر خبزهم الرقاق وقال انه يشبه الجراديق (أي غير منتظم) ويصنعون معه اكلات عديدة حيث يقطعون اللحم المشوي قطعا كبارا بحيث تكون الشاة اربع قطع او ست وامام كل

---

(٤٨٥) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ص ١٦٠

(٤٨٦) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٢،ص٥٣ .

(٤٨٧) ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣،ص٧٩.

(٤٨٨) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ص ١٦٤

(٤٨٩) شيخ الربوة : المصدر السابق، ص٩١ ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ٩١،٩٣.

رجل قطعة ويجعلون اقراصا مصنوعة بالسمن ويجعلون بوسطها الحلواء [٤٩٠] وفي الملتان ذكر اكلة **(السموسك)** وهي عبارة عن لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل وبعض التوابل وتوضع في جوف رقاقة مقلوة بالسمن وتقطع على شكل مثلثات [٤٩١].

ومن الحلويات الهندية ايضا : لقيمات القاضي ويسمونها بـ**(الهاشمي)** ، وأحيانا تسمى بـ**(جلد الفرس)** وهي نوع من الحلواء الخفيفة المتكونة من مربى الفستق واللوز ، فضلا عن ذكره للحلواء المقرضة ، والحلواء الصابونية [٤٩٢] وذكره **(للشربه)** وهو ماء مبلول بعصير النبات ويشرب قبل الطعام . وفي جزائر ذيبة المهل تحدث عن اكلة تسمى بـ**(القرباني)** وتتكون من عسل جوز الهند وماء السكر اما في سيلان فذكر ان اغلب طعامهم يتكون من السمك وعصير النارجيل [٤٩٣] .

ومن هنا فأن المعلومات التي وردت في الرحلة عن الاطعمة لها اهميّتها على الصعيد الاقتصادي والاوضاع الاجتماعية ومما يستشفّ منها هو ذلك التناقض الموجود بين حياة السلاطين والامراء التي اتسّمت بالبذخ والاسراف في المأكل واقامة الولائم والانفاق عليها ، وبين حياة العوام من الناس الذين يعيش بعضهم فقراً متقعا ، هذا على الرغم من معرفتنا انّ عدد من تلك الولائم كانت تقام بمثابة التصدّق على الفقراء في المناسبات الدينية والاحتفالات .

([٤٩٠]) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣،ص٣١.

([٤٩١]) ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣،ص ٩١. وتلك الاكلة معروفة في العراق وغيره .

([٤٩٢]) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣،ص ٢٤٠؛ Sarjeant: Op.Cit, p., 629. .

([٤٩٣]) بولو : المصدر السابق ص٢٩٤؛ أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ص٦٩ .

الفصل الرابع

الحياة الثقافية

المبحث الاول
دور العلم وطبيعتها
المبحث الثاني
العلماء المسلمون ورعايتهم

المبحث الثالث
الحركة العمرانية

وصف ابن بطوطة طبيعة الوضع الثقافي والعلمي بدقة وتركيز في الهند في منتصف القرن الثامن للهجرة /الرابع عشر للميلاد لانه كان معنيا بمشاهدة ومتابعة وحضور تلك الجوانب اكثر من غيره وبالامكان رؤية صورة واضحة عن طبيعة الحياة الثقافية في الهند وفق المبحثين الاتيين :

المبحث ألاول

دور العلم وطبيعة العلوم

١) دور العلم

عرفت الهند بانها اكثر بلدان العالم الاسلامي عدداً في دور العلم ولعل ابرزها شيوعاً : **المساجد** التي كانت وكما هو معروف المكان الاول لنشر التعاليم الاسلامية سواء في خطبة الجمعة ، ام من خلال ممارسة تدريس بعض العلوم الدينية فيها إذ كانت مركزا للدراسة المتخصصة فضلا عن كونها مركزا لاداء الصلاة والفرائض ، اذ نظمت فيها الحلقات التي يدرس فيها الطلبة مختلف العلوم الدينية على ايدي الشيوخ الكبار ، وليس لدينا معلومات ان كان شيخ الحلقة يتلّقى اجراً نظير مهمته فيما عدا بعض الهبات والهدايا التي تمنح لهم من قبل الاغنياء والسلاطين .

ومن أهم المساجد التي ذكرها أبن بطوطة في الهند : مساجد مدينة **دلهي** المتعددة والكبيرة ولاسيما مسجد قوّة الاسلام المذكور سابقا والذي أجري عليه توسيع في باحاته وغرفه ليستوعب أعداداً من الطلبة ، وكذلك مسجد مدينة **بدفتن** ويسكنه (الغرباء) المسلمون [٤٩٤] ، كما تحدث عن مدينة هيلي **Heili** احدى المدن المهمة التي احتوت على المسجد الجامع الكبير اذ كان "**يسكنه عدد من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال** [اوقاف] **المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولأطعام الفقراء من المسلمين بها** " [٤٩٥] ، ثم مسجد مدينة سيوستان ذات الطابع الاسلامي والتي تعد من اقدم المدن الهندية الواقعة على نهر السند فقد وجد فيها اقدم مخطوط اسلامي نادر يدل على أنتشار الاسلام فيها يعود الى اواخر القرن الاول للهجرة وهو كتاب من الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧٠٧-٧٠٩م) يامر بموجبه بأن تتولّى احدى أعرق الاسر وهي عائلة الشيباني – الخطابة في جامع المدينة ، ونص الكتاب :" **هذا ما امر به عبد الله امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان وتاريخه عام تسع وتسعين** " [٤٩٦] ولم تزل تلك الاسرة تتوارث الخطابه حتى وقت زيارة ابن بطوطة للمدينة حيث كان الخطيب الشيباني مصدرا له في تلك المعلومة . ان هذا يدل على ان المسجد كان مركزا علميّا كبيرا للمسلمين يتعلمون فيه تعاليم دينهم السمحاء عن طريق سماع خطبة الجمعة . كما زار مسجد جاوه الكبير والتقى بقاضي الجزيرة وهو الشيخ امير علي الشيرازي ، وكذلك بالفقيه تاج الدين الاصبهاني (نسبة الى اصبهان احدى مدن فارس) وكانا يدرّسان الفقه على المذهب الشافعي في مسجدها كما تطرّق الى كيفية ممارسة التعليم في المسجد حيث يجلس الفقيه ويكون حوله عشرة طلاب يسمعون ما يرويه من علوم .[٤٩٧] ، وفي

---

(٤٩٤) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤ ، ص ٤٤.

(٤٩٥) ابن بطوطة :المصدر نفسه،ج٤، ص ٤١ ؛ وعن مدينة هيلي ينظر:المعبري:المصدر السابق،ص ٢٢٦.

(٤٩٦) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٣ ، ص٨١.

(٤٩٧) ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١١٥.

جزائر ذيبة المهل نلاحظ قوّة التوجّه الديني لسكانها ذي الاغلبية المسلمه اذ عنوا بأقامة المساجد وتعميرها وممارسة التعليم فيها [٤٩٨] .

لم يشر ابن بطوطة الى وجود الكتاتيب ودورها في التعليم في الهند ، بل أكّد على التعليم في المدارس وما يتبعها من وجود **المكتبات** ، أما ما يتعلق بالتعليم في **المدارس** ورغم معرفتنا أن المدرسة هي مؤسسة تعليمية نشات منذ القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد في المشرق الاسلامي ، إلا أن أبن بطوطة لم يتفصّل بذكرها أثناء إقامته في الهند سوى ذكره أنه دخل **مدرسة في مدينة سيوستان** وأقام فوق سطحها وكانت محطّةً لزيارة عدد اخر من العلماء الذين مارسوا التدريس فيها [٤٩٩] مما يدل على أعتبارها كأحد دور العلم في الهند .

وفي مدينة هنور الساحلية التي تقع في اقليم كانارا في غرب الهند[٥٠٠] ، ذكر ابن بطوطة عند زيارته لها ان المذهب الذي يلتزمه اهل المدينه وهو المذهب الشافعي وقال : " **ورأيت بالمدينه ثلاثة عشرة مكتباً لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد ولم ار ذلك في سواها**. "[٥٠١] مما يعني ان تلك المناطق بلغت مرحلة متقدمة من التعليم لوجود المكاتب التي توفر للطالب بعض المراجع المهمة فضلا عن كونها مكاناً للتعليم .

وكان حاكم المدينه هو السلطان المحلي المسلم جمال الدين محمد حسن والذي عرف عنه تشدده في إقامة صلاة الجماعه وكان يأتي الى **المسدد** (المنبر) قبل صلاة الصبح فيقرأ القران الكريم حتى يطلع الفجر كما انه كان يصوم الأيام البيض (الايام ١٣–١٥ من الشهر القمري) أسوة بالرسول محمد (ﷺ) وهذا دليلا اخر على الالتزام بتطبيق الشريعة الاسلامية وفرائضها ونوافلها .

وربما لم يشعر ابن بطوطة بالغربة فيها لان مناسك الدين كانت تؤدى فيها على خير وجه فهم يلتزمون المذهب الشافعي الذي ربما يكون قد دخل اليهم عن طريق التجار والدعاة العرب المسلمين القادمين من مصر مما شكل وعياً دينيا اسلاميا متغلغلا في نفوس اهل المدينه . ولا نعرف كيف كانت مسالة الوراقه والنسخ في الهند بحيث لاحظ ابن بطوطة وجود عدد من المصاحف الشريفة هناك والتي ربما وصلت أيضا عن طريق هؤلاء الدعاة والعلماء الوافدين .

---

[٤٩٨] ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٥٧،٦٩.

[٤٩٩] ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٨٢.

[٥٠٠] شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

[٥٠١] ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤ ، ص٣٤

وليس غريباً ان يفتخر ابن بطوطة بعدما علم ان كل ذلك الالتزام كان جاريا ، والسلطان جمال الدين واهل المدينه كانوا يرضخون تحت حكم سلطان غير مسلم هو (هريب **Harrib** (٧٤٠ –٧٧٥هـ/١٣٤٠–١٣٧٥م) والذي لم نعثر لـه على ترجمة في المصـادر ولكن يبدو انـه احد الحكام الهندوس من اسرة هريهارا نريبالا **Harrihara Nripala** التي حكمت في تلك المناطق (٥٠٢).

ومن دور العلم الاخرى **المزارات والزوايا** (٥٠٣) التي تعد من الاماكن الاسلامية المهمة لكونها تستقبل بعض طلاب العلم حيث كانت عادة ما تقام بالقرب من قبور ومزارات الاولياء والصالحين . وهي عبارة عن غرف صغيرة يقيم فيها بعض الشيوخ الزهاد المنقطعين للعبادة وقد عرف الهنود المسلمون بحبهم لدينهم وتمسّكهم بشيوخهم وائمتهم فعمدوا الى تخليد ذكراهم بأقامة العديد من المزارات للتبرك بها عند زيارتها واللجوء اليها لفكّ ضيقهم وحزنهم فضلا عن كونها مركزا تعليميا .

وكان اول المزارات التي وصلها ابن بطوطة عند حدود الهند هو مزار الشيخ سعيد المكي في منطقة بنج هير (الخمس جبال) ، وفي كابل زار زاوية للشيخ اسماعيل جابر بن عبد الله الانصاري (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٩م) وهو احد شعراء وفلاسفة هراة (٥٠٤) وكان بعض تلك الاماكن منبراً للتعلم والاعتكاف .

ومن الزوايا الاخرى التي وصلها وتحدث عنها : زاوية الشيخ محمد العريان في مدينة بورج بوره وزاوية التاجر اسحق خواجه في كنباية وزاوية الشيخ شهاب الدين الكازروني (ت ٥٦٣هـ/١٠٣٥ م) (احد مدن فارس) في كاليكوت وكانت تعطى له النذور التي يرسلها السلطان محمد تغلق والتي بلغت ذات مرة عشرة الف دينار ذهبي (٥٠٥) انفقها على الفقراء وكان له ابن

---

(٥٠٢) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٤.

(٥٠٣) الزاوية جاءت من زاوية المسجد التي يجلس فيها الشيخ ويعتكف ، ثم تطورت واصبحت تقام خارجه واحيانا باطراف المدن وعادة ما يكون لكل زاوية حارس وشيخ وتعنى بالانفاق على طائفة من الفقراء فضلا عن تلقي العلوم فيها . ينظر :ابن بطوطة :المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٤ .

(٥٠٤) ابن بطوطة :المصدر السابق ،ج٣ ، ص٦٣ .

(٥٠٥) وقد سبق له زيارتها في بلاد فارس من قبل وعرف قدر الشيخ الكازروني عند اهل الهند الذين يخصونه بالنذور والعطايا. ينظر: العمري : التعريف ، ص ٤٩ ؛ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج ٢:ص ٥٣ ؛ المقريزي :خطط ، ج٢،ص ٢٧٤ ؛ التازي : ايران.. ، ص ٧٧.

هو فخر الدين اقام عنده ابن بطوطة في زاويته بمدينة كولم [٥٠٦]، وهذا يدل على انتشار الزوايا وتعدد روادها .

كما ان من بين ما ساعد على ازدهار التكايا والزوايا في بلاد الهند وكثرتها هو سماح السلطنة للشيوخ بتعمير الاراضي المتروكة واستغلالها لخدمة الناس طبقا للحديث الشريف للرسول محمد (ﷺ) :" **من أعمر ارضاَ ليست لأحد فهو أحق** " [٥٠٧] وهكذا فقد بادر عدد من الشيوخ الى اتخاذ بعض المواقع بأطراف المدن لاحيائها وتاسيس الزوايا لهم لاقامة شعائر الأسلام واستقبال الفقراء لاطعامهم ولتدريس الطلبة الوافدين اليهم بعض العلوم الشرعية . ومن الذين اسسوا لهم زاوية على هذا النهج الشيخ ابراهيم (ت ؟) في مدينة ظهار وكان واردها من الصدقات ينفق على الفقراء وبعضه يذهب الى بيت المال [٥٠٨].

وفي جزائر ذيبة المهل لم يذكر لنا سوى زاوية الشيخ الصالح نجيب (ت ؟) . وفي جزيرة سرنديب تحدث عن منطقة كنكار على اعتبارها احدى المراكز الاسلامية إذ يسكنها عدد من المسلمين الزهّاد واهل العلم ، وقد انفردت تلك المنطقة عن غيرها بوجود **المغارات** في الكهوف بوسط الجبال والتي أستعملت للتعبد والعكوف ، وقد عدد اسماء بعضها مثل مغارة اسطا محمد اللوري احد الصالحين ، ومغارة بابا طاهر ، ومغارة بابا خوزي .. [٥٠٩] .

٢) طبيعة العلوم

بعد ان انتشر الاسلام في الهند ونتيجة للمعاملة الحسنة وبالرغبة من دون الاكراه كان طبيعيا ان تظهر عناية الهنود المسلمين بالعلوم الدينية المتعلقة بالاسلام ، ظهرت العلوم النقلية او الدينية [٥١٠] وهي تلك العلوم المختصّة بالشريعة الاسلامية وما يتعلّق بها كعلوم القرآن الكريم ، وعلم الحديث واصوله ، وعلم الفقه الذي يبحث في الاحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث

---

(٥٠٦) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤،ص ٢٩،٤٥، ٤٩.

(٥٠٧) أبن حجرالعسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الفيحاء (دمشق –٢٠٠٠) ،ج٥،ص ٢٤ .

(٥٠٨) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤ ، ص ٢٣.

(٥٠٩) ابن بطوطة :المصدر نفسه، ج٤ ، ص ٨٥،٨٦.

(٥١٠) الطحطوح : مظاهر الثقافة العربية الاسلاميه في الهند ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل كلية الاداب ، (الموصل –١٩٧٩) ، ص ٥٣.

استنباطها من الادلة التفصيلية [٥١١] فضلا عن الاتجاهات الفكرية الاخرى كعلم التصوّف وغيرها .

وقد حظيت **علوم القرآن الكريم** كعلم التفسير ، بنصيب وافر من العناية والدراسة في الهند نظراً لحاجة المسلمين الهنود الى معرفة كل ما يتعلق بتفسير الايآت القرآنية الكريمة واحكامها وبيان التشريعات الاسلامية من خلالها وقد وجد أبن بطوطة في مدينة هنور " **نساءَ يحفظن القران الكريم** " [٥١٢] وربما يدل ذلك على أن الحفظ لابد وأن يسبقه فهم وتفسير وشرح ، كما يدل على ان مدينه هنور تمتعت بعمق الوعي الايماني لدى سكانها المسلمين ، كما ظهر جليا حرص أهلها على التطبع بطبائع الدين الإسلامي لدرجة آن النساء كن يحتشمن في لباسهن [٥١٣] ويحفظن القران الكريم وليس فقط الرجال ، وهنا اشارة يجب ان ننتبه اليها وهي مسألة الاهتمام بتعليم المرأة في الهند حيث ان الاسلام اعزّها واعطاها دورها في الحياة فلم يحرمها من فرصة التعليم اسوة بالرجال ، كما ان نساء الاسر الاسلامية الحاكمة كن يتلقين بعضاً من العوم المهنية كالخياطة وغيرها فضلا عن العلوم الدينية ، والمقصودة هنا هي السلطانة رضية من سلالة اسرة المماليك في الهند ، [٥١٤] على عكس التعاليم والطقوس الهندوسية التي حرمت المرأة من التعليم والتحصيل العلمي وخاصة ما يتعلق بدراسة الفلسفة والكتب المقدسة (الفيدا) [٥١٥] .

وفيما يتعلق **بعلم الحديث** النبوي الشريف فأن من نافلة القول ان دراسته قد تردّت ولم تلق التشجيع الكافي من قبل الهنود ابّان الفتح العربي الاسلامي والعصر الغزنوي الذي ساد شمال غرب الهند ، وانّما نما هذا العلم في عهد السلطان محمد تغلق ونتجت عنه دراسات وكتابات عديدة جديرة بالتقدير من قبل بعض العلماء الهنود الذين رفدوا هذا العلم عن طريق رعايته وتفسيره ايضا نظرا لما يتمتع به من منزلة عليا في نظرهم لانه يمثل اقوال الرسول (ﷺ) وافعاله وبوصفه مكملا ومفسرا لنصوص القران الكريم فضلا عن ان النبي(ﷺ) يمثل الانموذج

---

(٥١١) الحسني : الثقافة الاسلامية في الهند، ط٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (نيودلهي – ١٩٧٢) ، ص ١-٢..

(٥١٢) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤، ٣٤.

(٥١٣) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٤ .

(٥١٤) يوسف حسين خان : " نظام التعليم في الهند في القرون الوسطى" ، مجلة ثقافة الهند ، ع ٢ ، سنة ١٩٦١ ، ص ٨١.

(٥١٥) مجموعة مؤلفين : المرجع السابق، ص ١٠٩.

الاعلى لهذا الدين في سلوكه وقوله وعمله ونواحيه(٥١٦) لذا انتشرت دراسته في مختلف مناطق الهند لاسيما دلهي نفسها وجنوب البنغال وكشمير وجونبور **Jounpur**.

ومن اهم اعلام علم الحديث في الهند الشيخ نظام الدين اولياء (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م) الذي درس الحديث والعلوم الدينية الاخرى فضلا عن التصوف كما سنرى على يد كبار الاولياء والعلماء مثل الشيخ الحسن الصغاني اللاهوري الذي يعود الفضل اليه في اعتماد صحيح البخاري وصحيح مسلم في الهند وكان من اهم اعماله (مشارق الانوار ويسميه ابن بطوطة بـ شوارق الانوار) والذي يظم (أربعة الاف ومائتين وثلاثة وخمسين) حديثاً حفظها كلها الشيخ نظام الدين عن ظهر قلب وكان يروي منها في زاويته بمدينة بديوان(٥١٧) ، مما يدل على أن ذلك المصنّف كان أحد مناهج التعليم أنذاك .

اما علم الفقه في الهند فقد اتجّت العناية به منذ الفترات الاولى لدخول الاسلام فيها فهو الوسيلة الوحيدة لمن كان يريد ان يتولّى منصب القضاء وبعض الامور الادارية (٥١٨) وقد التقى أبن بطوطة بالعديد من الفقهاء في مختلف مدن الهند وكان بعضهم ممن مارسوا التدريس كلٌ على مذهبه . ومن الجدير بالذكر أن الاسلام في الهند انتشر بجميع مذاهبه الاربعة فضلا عن انتشار اتباع المذهب الشيعي ، فكان المذهب الحنفي (نسبة الى ابي حنيفة بن النعمان ت ١٤٩هـ/ ٧٦٧م) هو اول المذاهب انتشارا في مناطق السند والشمال الهندي بسبب وصول العلماء المسلمين الذين يحملون ذلك المذهب الى تلك المناطق بعد انتهاء حملات الفتح الاولى وكذلك لطبيعة تعاليمه وموقفه من اهل الذمة ، بدليل لقاءات ابن بطوطة مع بعض العلماء والفقهاء الهنود الذين نشروا الاسلام هناك على نفس المذهب ومنها لقائه في مدينة بَكّار **Bakkar** بالفقيه الامام صدر الدين الحنفي البهكري عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م وهو احد الفقهاء البارعين في العلم وكذلك لقائه بقاضي المدينة ابي حنيفة السندي (٥١٩) .

في حين كان المذهب الشافعي (نسبة الى الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس ٢٠٤هـ/٨٢١ م) منتشرا في مناطق الجنوب الهندي وبعض مناطق جزر الهند الشرقية بسبب هجرة العرب الشافعيين من جنوب شبه الجزيرة العربيه الى تلك الاماكن (٥٢٠) .

---

(٥١٦) الحسني : الثقافة ،ص١٣١؛ انا ماري شيمل : " مناهج التعليم في الهند "، مجلة فكر وفن ، ع ١٩ (برلين –١٩٧٦) ، ص ٢٦؛ الطحطوح :مظاهر ..ص ٧٢.

(٥١٧) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣ ،ص٦٠ ؛ شيمل :المرجع السابق ،ص ٢٣.

(٥١٨) شيمل : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٥١٩) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣،ص٧٨ ؛ الحسني :نزهة ،ج٢، ١٦٧.

(٥٢٠) الطحطوح : مظاهر .. ص ٧١.

وقد لاحظ ابن بطوطة انتشار ذلك المذهب وهو يتجول من مدينة الى أخرى ففي مدينة هنور ذكر ان اهلها شافعية المذهب وتحدث عن وجود الفقيه إسماعيل احد رجال الفضل والصلاح اقبل على الفقه واصوله فبرز وصار المرجع والمقصد فيه ، والفقيه علي (؟) والقاضي نور الدين عُليّا (؟) وربما كان لهؤلاء الدور الكبير في تشجيع الحياة الدينية لاهل هنور بالاعتماد على ما وصل من كتب فقه وتفسير مهمه [٥٢١].

وفي جزيرة جاوة التي دخلها الاسلام خلال القرون الهجرية الاولى[٥٢٢] عن طريق التجارة وبعض الدعاة المسلمين ، التقى بسلطانها الملك الظاهر وتحدث عن تقواه وكرمه وقال انه من معتنقي المذهب الشافعي [٥٢٣] اما في جزائر ذيبة المهل فقد أورد ابن بطوطة قصة إسلام أهل تلك الجزر عند زيارته لها عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م والتي تبدو أشبه بالأسطورة ، وقال إنه رواها له بعض الثّقاة ، ومفادها أنه كان يأتيهم في كل شهر مركب من البحر فيه عفريت او شيطان (وعده التازي قرصان خبيث من القراصنة الذين كانوا يترددون على الثغور) وكانوا يضعون له في غرفة قرب الساحل فتاةً من أجمل فتياتهم حتى يأخذها ، ويرضى عنهم ولا يمسّهم بسوء ثم أتاهم رجل صالح هو ابو البركات البربري المغربي(عاش في القرن السادس للهجرة) وكان حافظاً لكتاب الله (ﷻ) فأخبرهم بأنه سيردّ عنهم شرّ هذا الشيطان ، وأنه سيجلس تلك الليلة بدل الفتاة ، وفعلاً جعلوه هناك وذهبوا ، ومكث هو يقرأ القرآن الكريم ، فأتى الشيطان ولم يستطع أن يقربه وخرج الرجل سليماً ، فانبهر الناس ، وأسلم ملك الجزر واسمه (شنو راجا) **Shano Raja** ثم اسلم اهلها بعد أن دعاهم أبو البركات إلى الإسلام ونشر لديهم المذهب المالكي ، وقد قرأ أبن بطوطة بنفسه نقشاَ خشبيا على مقصورة أحد المساجد في تلك الجزر ما نصّه :" **أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد ابي البركات البربري المغربي** " [٥٢٤]، ويمكن التأكد من دقّة ما ذهب اليه أبن بطوطة بالاطلاع على تلك الجدارية المحفوظة في المتحف الوطني العائد لتلك الجزر[٥٢٥] ،مما يدل على أن ابن بطوطة لم يكن أول مغربي يفد الى تلك المناطق .

---

(٥٢١) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص٣٤.

(٥٢٢) المصري : المرجع السابق ، ص٤٥٨ ؛ Yule ,H .: Op.,Cit., Vol.4 p., 94.

(٥٢٣) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١١٤.

(٥٢٤) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج ٤، ص ٦٣ .

(٥٢٥) التازي :" اقدم نقش عربي في مالديف يتحدث عن المغرب" ، مجلة البحث العلمي ، ع ٤٠، (المغرب – ١٩٩٠) ،ص ١٠ ؛ مجهول : جزر المالديف : منشور على شبكة الانترنيت في موقع www.elsonna.com /subindex .

ومن هنا يمكن الحكم على ان المذهب المالكي (نسبةً الى الامام مالك بن انس ١٧٨هـ/٧٩٥م) كان هو السائد فيها على فرضية ان ناشر الاسلام فيها هو ابو البركات البربري وهو نفس مذهب ابن بطوطة على اعتبار انهما مغربيآن بربريان من شمال افريقيا حيث يسود المذهب المالكي .

اما **علم التصوّف**(٥٢٦) الذي ظهر كرد فعل لحياة الترف والبذخ التي انتشرت في اماكن مختلفة من العالم لاسلامي ، فقد ازدهر وتطوّر بوصفه أتجاها فكريا ودينيا قبِلهُ الهنود المسلمون لِقُربهِ من فلسفتهم المسماة (الفيدانتا **Vedanta**) وهي وحدة الوجود .

في الواقع استطاعت الصوفية ان تخفف من الحواجز وتقرب المجتمع الهندي من بعضه مع علمنا ان السلطان محمد تغلق هو اول من اتبّع سياسة المصالحة مع الهندوس (٥٢٧) . وقد اشتهرت الهند بتنوّع الطرائق الصوفية فيها فمنها ما ظهر من داخل الهند مثل : الطريقة الجشتية (نسبةً الى معين الدين الجشتي ت ٣٢٩هـ/٩٤٠ م) وانتشرت في مدينة اجودهن عن طريق خانقاه الشيخ فريد الدين البذواني (٥٢٨) الذي اسس أقدم خانقاه في الهند (٥٢٩) ، ومنها ما انتقل من المشرق الاسلامي اليها مثل الطريقة السهروردية (نسبةً الى احد شيوخ بغداد وهو ابو حفص عمر بن محمد السهروردي ، ت٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)(٥٣٠) والتي انتشرت بصورة اكثر في مدينة اوجه وفي الملتان عن طريق زاوية الشيخ بهاء الدين زكريّاء ، وإن كان اصحاب تلك الطرق الصوفية مختلفين فيما بينهم فكريّا فأنهم يتجمعون بأخوّة الترابط الاسلامي كما سنلاحظ .

---

(٥٢٦) هو العكوف الى العبادة والخلوة والزهد والانقطاع الى عبادة الله تعالى والاعراض عن ملاذ الدنيا اسوة بالصحابة .وهناك خلاف حول مصدر اشتقاقها مابين لبس الصوف ،والصفاء ، وكلمة صوفيا اليونانية وتعني الحكمة،وكانت لها مراتب عدّة منها :الاقطاب والائمة والاوتاد والنقباء. ينظر :يوسف بن اسماعيل النبهاني : جامع كرامات الاولياء، تحقيق ،ابراهيم عطوة ، دار المعرفة (بيروت –٢٠٠٣) ، ج ١،ص ٨٠؛ الحسني : الثقافة.. ، ص ١٠٢ .

(٥٢٧) السامر :المرجع السابق ،ص ٩٢.

(٥٢٨) هو مؤسس الطريقة الجشتية ،توفي في ٦٦٩هـ/١٢٧١م،كما رحل الى الديار المقدسة واسس زاوية للفقراء الهنود في بيت المقدس قر باب الاسباط عرفت بالزاوية الهندية ،وشكركنج تعني مخزن السكر حيث كان يطعم الناس الوافدين الى زاويته السكر .ينظر : الرحلة ،ج٣، ٩٩؛ ابو اليمن مجير الدين الحنبلي : الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ،المطبعة الحيدرية (النجف –١٩٦٨)،ج٢، ص٤٨.

(٥٢٩) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج ٣، ص٩٩ ؛

Mujeeb,M . :Op.Cit.,p., 147 ؛ .Frikenburg ,R.: Op.Cit.,p., 13.

(٥٣٠) العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار ،دار الثقافة ،(دبي –٢٠٠٠) ، ج٨، ص ٢٢٤.

وقد تحدث أبن بطوطة عن الكثير من مزايا وعادات التصوف في الهند كذكره أنهم كانوا "**يسدلون شعورهم على اكتافهم** " (٥٣١) ولقائه بعدد من الشيوخ الذين ساهموا في نشر وتطوير الطرق الصوفية في الهند . ويمكن تكوين صورة عن دورهم وبيان أهم مناسكهم من خلال ما يأتي :

في جبل بشاي **Bashai** وقبل دخوله الى دلهي التقى بالشيخ اطا اولياء (أي ابو الاولياء) في زاويته ، وهو احد ائمّة الهنود ورواة الحديث حيث قال : " ... **وبه الشيخ الصالح ابو الاولياء وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة وخمسين سنه ويأتون لزيارته الناس من البلاد والقرى ويقصده الخواتين والسلاطين ، واكرمنا ، .. فسلمت عليه وعانقني وجسمه رطب لم أر الين منه ويظن رائيه ان عمره خمسين سنه وذكر لي انه في كل سن ينبت له الشعر والاسنان** "(٥٣٢) وهذا الشيخ هو نظام الدين اولياء (٦٣٦-٧٢٥هـ/ ١٢٣٨- ١٣٢٥م) الصوفي الكبير الذي ولد في بذوان **Badauni** احدى قرى اجودهن بالبنجاب، وكان من أكابر أئمّة العلم والفقه والتصوّف (على الطريقة الجشتية) وكان قد عقد عدّة لقاءات طيبة مع الشيخ فريد الدين شكركنج واولاده نظّمتْ من خلالها الطرق الصوفية واعيدت المشيخة اليه . وكان السلاطين السابقين يحترمونه ويكّنون له التقدير والرعاية(٥٣٣)

ومن الصوفيين الذين التقى بهم عند دخوله السند والذي كان احد مصادر معلوماته عن فتحها ، هو الشيخ ركن الدين بن شمس الدين بن بهاء الدين زكرياء القرشي (ت ٧٦٦هـ/١٣٦٦م) ، وهو احد الثلاثة الذين اخبره الولي برهان الدين الاعرج في الاسكندريه انه سيلقاهم في الهند . وقد وصفه بـ" **الفقيه الامام العالم الزاهد** " (٥٣٤) وبعدما دار بينهما الحديث عرف منه انّ جدّهُ الاعلى هو محمد بن القاسم القرشي احد قادة الجيش الذي فتح السند ايام الحجاج بن يوسف ٩٥هـ/٧٠١م ، كما انه وريث جده الاول بهاء الدين زكرياء (٥٧٩-٦٦٥هـ/ ١١٨٣- ١٢٦٧م) الذي نشر الطريقة السهروردية في السند بعد ان تلقّاها سماعا ومجالسةً من شيخها الاول شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردي (٥٣٥) .

وفي مدينة اوجّه الواقعة على طريق الملتان(٥٣٦) والتي احتضنت شيوخ الطريقة السهروردية ايضا التقى بالشيخ العالم الزاهد قطب الدين حيدر العلوي الاجي السنّدي وهو احد العلماء

---

(٥٣١) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٤، ص ٩٦.

(٥٣٢) ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٦٠ .

(٥٣٣) النمر : المرجع السابق ، ١٦٥؛ Frikenburg,R .: Op.Cit.,p., 117.

(٥٣٤) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣،ص ٧٧ ،ولم يوضّح لنا المكان الدقيق الذي التقى فيه بهذه الشخصية ان كان في السند ام مدينة جناني القريبة منها وعلى الارجح كان اللقاء في السند حيث تنتشر الطريقة السهروردية .

(٥٣٥) الحسني : نزهة ..ج٢، ص ١٦٠.

(٥٣٦) ينظر الخارطة رقم (١) ، ص ١٦٥.

والاولياء الصالحين ولبس الخرقة منه (وهي علامة التصوّف وتسمى بتاج درويش او الطاقية)[٥٣٧] كما التقى بقاضي المدينة سلار [٥٣٨] .

وفي مدينة اجودهن التقى بالشيخ علم الدين موجداريا (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) وهو حفيد الشيخ الولي الصالح فريد الدين البذواني الملقب بمخزن السكر (شكركنج) ثاني الشيوخ الذين اخبره الشيخ برهان الدين الاعرج في الاسكندريه انه سيلقاهم بوصفه احد اخوته. وهنا يتأكد مفهوم الصوفية لرابطة الاخوة الاسلامية التي تحدثنا عنها وهي رابطة العقيدة والايمان والزهد التي يرتبط بها الاولياء والشيوخ في مختلف بلدان العالم الاسلامي وليس كما توهم البعض بانها اخوة في النسب . كما انّ ذلك العالم كان يدل فعلاً على تواصل العلماء في لقاءاتهم وروابطهم واجتهاداتهم ، فقد كان مثلا الشيخ فريد الدين شكركنج والد علم الدين قد التقى بأئمّة التصوف في المشرق الاسلامي امثال السهروردي ، فضلا عن لقاءاته بشيوخ الهند كالشيخ قطب الدين الكعكي وبهاء الدين الملتاني وغيرهم مما يدل على جولاته الواسعة من اجل اخذ العلم أو اعطائه بين طلاب العالم الاسلامي [٥٣٩].

وكان الشيخ علم الدين بن فريد الدين هذا احد رموز الطريقة الجشتية في المدينة ، تولّى ابنه معزّ الدين المشيخة من بعده وهو ممن لقيه ابن بطوطة ايضا في مدينة أجودهن . وتعتبر عائلة الشيخ البذواني من أهمّ العوائل الصوفية واكثرها احتراماً من لدن المسلمين الهنود وحتى السلاطين فلهم قبور وزوايا يزورها الناس للتبرّك وطلب الحاجه ،وتذكر بعض المصادر ان اصل تلك الاسرة عربي يرجع الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) [٥٤٠].

وكذلك الشيخ الصالح العالم ناصر الدين محمود الكّبا (أي ألاحدب) (ت٧٥٧هـ/ ١٣٥٧م) حيث قال عنه انه " **من كبار الصالحين ويزعم الناس انه ينفق من الكون لانه لامال له ظاهر وهو يطعم الوارد والصادر وظهرت له كرامات عديدة** " [٥٤١] وهنا يلاحظ أن أبن بطوطة ينساق وراء تلك الروايات دون تحري ، وربما كان ذلك بسبب فطرته الدينية مما يدفعنا للقول بأنّه كان حقاً مقتنعاً بما يسمع عن كل مايذكر له حول أعمال هؤلاء الصوفية

---

(٥٣٧)ابن بطوطة :المصدر السابق ،ج٣ ،ص ص ٨٧؛ التازي : ايران.. ، ص ٥٠.

(٥٣٨) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣ ، ص ٩٠،.

(٥٣٩) يونس الشيخ ابراهيم السامرائي: علماء العرب في شبه القارة الهندية ،دار الخلود (بغداد–١٩٨٦)،ص ٤٥ نقلا عن (أمير خورد : سير الاولياء ،ص ٣٧) .

(٥٤٠) صحح التازي مشكورا خطأ اعتقاد ابن بطوطة حيث انه التقى بالابن وليس الجد الذي توفي في ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م . ينظرابن بطوطة :المصدر السابق،ج ٣،ص ٩٩، هامش ٥٣ ؛السامرائي : علماء .. ص ١٠٨ نقلا عن امير خورد : المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٥٤١) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣ ، ص ١٥٨، ١١٤ ؛ الحسني :نزهة ، ج٢،ص ٢١٥.

كما التقى في نفس المدينة بالشيخ الصالح العالم صدر الدين الكهراني الذي كان محترما من السلطة وقد بالغ بذكر تزهّده وتصوّفه حيث قال عنه " **انه كان يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرّد عن الدنيا جميعا ونبذها ولباسه عباءة ، ويزوره السلطان واهل الدولة ... وذكروا انه لايفطر الا بعد ثلاث** .." [٥٤٢] ويلاحظ تكرار عبارات المديح والصفات لحسنة الملصقة بالعلماء الهنود وذلك يدل على درجة اهتمامات ابن بطوطة وعلى مكانتهم في المجتمع الهندي ومن العلماء الذين أطنب في وصفهم بتلك الصفات : "**الشيخ الصالح العالم العابد الامام الروع الخاشع فريد دهره ووحيد عصره كمال الدين عبد الله الغاري نسبةً الى غار كان يتعبّد فيه خارج دلهي ..زرته ثلاث مرآت** " ونظرا لتقوى هذا الشيخ فقد لازمه ابن بطوطة خمسة اشهر ولبس ثوب الزهد والتقوى [٥٤٣] ، جاء ذلك لتأثره بهذه الشخصية فقد ذكر انه " **كان يواصل عشرة ايام وربما واصل عشرين يوما** "[٥٤٤] . والتقى في دلهي ايضا بالشيخ رجب البرقعي (وهو من قرية القرم في المغرب العربي) احد ائمة التصوف والزهد وهو سفير السلطان الى دار الخلافة في القاهره . ويقول عنه انه دخل الخلوة والاعتكاف صائما ومعه اربعين تمرةَ ولم يخرج الى بعد اربعين يوما وابقى معه ثلاث عشرة تمرة ، وقد زار مرّة شيخا في مدينة موري **Moray** هو الشيخ المعمّر قطب الدين حيدر الفرغاني وذكر انه دخل الى خلوته وواصل اربعين يوما مستهلكاً اربعين تمرة [٥٤٥] .

كما التقى بالشيخ علاء الدين النيلي (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٢ م) الذي "**كان يَعِظْ النّاس في كلّ يومِ جُمعه فيتوبَ الكثيرين بينَ يديه .. وهو من اصحاب الشيخ نظام الدين اولياء** " [٥٤٦] . ويبدو من كلامه ان الشيخ المذكور كان داعية اسلاميا كبيرا استغّل منصبه كخطيب في صلاة الجمعة ليدعو المسلمين الهنود الى التمسّك بدينهم والتقرب الى الله (عَزَّ وَجَلّ)وشكره ، فضلا عن حثّهِ للهندوس الى الدخول في الدين الاسلامي عن طريق هؤلاء المسلمين . وقد شاهد ابن بطوطة موقفا مؤثراً في احدى خطب الشيخ النيلي يدل على ما ذُكِرْ عندما كرر قراءة الاية الكريمة ﴿ يا ايها الناس اتّقوا ربكم ان زلزلة الساعة شييء عظيم ،يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله

---

(٥٤٢) ابن بطوطة :المصدر نفسه، ج٣ ، ص ١١٤ .

(٥٤٣) ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١١٥ .

(٥٤٤) ابن بطوطة :المصدر نفسه، ج٣ ، ص ٢٤٨ ؛ الحسني :نزهة ،ج٢،ص ١٩١

(٥٤٥) ابن بطوطة :المصدر السابق ،ج٤،ص ١٧.

(٥٤٦) ابن بطوطة :المصدر نفسه،ج٣، ص ص ١١٤

شديد ﴾ (٥٤٧) حتّى صاح احد السامعين المتأثرين بطريقة القائه الاية الكريمة وعظمتها فخرّ ميّتاً .وكان ابن بطوطة ممن حضر جنازته وصلّى عليه (٥٤٨) .

يظهر مما سبق ان من تقاليد التصوّف وطبيعتة مواصلة الصوم مع الزهد والتصدّق على الفقراء ونشر الدعوة الاسلامية فضلا عن الاعتقاد بالكرامات والخوارق وكان ترك الطعام يعد من الكرامات . ولعل هذا تقليد شائع لدى الصوفيين الهنود على وجه الخصوص وهو المبالغة بالورع والتزهّد لدرجة مواصلة الصوم لعشرين يوما والاكتفاء بقليل الزاد للمساعدة على القيام بالعبادات والنوافل وربما اكتفى بعضهم بالتمر والماء من اجل المواصلة كما يظهر ايضا من خلال كتاب الرحلة ان المنافسة بين الشيوخ الصوفية كانت موجودة ومشروطة بعدد ايام الصوم والمواصلة والانقطاع ، ومن هنا يمكن الجزم بأنّ سياسة الصوفية فيما يختصّ بالطعام كانت قائمة على اساس المطاولة في الامتناع فقد وجد في دول اخرى من المشرق الاسلامي من يصوم الدهر ولا يفطر الا ايام العيدين وايام الحج وعند المرض . كما كانت لمسألة الفقر صلة بمذاهب الصوفية الاخلاقية فلاريب في ان اموالهم كانت تصرف على الصدقات وبناء المساجد والزوايا (٥٤٩).

أمّا النوع الاخر من العلوم فهي **العلوم العقلية** إذْ إشتهرت الهند قبل انتشار الاسلام فيها بانها بلد الفلسفة والمعرفة العلمية وقد ادلى ألمؤرخون المسلمون ولاسيما اولئك الذين زاروها – في مصنفاتهم بأرآء وافكار قيمة عن علومهم وفنونهم وافكارهم تلك كما اوردت بعض المصادر العربية عددا من المصنفات الهندية في مختلف تلك المجالات (٥٥٠) وكان بعض تلك العلوم والمعارف خالصا نابعا من الحكمة الهندية القديمة نفسها كعلم الفلك والجغرافية والتنجيم والفلسفة(٥٥١) وعلم الهيئة (*) والرياضيات الذي برع فيها الهنود براعة فائقة واشتهر عدد من العلماء في الرياضيات مثل الشيخ المعمر ابي الرضا رتن **Raten** الهندي الذي يعتبر من الحذّاق بالحساب وسمي بـ(عظيم السند) وتولّى ادارة مدينة سيوستان واعمالها (٥٥٢). في حين كانت بعض العلوم الاخرى قد تاثرت بالحضارات المجاوره لها كعلم الطب الذي كانت الحضارة

---

(٥٤٧) القرآن الكريم ، سورة الزلزلة ، اية ١،٢ .

(٥٤٨) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣، ص ١١٤،وللمزيد عن سير شيوخ التصوف في الهند :ينظر : الملحق رقم (٦) ،ص ١٦٤ .

(٥٤٩) النبهاني : المرجع السابق ، ج ١، ص ٦٠.

(٥٥٠) المسعودي : المصدر السابق، ج١، ص ٩٩؛ البيروني : المصدر السابق ،ص ١٠٢ .

(٥٥١) عرف الهنود خطوط الطول والعرض ،وكانت معلوماتهم الفلكية على درجة من التقدم فقد عرفوا مواقع النجوم وتابعوا حركة الشمس والقمر وكان الفكر الجغرافي الهندي يقوم على اساس استخدام الرياضيات استخداما كبيرا في تحديد الاجرام السماوية والارضية .ينظر : البيروني : المصدر نفسه ، ص ٤٠١،٢٢٣،١٧٩.

(*) هو علم دراسة الاجرام السماوية العلوية والسفلية واشكالها واوضاعها ومقاديرها وابعادها ،ومن آلاته : الرصد والاصطرلاب .ينظر :البيروني:المصدر نفسه ، ٢٢٣ .

(٥٥٢) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣،ص٨٢.

المصرية والاغريقية سباقةً فيه ومن ثمّ انتقل الى الحضارة الهندية بوساطة عدد من الاطباء [٥٥٣] .

وذكر ابن بطوطة أن بعض الاطبّاء الهنود عرفوا في أساليب معالجتهم للامراض بفضل ادويتهم التي تستخرج من بعض الاعشاب والمواد التي تتوافر في ارضهم لاسيما العود والكافور والقرنفل وغيرها من العقاقير [٥٥٤] وقد اكّد النبي محمد (ﷺ) على استخدام الادوية الهندية في علاج الاطفال وذكر انها تشفي اكثر من سبعة امراض . قال (ﷺ) ": **عليكم بهذا العود الهندي فأن فيه سبعة أشفية يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب** "[٥٥٥] .

وعلى الرغم من ان ابن بطوطة لم يذكر لنا اسما لاي طبيب الا انه ذكر وجود عدد كبير من الاطباء في مدينة نذربار **Nandurbar** [٥٥٦] كما ذكر بعض المعالجات التي اتخذها الهنود للشفاء من بعض الامراض كالحمى ومعالجتها بالتمر هندي [٥٥٧] ، وثمرة النارجيل وعصيرها الذي له عدة استطبابات.

ومن الملاحظ ان ابن بطوطة لم يشر الى اماكن ومناهج تدريس العلوم العقلية والتي كانت موجودة فعلا في تلك الفترة حيث كانت دور العلم في الهند تدرسّ مختلف أنواع العلوم وفق مناهج تعليمية كان بعضها قريباَ لما سارت في بلدان المشرق الاسلامي ، كما انه لم يتفصل بذكر مناهج التعليم الدينية المعروفة في تلك المدة [٥٥٨] ،وهكذا فقد ازدهرت تلك العلوم جنبا الى

([٤]) يعتبر الطبيب ضيا محمد اول من ادخل الطب اليوناني ومعالجاته الى دلهي في عهد السلطان محمد تغلق فضلا عن الطبيب صدر الدين بن شهاب الدين الدهلوي الذي ذاع صيته في تلك الفترة .ينظر : الحسني : الثقافة ..ص ٣٠٧؛ سيد ظل الرحمن : وصول الطب اليوناني الى الهند ، منشور على شبكة المعلومات موقع **WWW.noormicrofilmindia/zillur11.htm**

([٥٥٤]) ابو اطهر المباركبوري : "العلاقات الطبية بين العرب والهند" ، مجلة ثقافة الهند ، ع٢، عام ٢٠٠٢، ص ١٣.

([٥٥٥]) أبن حجر : فتح الباري ، ج١٠، ص ١٨٣ ؛ المباركبوري : العلاقات الطبية ، ص١٤ .

([١]) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج ٤، ص٢٧.

([٥٥٧]) ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٠٤.

([٥٥٨]) من بين مناهج التعليم في الهند في القرن ٨هـ/ ١٤م : تدريس كتاب (مدارك التنزيل للحافظ النسفي) في التفسير ،و(الهداية للمرغاني) في الفقه ،و(المواقف لعضد الدين الايجي)في العقائد، و(الكافية لابن الحاجب) في النحو .ينظر : احمد: المرجع السابق ،ص ١٣٦ ، شيمل : المرجع السابق، ص ٢٧ (نقلا عن هندوشاه : المصدر السابق) .

جنب لترسم ملامح الوجه الفكري للهند الاسلامية وكان اوج ازدهارها في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد .

المبحث الثاني

العلماء المسلمون ورعايتهم

التقى ابن بطوطة بعدد كبير من العلماء والشيوخ في الهند بنسبةٍ تفوق لقاءاته بالسلاطين والامراء والتجّار وعامة الناس إذ حرص على مقابلتهم وسماع اخبارهم . فكلما يتحدث عن مدينة يزورها يبادر في ذكر قاضيها وخطيبها واهمّ شيوخها ، السابقين والمعاصرين له ، وليس غريبا ان نحصي أكثر من ستين شيخاً أو عالماً التقى بهم او ذكرهم في تلك البلاد . وسنحاول هنا ان نفرد لسير بعض منهم فيما تيّسر من عدد من المصادر العربية :

١) العلماء المسلمون

لوحظ ان الثقافة العربية الاسلامية قد تراجعت في المدن العربية الاسلامية في حين نشطت في مدن اسلامية اخرى كالهند لتعاود مواصلة الرسالة التي تكفلها الاولون من اهل العلم والشيوخ الا وهي رسالة الاسلام الخالدة والدعوة اليه وتوضيح معانيه . ومن هنا فقد ازدهرت عدد من المدن في بلاد الهند واصبحت معروفة اكثر ليس بتجارها او بسلاطينها فحسب بل بفضل

علمائها وفقهائها وحركة العلم فيها ، ولعل مدينة دلهي كانت اكثر ألمدن الاسلامية التي احتضنت العديد من العلماء المسلمين من مختلف بلدان العالم الاسلامي وقد عني العلماء المسلمون بالترحال والسفر للاتصال بالعلماء من اقرانهم والمعروفين بتقواهم للاخذ من علمهم أو لتدريس طلبة العلم بعضا من علومهم المكتوبة التي جلبوها معهم الى الهند(٥٥٩) .

وعلى الرغم من أن ابن بطوطة لم يذكر مصنفاتهم إلا ان ذلك يدل على مدى الترابط الموجود بين علماء الهند والعلماء الوافدين ، فقد تحدّث ابن بطوطة وهو في بلاط السلطان محمد تغلق عن وجود عدد كبير من علماء عدد من الدول الاسلامية مثل " **خداوند زادة قوام الدين قاضي ترمذ ..ومبارك شاه احد كبار سمرقند وارنبغا احد كبار بخارى** " (٥٦٠)

التقى أبن بطوطة بطائفة من العلماء في دلهي ولعل ابرزهم الشيخ ناصر الدين الخوارزمي احد اعلام القضاء الهندي ونظرا لكبر سنّه وتمّرسه بالامور الفقهية لقب بـ(صدر الجهان) والذي يظهر انه لقب تشريفي من القاب الهنود على البارعين في الاحكام الفقهية . وفي قنوج زار الشيخ معين الدين الباخرزي (؟) وفي اوجين زار قبر العالم الكريم ناصر الدين بن عين الملك الذي افتتح مدينة سندابور واستشهد في المعركة ، وفي منجرور لقى قاضيها بدر الدين المعبري وهو شافعي المذهب ويعكس التكوين المذهبي لسكان المدينة وذكره على انه من الافاضل والكرماء المشهورين وكذلك في مدينة كاليكوت تحدّث عن قاضيها الشيخ فخر الدين عثمان المليباري احد العلماء المبرزين في الفقه والاصول (٥٦١) ويلاحظ انه لم يلتق بأحد من رجال العلم في أي من المدن الساحلية لان اغلب اهلها هم من التجار فضلا عن وجود الجاليات العربية والفارسية فيها وهكذا فان خصوصية تلك المدن تجاريه اكثر منها ثقافية.

اما في جزائر ذيبة المهل فقد كان الفقيه عيسى اليمني والفقيه المعلم علي والقاضي عبد الله من اهم مصادر معلوماته عن الحياة الثقافية في تلك الجزر وطبيعة انتشار الاسلام فيها وقال انه لم يكن لديهم قاض للقضاة إذ ان القاضي عبد الله المذكور كان ينظر في الامور العامة كعقود الزواج والطلاق وغيرها لذلك الحّوا على ابن بطوطة في تقلّد منصب القضاء فوافق وبقي قرابة

---

(٥٥٩) ابن خلدون : المقدمة ، ج١ ص ٥٣١.

(٥٦٠) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣ ص ٩٠.

(٥٦١) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٤، ص ص ١٦،٢٣،٤٠ ، ٤٥ ؛ الحسني :نزهة،ج٢،ص ٤٧،١٧٣ .

ثمانية عشر شهرا وقال انهم يسمون القاضي بلغتهم بـ(فنديار قالو **Fadiyaru Kalgoe**) ويسمون الخطيب بـ(هنديجري **Hadegiri**) [٥٦٢] .

كما التقى بالشيخ قوام الدين السجلماسي البشري الذي دخل الهند مع خاله ابي القاسم المرسي وكان يحفظ (موطأ مالك) ، ولقيه في دلهي وعرفه على سلطانها الذي كافأه بالأموال والهدايا ، ثم لقيه ثانية في بلاد الصين وقد تكاثر ماله [٥٦٣] ،ومن المحتمل أن يكون قد أستقر وتوفي فيها بعد أن درّس الفقه المالكي هناك . كذلك الشيخ المعمر البغدادي ولم يفصح لنا عن اسمه الكامل ولكنه من المحتمل ان يكون الشيخ محمد البغدادي الذي كان فعلا بالهند عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م حسبما ذكره الحسني [٥٦٤] والتقى به في زاوية الشيخ الصالح عثمان المرندي في مدينة سيوستان وبعد الحديث معه عرف منه انه جاوز المائة والاربعين عاما وانه شهد عصر الخليفة المستعصم بالله اخر الخلفاء العباسيين في بغداد وربما كان احد العلماء المهاجرين منها الى الهند بسبب سوء الاوضاع الثقافية بعد هجمات المغول . كما التقى بفقيه بغدادي اخر هو الصرصري (نسبة الى صرصر بلدة على مسافة عشرة أميال من بغداد عن طريق الكوفة) وهو فقيه جليل القدر وفد الهند وسكن مدينة جرفتن [٥٦٥].

كما التقى في سيوستان ايضا بقاضي هراة الفقيه العادل فصيح الدين علاء الملك الخراساني احد قضاة الحنفية إذ رافقه الى مدينة لاهري وبقى معه خمسة ايام وذكر عنه انه غني الحال يملك مايقرب من خمسة عشر مركبا بحريا من مراكب الاهورة وقال " **انه احسن في الزاد فانصرفت عنه** " [٥٦٦]

يتضح من النصوص السابقة كثرة الفقهاء والقضاة الذين التقى بهم هناك وربما كان ذلك لحاجة الهنود الفعلية الى الفقه لانه ينظّم الحياة اليومية للناس وعلاقتهم ببعضهم من ناحية وعلاقتهم بالدولة من ناحية اخرى فضلا عن انه يوضّح التعاليم التي يجب ان يتّبعوها في تنظيم شوؤن دينهم .

---

(٥٦٢) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٤، ص ٦٧،٧٥. وقد غادر ابن بطوطة عن تلك الجزر وترك المنصب لعجزة عن تنفيذ العدالة فيها حيث لم تحل اجراءاته دون احتشام النساء الكمال كما حاول تطبيق حكم الشرع في الزنى على مرتكبيها فأعترض احد الامراء على احكامه فقرر مغادرتها .

(٥٦٣)ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص١٢٦؛ التازي : اقدم نقش ..ص ١١.

(٥٦٤) نزهة ..،ج٢ ،ص ٢٠٨ .

(٥٦٥) الاصطخري : المصدر السابق، ص٥٩ ؛ ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣ ،ص ٨١، ج٤،ص ٢٤.

(٥٦٦) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣،ص ٨٧ .

وفي مدينة بكار التقى بالشيخ العالم الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي (نسبة الى مدينة شيراز التاريخية احدى مدن فارس المشهورة بمساجدها ومدارسها) وهو من المعمرّين ايضا اذ جاوز مائة وعشرين عام من عمره ، وفي مدينة اوجين ذكر انها سُكنى الطبيب الفقيه المغربي الغرناطي جمال الدين البجائي الذي اتى الى الهند مع ابيه وسكنها وقد لقيه قبل ذلك في دلهي في حضرة السلطان حيث مدحه بقصيدة نالت اعجاب الحاضرين ويذكر منها البيت الاتي :

وسلاطينهم سل الطين عنهم فالرووس العظام صارت عظاما [٥٦٧] .

وفي مدينة كنباية التقى بالحاج ناصر من اهل دياربكر (احدى مدن ألجزيرة الفراتية) وكان يسكن في قبة من قباب جامع المدينة وقد تناول الزاد معه ،ونلاحظ هنا افتقارالرحالة الى التوثيق الكامل لسيرعدد من الشخصيات إذ انه لم يذكر الاسماء الكاملة لبعض الشخصيات ونلاحظ ذلك عند زيارته لمدينة هيلي حيث التقى بفقيه من اهل مقديشو يدعى بالفقيه سعيد (؟) وذكر انه رجل يسرد في الصوم ويهوى زيارة الاماكن المقدسة حيث ذكر انه قضى أربعة عشر عاما في رحاب مكة المكرمة ومثلها في المدينة المنورة ثم زار الصين والهند [٥٦٨] .

فضلا عن عدم ذكره نهائيا لاسماء عدد من الفقهاء والشخصيات كمّا في مدينة فندرينا فقد ذكر ان قاضيها من اهل عُمان وفي مدينة كولم التي كان قاضيها من اهل قزوين وذيبة المهل وقاضيها من اليمن وهو عيسى اليمني الذي كان مصدره في ذكر المعلومات المتعلقة بأسلام اهل تلك الجزر والتي كانت على يد ابي البركات البربري ، [٥٦٩] .

واخيراً فإن فات ابن بطوطة ذكرعدد من العلماء الكبار امثال الشيخ احمد بن يحيى بن محمد الهاشمي (٦٦١-٧٧٢ هـ/ ١٢٦٦-١٣٧٢ م) الذي عاش في البنغال واثرى الحياة الثقافية فيها [٥٧٠]، وغيره فلم يفته ان يذكر هجرة العلماء الهنود الى خارج القارة الهندية للتدريس فيعدد من بلدان العالم الاسلامي او لدراسة العلوم الاسلامية ،او لزيارة الاماكن الاسلامية المقدسة ولم يكن عددهم قليلا ، فذكر منهم الشيخ سعيد الهندي الذي حصل على اموال طائلة من السلطان محمد تغلق وتوجه الى الحجاز حتى حاول امير مكه سيف الدين عطيفة بن ابي نمي ان يسلبه

---

(٥٦٧) ابن بطوطة :المصدر نفسه ،ج٤،ص ٢٣؛ الحسني : نزهة..،ج٢، ص ١٥٠ ؛ التازي: ايران..ص ٥٨.

(٥٦٨) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٤، ص ٢٩ ، ٤١ .

(٥٦٩)ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٤، ص ٦٢،٤٤، ٤٩، ٩٦.

(٥٧٠) كان الشيخ احمد بن يحيى معتكفاً خارج دلهي لمدة أثني عشرعاما وبعد عودته بنى السلطان محمد تغلق خانقاه له وربما كانت عودته تلك بعد مغادرة ابن بطوطة دلهي فكان طبيعيا عدم ذكره شيئا عنه .ينظر : السامرائي:علماء العرب .. ص ٥٤ نقلا عن فرشته،ص ١٥.

امواله [٥٧١] ، وكذلك التقى بمكة ايضا بالشيخين نظام الدين وشمس الدين (؟) والشيخ الصالح العابد قبولة الهندي من كبار الصالحين وكان معتكفا في خلوة متصلة بالمسجد ومقتصدا في مأكله وملبسه [٥٧٢] .

وهكذا يبدو جليّاً كيف اغنى هؤلاء العلماء المسلمون – التراث والحضارة الهندية عن طريق جلب مؤلفاتهم معهم أو على الاقل ترجمتها الى اللغات والاداب الهندية فضلا عن تأليفهم العديد من الكتب في الهند نفسها حيث وجدوا المناخ المناسب ليمارسوا نشاطهم الادبي والعلمي، كما رفدوا الحياة الثقافية في الهند بطرائقهم المتعددة في البحث العلمي والجدل ونظم التدريس والاساليب العلمية للتعليم ،فقد انشئت لهم وتحت اشرافهم عدّة مدارس ،وبهذا اصبحت مراكز الثقافة في الهند تظم ثروة من المخطوطات العربية الاسلامية [٥٧٣].

كما ان من الملاحظ ان اغلبهم كانوا من المعمرين وقد استقرّ بعضهم في الهند لمدّة طويله وقد انطبقت على اغلبهم صفات المحدثين والعلماء التي وجدت لدى علماء المشرق الاسلامي مثلا كالدراسة على يد كبار الاولياء والاخذ عنهم والترحال في سبيل العلم وكثرة الحفظ وغلبة الزهد .

وإذا كان قد ذكر علوم المسلمين في الهند فأنه أغفل أيضاَ ذكر علوم الهندوس وكتبهم ولم يتطرّق إلا عن القليل من ثقافاتهم مما يدعو كل من يقرأ نصوص الرحلة الخاصة بالهند الى الاعتقاد أن الثقافة الاسلامية كانت هي السائدة والمفروضة في كل الاماكن التي وصلها على الاقل ، على أن المصادر المعاصرة تشير الى عناية السلطان محمد تغلق بالدراسات السنسكريتية وكانت هذة العناية بمثابة تشجيع للعلوم الهندوسية [٥٧٤] ، وهنا فقد أكّدتْ عدد من روايات أبن بطوطة على الامتزاج بين الثقافتين الهندوسية والاسلامية ونورد مثالاَ على ذلك وهو ما كان يردده ابن بطوطة بين الحين والآخر من عبارات المجاملة والمحبّة حيث أنّ بعضها كان يتكون من مفردات عربية وبعضها الاخر باللغة السنسكريتية (الهندوسية) أو الفارسية [٥٧٥].

اما اللغة فقد لوحظ وعلى الرغم من بقائه مدّة طويلة في الهند – الا انه لم يستطع تعلّم لغاتهم او لهجاتهم المحلية بشكل متقن واقتصر الامر عند حد الالفاظ المحددة التي كان يجب عليه ان يعرفها من حين لاخر [٥٧٦] وربما كان له عذر في ذلك وهو انهم كانوا يستخدمون اللغة

([٥٧١]) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج ٢ ص٣٩٣.

([٥٧٢]) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٤،ج٣،ص١٠٣ .

([٥٧٣]) العربي : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

([574]) Husain,M . : Op.Cit . P., 66.

([٥٧٥])ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣،ص ٢١٣؛ Husain,M .: Ibid.p., 67.

([٥٧٦]) كراتشوفسكي : المرجع السابق ،ج١ ،ص ٤٢٨ .

الفارسية في التعاملات والمخاطبات الادبية فضلا عن استخدامهم اللغة العربية واللغة الهندية [٥٧٧] فهو كان يجيد اللسان الفارسي وكثيراً ما ترجم لنا بعض المقولات والعبارات التي سمعها من علماء وامراء هنود ، كما يتضح ان معلوماته عن الجانب الثقافي في الهند كانت مركّزة ووفيرة تعكس عنايته دون الاستهانة بالجوانب الاخرى حيث انه عندما يتعرّض للجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية كان يعود الى ما كان بسبيله وهو حديثه الاساسي عن العلماء والفقهاء ، وحتى الشعراء [٥٧٨] .

وبما انه لم يطّلع على مصادر مخطوطة او مكتوبة عن علومهم وادابهم ، فقد كانت اغلب مصادره من شهود العيان او الثقات والعلماء فضلا عمّا ادّخرتهُ ذاكرتهُ ومشاهداته الشخصية التي سجّلها الكاتب ابن جُزَيْ [٥٧٩] ولكنه اعطانا قيمة تاريخية كبيرة بنقله نصوصا منها قراءةً او اقتباساً ويكفينا فخراً انه قد انفرد بذكر تراجم لعلماء وفقهاء مما لم تذكره المصادر العربية والهندية الواصلة الينا من ذلك العصر مما يعطي قيمة تاريخية ووثائقية للرحلة . فهو رحالة تعد شهادته لفترة معينة وزمان معيّن حيث يسجّل ما رآه وما لقيه من علماء، مما لا نجد له ذكرا في بعض كتب التواريخ التي تسرد الحوادث التاريخية .

وهنا لابد من ذكر اشارة هامة وهي ان ابن بطوطة لم يركز ومن خلال الاسماء متقدمة الذكر على العلماء الهنود بل عنى بذكر العلماء الوافدين من خارج شبه القارة الهندية .

٢) **رعاية السلطنة للعلم والعلماء**

يظهر من خلال ما تقدّم أنّ عصر السلطنة الاسلامية كان عصر ازدهار الثقافات والعلوم نتيجة لتوطيد الصلات مع الثقافات المجاورة ولاسيما الدول العربية والاسلامية لترسيخ فهم الهنود

---

(٥٧٧) عرفت الهند باللغة السنسكريتية التي هي من أقدم اللغات وأعرقها .ينظر : الندوي : الهند .. ،ص ٢٦٨؛ مجموعة مؤلفين : المرجع السابق، ص٩٠.

(٥٧٨) ذكر ابن بطوطة احد اهم الشعراء في عصر السلطنة وهو الشاعر عبيد في حين اغفل ذكر بعضهم امثال الشاعر مسعود سعد سليمان ،والشاعر بدر الدين محمد المعروف بـ جاج CHACH (نسبة الى طاشقند الحالية TASHKENT) وكذلك ضياء الدين النقشبي هؤلاء كانوا اوائل الشعراء المسلمين الذين كتبوا عن علوم وفنون الهند ، ينظر : ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣، ص١٤١ ؛ احمد : المرجع السابق ،ص ٢١٥، الطحطوح : مظاهر .. ص ٩٧؛

Aziz ,A.: Op.cit., p., 75 ؛ Husain ,M.: Op.,Cit., p., 91.

(٥٧٩) ينظر الملحق رقم (١) مصادر روايات ابن بطوطة عن الهند ، ص١٥٧ .

للدين الاسلامي وتغلغله في نفوسهم ،اذ مثّلت السلطنة الاسلامية الاولى في دلهي مبادىء الاسلام السمحة خير تمثيل واقامت مجتمعا يسوده العدل والمساواة ورفعت منار العلم والتقوى في بلد كان البراهمة واصحاب الديانات الوضعية والطوائف المختلفة يستأثرون فيه لا بالسؤدد والحكم فحسب بل بالعلم والمعرفة ايضا ومنذ عهد سلطنة المماليك عرفت الهند العدل والتسامح من قبل بعض سلاطينها المسلمين امثال السلطان التمش الذي كان يضع على باب قصرة اسدين من الرخام في مكان بارز ويضع في اعناقهما السلاسل والاجراس ليتمكن المظلوم من المجيء ليلا ويحرّك الاجراس فينتبه السلطان للنظر بأمره (٥٨٠) ، وتلك الظاهرة من مآثر الاسلام من خلال تاكيده على العدل وعناية الحاكم بامور الرعية (٥٨١) .

وتابعت السلطنة الثانية (الخلجيّة) عمليّة نشر مبادىء الدين الاسلامي بين الهنود فكانوا أوّل منْ افتتح التعليم الاسلامي في الهند عن طريق تدريس القرآن الكريم وتفسيرهُ في المساجد(٥٨٢) ، وجاء ذلك نتيجة عناية سلاطينها بالتعليم الاسلامي فنسمع عن احدهم وهو السلطان ناصر الدين الذي كان يخط المصاحف الشريفة ويقتات بثمنها ،والاخر وهو جلال الدين الخلجي الذي كان اوّل من عني بالادب والشعر من السلاطين الهنود المسلمين (٥٨٣).

وفي عصر السلطنة التغلقية التي تقرّب سلاطينها من الخلافة العباسية فوصل الامر ببعضهم محاولة اظهار الدعوة العباسية في الهند فقد وصلتناعدد من الروايات من سلاطينها وخاصة السلطان محمد بن تغلق فيما يتعلق بأشتداده بأقامة الشرع فنسمع ايضا ومن خلال الرحلة انه قتل تسعة رجال في يوم واحد على تركهم الصلاة وانه كان يجلس يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع في المظالم (٥٨٤).

ذلك كله ادّى بالتالي الى ان يكون عاملا اساسيا في نشر الاسلام في ربوع بلاد الهند بعدما تحسّن الوضع السياسي نسبيا فيها إذ ظهر في تلك المدّة عدد كبير من العلماء والفقهاء والشيوخ الذين كان وجودهم يخفف بعض الالام عن الناس ويفتح لهم ابواب الامل ولاسيما الاولياء منهم (٥٨٥) والذين كانوا يسمون بـ(اهل الله) لكثرة طاعاتهم وخوفهم من الله تعالى (ﷻ) وقد كانوا ايضا متفاهمين فيما بينهم في تقاسم السلطة الشرعية في العالم الاسلامي

(٥٨٠)ابن بطوطة :المصدر السابق،ج،٣، ص ١٢١ ؛ شلبي : المرجع السابق ،ج ٨ ، ص٢٥٥ .

(٥٨١) الطحطوح :مظاهر .. ص ٦١.

(582) Internet :www.zahur. com

(583)Aziz M. : Op.,cit. P., 218.

(٥٨٤) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣،ص ١١٩؛ الحسني : الثقافة ، ص ١٩٨ .

(٥٨٥) النبهاني : المرجع السابق، ج١،ص ٧.

المتداخل على بعضه فهم يتنقلون بين تلك المدن ويتباحثون في أمور دينهم ويدرسون العلوم الدينية ، ونتيجة لذلك نشأت بينهم علاقات ودّية وروابط عقيدية رغم بعد المسافة بينهم وتنوّع أقطارهم [٥٨٦] .

ولكنْ ومع هذا فأننا نستدل من عدد من نصوص الرحلة ومن خلال مجموعة كبيرة من المتصوفين والزهاد ان علاقة الصوفية بالسلطة السياسية كانت متوترة قليلا على الاقل أيام حكم السلطان محمد تغلق وذلك لان بعض الصوفية لم يرضوا على أسلوب محمد تغلق في إدارة البلاد ومعاملته لبعضهم بالقسوة والاكراه على تأييده في خطواته (كما حدث مثلا للشيخ الجام الخراساني) ، وفيما عدا ذلك كانت العلاقة جديرة بالاحترام بين الطرفين بدليل كثرة دور العبادة والربط في دلهي والمناطق المجاورة ، وعناية السلطان بدراسة هذا العلم على يد كبارهم أمثال الشيخ علم الدين موج داريا [٥٨٧] .

ومما يدل على عناية السلطان بهم انه كان يرسل الى استقبالهم كبار رجال الدولة ورئيس الشرطة (الكتوال) وكانوا يتمتعون بحصانه غير خاضعة للتفتيش او التدقيق. كما لم يبخل السلطان بعطاءاته السخّية لعدد من هؤلاء العلماء الذين اسهموا في ترسيخ العلوم الدينية في الهند ، ونذكر هنا عطاءه لشيخ الشيوخ في الديار المصرية : ركن الدين الذي جلب له الخلعة العباسية والتفويض بالحكم على سائر بلاد الهند من الخليفة العباسي في القاهرة حيث " **بالغ في اكرامه واعطاه عطاءاَ جزلاَ، وكان يقوم له متى ما دخل عليه ويعظمه ثمّ صرفه واعطاه اموالا طائلة ومن جملة ما اعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها كل ذلك من الذهب الخالص** " [٥٨٨] .

وكذلك عطاءه للشيخ الفقيه الواعظ ناصر الدين الترمذي الذي وفد الى الهند واقام اكثر من عام يعمل في الوعظ والدعوة في رعاية سلطانها ،وعندما قرر العودة الى بلاده هيّأ له السلطان منبرا من الصندل الابيض المقاصري وجعلت مساميره وصحائفه من الذهب والصق باعلاها حجر ياقوت عظيم وخلع عليه خلعة عباسية سوداء مذهبة مرصّعة بالجواهر وعمامة مثلها [٥٨٩] . وقد ذكر مرة انه وزن احد علماء خراسان بالذهب وهو الشيخ امير بخت شرف الدين والبسه

---

(٥٨٦)ابن بطوطة :المصدر السابق،ج ٣،ص ٦٠؛ مؤنس : رحالة الاسلام ابن بطوطة ،مجلة العربي ،ع ٢١٥،(الكويت-١٩٧٦)ص ٥٧،٥٦.

(٥٨٧) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ،ص٩٩ هامش (٥٣) ؛Mujeeb,M . : Op.,Cit.p., 138.

(٥٨٨) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣، ص١٦٨.

(٥٨٩) ابن بطوطة :المصدر نفسه والجزء والصفحة.

كل الثياب المحشوة بالقطن وامره ان يتصدق ببعضها ، كما انه اعطى مرة ابن الشيخ عبد الرحمن الاسفراييني خمسين الف دينار عندما وفد عليه (٥٩٠) .

ومن الجدير بالذكر ان مكارم السلطان محمد تغلق شملت حتى العلماء والشيوخ المعروفين في العالم الاسلامي ولكن لم تتسنّ لهم فرصة الوصول الى الهند لسبب او لآخر حيث كانت الهبات تصل الى بلادهم تشجيعا لهم وحثّهم على مواصلة جهدهم العلمي والادبي . ونذكر مثالا على ذلك عطاء السلطان للفقيه شمس الدين الاندكاني (؟) الشاعر الذي مدح السلطان بقصيدة فارسية عدد ابياتها سبعة وعشرين بيتا فاعطاه السلطان على كل بيت منها الف دينار ، ومن ثم عطاءه لعضد الدين الشونكاري **Shabankara** (نسبة الى شونكاره وهي عشيرة كردية سكنت مناطق جنوب شرق فارس منذ القرن ٦هـ/١٢م) وهو شيخ فقيه عظيم الصيت في بلاده حيث ارسل اليه عشرة الاف دينار ولم يره قط ولم يفد اليه . وكذلك عطاءه لمجد الدين اسماعيل الشيرازي خُذاداد الذي بعث اليه ايضا عشرة الاف دينار .كما بعث ايضا الى الشيخ الواعظ الزاهد برهان الدين الصاغرجي (نسبة الى صاغر قرية تقع على بعد خمسة عشر ميلا غرب سمر قند) أربعين الف دينارا (٥٩١) .

كما لايفوتنا ان نذكر عطاءات السلطان للرحالة ابن بطوطة والتي كان منها عمله في القضاء في دلهي طيلة ثمان سنين والذي يأتي ضمن السياق الذي سار عليه سلاطين دلهي في توظيف الاجانب في بلاطهم بوصفهم من ديار الاسلام والثقاة كما يبرز امكانية ابن بطوطة وفكره وتفقهه ، فهي كما قال " **شغلي وشغل ابائي** "(٥٩٢) كما شمله السلطان بالكثير من عطفه ورعايته وتقديره فأمر له بمبلغ مالي ومنحه الخيول والجواري والخلع والمرتّب السنوي فضلا عن ايفائه ديونه خاصة بعدما مدحه بقصيدة طويلة من ابياتها :

اليك امير المؤمنين المبجلا	اتينا نجدّ السير نحوك في الفلا
فجئتُ محلا من علائك زائراً	ومغناك كهفٌ للزيارة أُهّلا
فلو ان فوق الشمس للمجد رتبةٌ	لكنت لأعلاها اماما مؤهّلا
فانت الامام الماجد الاوحد الذي	سجاياه حتما ان يقول ويفعلا
ولي حاجة من فيض جودك ارتجي	قضاها ، وقصدي عند مجدك سُهّلا

(٥٩٠) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٢ ص ٤٦؛ ابن العماد عبد الحي االحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب،مكتبة القدس (القاهرة –١٩٣٧) ج٥ ،ص ٣٨١.

(٥٩١)ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣، ص١٧٠ –١٧٢.

(٥٩٢) ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٣٣.

أأذكرها ام قد كفاني حياؤكم فان حياكُم ذكره كان اجملا
فعجّل لمن وافى محلّك زائرا قضا دينه ان الغريم تعجّلا (٥٩٣) .

وإذا كان لم يذكر لنا شيئا عن طبيعة عمله في القضاء في الهند الا انه سجّل لناعدد من القضايا التي بتّ فيها بالحكم الشرعي ولم يفرق او يبالي في تطبيق الاحكام بالبعيد او القريب ومنها قضية تتعلق بعمله قاضيا في جزائر ذيبة المهل لها ارتباط بصهره الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي الذي كان وصيا على اموال اخوال زوجته فانهم حينما بلغوا الرشد وارادوا التصرف باموالهم ، لم يمكنهم الوزير من ذلك فشكوه الى القاضي (ابن بطوطة) لما يعهدون فيه من العدالة والحكمة ، فطلب من الوزير المذكور المثول امام القضاء فرفض واناب عنه من يتكلم عنه وكانت عادته ان يعاقب كل من يرفض الاستجابة للقضاء ايّا كان فأمر ابن بطوطة ان لا يسلّم عليه احد في المجلس (وكان سلامهم ان يوصلون السبابة بالارض ويقبلونها ويضعونها على رؤوسهم) وعند ذلك شعر الوزير بالاستهانه فقرر الاستقالة (٥٩٤) ومن الجدير بالذكر انه لم يكن اول قاض يتولّى ذلك المنصب في بلاد الهند(٥٩٥) ومما يشار اليه بهذا الخصوص أن عمله بالقضاء لم يؤد به الى تأسيس مدرسة لتدريب الهنود المسلمين على الفقه المالكي (٥٩٦).

فضلا عن ذلك يمكن رؤية الدافع الحقيقي وراء زيارة أبن بطوطة الى الهند وهو الدافع الذي كان مشتركاَ في كل رحلاته تقريباَ وهو محبتّه لزيارة قبور الصالحين ، فهو مرّةَ وبينما كان يرافق السلطان محمد تغلق في إحدى رحلات الصيد بمدينة بهراييج **Bahraich** الواقعة شرق الهند على حدود النيبال ، وجد نفسه قريباَ من قبر الشيخ الصالح سالار مسعود (توفي بحدود

---

(٥٩٣) كان أبن بطوطة وهو في طريقه الى القصر قد أستوقفه بعض دائنيه ،فرفع الامر الى السلطان الذي سدد لهم عنه، ويبدو أن هذا العرف هندي اسلامي وقد تبناه السلطان محمد تغلق.ينظر:ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣، ص ٢٣٦؛
. Husain ,M . :Op.,Cit. P., 60

(٥٩٤) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج ٤ ،ص ١١٤ .

(٥٩٥) حيث سبقه في تقلّد هذا المنصب في دلهي القاضي عثمان بن محمد الجورجاني الذي اقام في السند وتقرب من سلطانها ناصر الدين قباجه وتولى التدريس في المدرسة الناصرية ثم تولى قضاء دلهي على عهد السلطان معز الدين بهرام شاه ،وفي ذيبة المهل لم يكن هو اول قاض عربي مسلم فيها حيث سبقه كذلك القاضي نور الدين الزيداني نسبة الى زيدان احدى القرى قرب الكوفة ينظر :ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٢ ، ص ٥٣ ؛ العربي : المرجع السابق ،ص ٤٨؛ مؤنس : رحالة الاسلام ... ص ٥٦.

(596) Wolf ,K.: op.,cit.p., 107 ؛ Dunn ,R.: op.,cit .,p., 149.

٦٠٠ هـ/ ١٢٠٠م) ، والذي فتح تلك المناطق أيام الحملة الغزنوية [٥٩٧]. ومن هنا فقد لمس السلطان فيه تلك الفضيلة وقرر تكليفة بأدارة مرقد السلطان قطب الدين ايبك فضلا عن منصب القضاء ، وبالفعل حصلت موافقته على ان يكون تصميم الضريح كبيرا "**ويبنى عليه قبة يكون ارتفاعها في الهواء ماية ذراع بزيادة عشرين ذراعا على ارتفاع القبة المبنية على قازان ملك العراق ،وامر ان تشترى ثلاثون قرية تكون وقفا عليها وجعلها بيدي على ان تكون لي العشر من فائدها على العادة** " [٥٩٨] .

ويبدو من هذا النص ان مدى عناية السلطان محمد تغلق بضريح مؤسس السلطنة الاسلامية في الهند لدرجة التباري والتباهي في اقامة الضريح على أحسن صورة ممكنة ، وعندما كانت تقام الذكرى السنوية لوفاة هذا السلطان كان ابن بطوطة ينظم مراسيم الاحتفاء او بالاحرى العزاء بها [٥٩٩] . ومن هنا فقد نقل ابن بطوطة بعض التقاليد التي كانت تقام في بلاده وفي البلاد العربيه الى الهند .

ان الحقيقة التي يجب عدم اغفالها هنا هو ان الاسلام استمر بالانتشار بكثرة في عهد السلطنة التغلقية ولاسيما في دلهي وفي شمال غرب الهند وجنوبه حتى منطقة شيتاغونك في البنغال فكان سلاطينها بحق اول من شمّروا عن سواعد الجد من سلاطين الهنود لتطبيق شعائر الاسلام في كافة المناطق والاقاليم . فكان السلطان غياث الدين تغلقشاه يجالس رجال العلم ويقدّرهم [٦٠٠] وعندما زار ابن بطوطة الهند وجد السلطان محمد تغلق من رعاة العلم والعلماء فكان متواضعا معهم ويباحثهم ويأكل معهم ويكرمهم على وفق مبدأ سنّهُ يسمى بغسل الرأس او (سرششتي) وهي الخلع والاكرام للغرباء من العلماء والشيوخ . وقد ارسل مالا برسم الحرمين الشريفين وبيت المقدس على سبيل الهدية دلالة على احترامه وتقديرة للاماكن الاسلامية المقدسة لاسيما مكة المكرمة والمدينة المنورة كما عنى بنشر الاسلام في الاماكن المجاورة إذ ارسل عدد من العلماء الى كشمير لنشر الاسلام فيها [٦٠١] .

بل ذهب أحد المستشرقين الى القول بأن ارسال ابن بطوطة الى الصين من قبل محمد تغلق لم تكن له دوافع سياسية فحسب بل دوافع اخرى دينية تتمثّل في نشر الاسلام والدعوة الاسلامية هناك عن طريق الرحالة الذي يعد داعية لكونه من بلاد العرب [٦٠٢] وقد كان على صلة بشيخ الاسلام ابن تيمية في دمشق (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م) عن طريق عدد من العلماء الذين كانوا تلاميذ له مثل الشيخ عبد العزيز الاردبيلي وهو احد الفقهاء والمحدثين الذين اخذوا العلم عن كبار المشايخ في المشرق الاسلامي امثال شمس الدين

---

(٥٩٧) من المرجّح أن سالار هو أبن أخو السلطان محمود الغزنوي .ينظر :ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣، ص٢١٥ همش رقم ٥٠.

(٥٩٨) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٤٣ .

(٥٩٩) ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٤٤ .

(٦٠٠) حضر مرّة مناظرة حول جواز سماع الموسيقى للصوفي وكان رئيس المناظرة نظام الدين اولياء يدافع ببراعة عن شرعيتها ضد الشيخ جلال الدين الولولجي وامام السلطان الذي كان يقف مع المعارضين لمشروعية السماع ثم دخل اليهم الشيخ سليمان بن زكريا القرشي فحكّمه السلطان بينهم فقضى بشرعيته فأقنع نظام الدين بالامر وتحّول اخيرا الى جانب المجوّزين للسماع . ينظر : السامرائي :علماء العرب ..،ص ٧١؛ احمد : المرجع السابق ،ص ٣١ نقلا عن فرشته ،ج٢ ،ص ٧٤٤.

(٦٠١) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣،ص ٢٢٦، ١٥٥؛ احمد : المرجع السابق ، ص ٣١.

(602)Beckningham , J : Op.Cit,. Vol . 8 ، p.,9 .

الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) جمال الدين المزي (؟) إذ وفد عليه وتلقّى اخبار العلماء في البلاد العربية وطبيعتها كما وسمع منه الحديث ، ثم اصرّ على بقائه في الهند ليعمل في التدريس فيها وصرف له مبلغاً كبيراً يقدر بمائة دينار وعندما عاد الى بلاده اعطاه صينية مملوءة بالذهب (٦٠٣).

والجدير بالملاحظة أنّ رعاية العلم والعلماء لم تكن مقتصرة على السلطان نفسه فحسب ، بل كان معظم الامراء وحكام الاقاليم يواظبون على النهج نفسه في معاملة العلماء وتوفير الجو العلمي الملائم لمواصلة نشاطهم العلمي ، ففي مدينة جنديري التي كان اميرها عز الدين البنتاني يجالس اهل العلم مثل الفقيه وجيه الدين البياني وقاضي المدينة وامامها . وكذلك امير مدينة مُتره ناصر الدين الذي مدحه بعض الادباء امثال القاضي صدر الزمان فكافأه بـ خمسمائة دينار ثم مدحه ابن بطوطة عند زيارته المدينة فوهب له ثلاثمائة دينار وخلعة (٦٠٤) وفي البنغال كان السلطان فخر الدين بوغرا خان فاضلا ومحبا للعلماء ولاسيماالغرباء منهم والمتصوفة لدرجة ان جعل احد نوابه فقيرا منهم يدعى (شيدا)(٦٠٥) .

ان ذلك يدل على رعاية السلطان محمد تغلق للعلماء وعنايته بالدين الاسلامي وتمسّكه بمبادئه ، كما وصل الى بلاطه عدد كبير من علماء خراسان والعراق وفارس وما وراء النهر فاكرمهم كما سنرى .

كما يمكن القول بان السلطان كان نفسه من العلماء وتعضدنا في هذا القول عدد من المصادر المعاصرة او القريبة من ذلك العصر والتي نسبت اليه حفظه للاشعار باللغتين العربيه والفارسية مما يدل على فصاحته ، فضلا عن حفظه لآيات من القرآن الكريم والتي ردد بعضها أمام ابن بطوطة، وتضلّعه بالتاريخ والرياضيات والمنطق والفلسفة الى جانب عنايته بفن الخط والنقش(٦٠٦) ونظرا لعنايته تلك فقد أهتمّت عدد من المصادر في تعداد العلماء والشيوخ والمقرئين والصوفية الذين تواجدوا في بلاطه (٦٠٧) .

وعلى الرغم من مما عرف به من رعايته وتقربه للعلماء بل وعلى النقيض من ذلك ، فان البعض منهم لم يكن بمنأى عن قسوته لاغراض شخصية ، فلم ينجو عدد من الشيوخ في عهده من تلك القسوة حيث اعدم بعض علماء عصره امثال الشيخ هود حفيد الولي الصالح ركن الدين بن بهاء الدين (٦٠٨) والشيخ عفيف الدين الكاساني ، ولعل اكثرها قسوة تلك الحادثة التي كادت أن تودي بحياة ابن بطوطة الذي كان شاهد عليها ومفادها رفض الشيخ شهاب الدين الجام الخراساني الذي كان معظما لدى السلاطين السابقين — عن خدمة السلطان وتنفيذ اوامره واتهامه اياه بالتعّنت والجبروت وبموجب ذلك كان طبيعيا من السلطان ان يأمر احد مساعديه ومواليه وهو ضياء الدين السمناني بنتف لحية الشيخ وتعذيبه على ان يتراجع عن اتّهامه وبعدما رفض ضياء الدين تنفيذ هذا الامر لقدسية الشيخ ومهابته في نفسه ، قرر السلطان معاقبته ونفيه الى مدينة دولت اباد لسبعة اعوام ، ومن ثم اعاده وولاه منصبا في الديوان فمازال يعدد للسلطان بعضا من مظالمه حتّى ضاق به السلطان ذرعا فأمر بضرب عنقه (٦٠٩).

---

(٦٠٣) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٢،ص ٤٦.

(٦٠٤)ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٤، ٢٢،٩٧.

(٦٠٥)ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٤،ص ١٠٣.

(٦٠٦) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٣؛المقريزي:الخطط ،ج٢،٧٦؛ الساداتي :المرجع السابق ،ج٢،١٧٢؛ المصري :المرجع السابق ،٣٨٨؛

Yule,H .: op.cit.,vol. 4.p., 11,15 ؛ HoltmP.M&Others : Op.Cit p.,14 ؛ Aziz ,A .: op.cit ،.p., 53 .

(607)Yule,H : op.cit.,vol 4. p., 15

(٦٠٨)ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣، ص ١٨٨ .

(٦٠٩)ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣، ص ١٨٥.

اما ابن بطوطة فقد كان يريد رؤية الغار الذي يسكنه ذلك الشيخ والتعرف عليه بوصفه عالما وصوفيا وربما كان مالكي المذهب ، واوجس خيفة على نفسه عندما طلب السلطان قائمة بأسماء الرجال المقربين من الشيخ المقتول ،وخوف ابن بطوطة انما جاء بسبب علمه بمدى قسوة السلطان التى طالت حتى الغرباء الاعزة والمقربين رغم علاقته التي حصل عليها معه وخدمتة في القضاء لمدة ثمان سنوات ، وعند ذلك اعطى ثيابه ومتاعه للفقراء ولبس ابسط الثياب وتزيّا بزي الصوفية واعتكف وحيدا لاربعين يوما وكان يقرأ القرأن الكريم مرتين في اليوم ويقرأ قوله تعالى : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [٦١٠] ثلاثا وثلاثين الف مرة [٦١١].

وهكذا شاء حضّ ابن بطوطة ان يكون من ضمن قائمة العلماء الذين اكرمهم وقربّهم السلطان محمد تغلق وليس ضمن قائمة الاشخاص الذين اعدمهم وقسى عليهم وابعدهم .كما ويشعرنا ايضا بأن الهند كانت لاتزال تعيش عصر الاسلام الذهبي وذلك من حيث عنايةالسلطنة بأقامة الشعائر الدينية واحترامهم للصوفية والاولياء .

ولعل جميع ما ذكر عن الجانب الثقافي كان من قبيل المشاهدة المباشرة من الرحالة نفسه الذي كان معنيا اكثر من غيره بهذه الجوانب لانه فقيه ويعد من ضمن حقبة العلماء الذين بسببهم كانت رحلته اذ انه كان لاينزل بلدا او مدينة الا ويزور فيها وليّا او عالما [٦١٢].

المبحث الثالث

الحركة العمرانية

([٦١٠]) القران الكريم : سورة ال عمران /اية ١٧٣.

([٦١١]) ابن بطوطة :المصدر السابق،ج٣،ص ٢٨٣. ان ما ذكره ابن بطوطة حول ختمه للقرآن الكريم في اليوم مرتين ليس ببعيد فالحافظ للقران يجد سهولة في القراءه والترتيل اسرع من القارىء العادي لسهولة الالفاظ وسرعة ترددها على اللسان كما ان الحافظ للقران يمكنه يتلو ويردد الايات وهو يمشى او يعمل ، ولانغفل الدافع النفسي لابن بطوطة والحادثه التي أفزعته وجعلته يتمسك بالاعتكاف وعند الاعتكاف يراجع الإنسان نفسه وليس له سبيل له في ذلك سوى الدعاء وقراءة القران ، كما ان ابن بطوطة كان فقيه وقاض اى انه قريب من النص القراني والحافز الديني لديه اكثر مما لدى اي شخص اخر .ينظر : جلال الدين الحنفي : قواعد التجويد والالقاء الصوتي ، دار الحرية (بغداد-١٩٨٧) ، ص ٣٦٩.

([٦١٢]) مؤنس : أبن بطوطة ورحلاته ، ص ١٦٤.

وصف ابن بطوطة عدداً من المباني الاثرية الاسلامية ولاسيما تلك التي اشتهر التغلقيون ببنائها كالأضرحة والمساجد والقلاع الكبيرة بضواحي دلهي وبعض مناطق حكمهم ولكنه بدأ الحديث في هذا الجانب عن تخطيط عدد من المدن التي مر بها في الهند واول ما ذكره هو تخطيط مدينة دلهي التي تتكون في الاصل من اربع مدن متجاورات هي : دلهي القديمة وسيري **Siri** وتغلق اباد وجهان بناة ويذكر احد المؤرخين المعاصرين للرحالة ان دلهي مدينة كبيرة تقدر مساحتها بأربعين ميلا وهو مجموع مساحة الاربع مدن وانها تضاهي بغداد والقاهرة من ناحية العمران والتخطيط [٦١٣].

وقد أسهب بذكر العديد من معالمها ولاسيما سورها وابوابها وتحصيناتها الدفاعية .اما السور المحيط بها فيذكر ان عرضه أحد عشر ذراعاً والجزء الاسفل منه مبني بالحجارة والجزء الاعلى مبني بالاجر وفيه ابراج متقاربة يستفاد منها للمراقبه وتوجد بين البرج والاخر بيوت صغيرة لسكنى الحراس وحفاظ الابواب كما توجد فيها مخازن للميرة والتموين تسمى **(الانبارات)** ومخازن اخرى للاسلحة والمجانيق . وكانت هذه التحصينات والاحتياطات قد أوجدها السلطان غياث الدين بلبن[٦١٤] منذ عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٠م عندما كان نائباً للسلطان ناصر الدين إلتتمش الذي كان يستعد لخوض حرب ضد المغول ، وبالمناسبة فان ابن بطوطة كان قد وجد تلك التحصينات والاحتياطات باقية على حالها حتى بعد تسعين عاما من انشائها وذلك لأستمرارية وجود الخطر المغولي وتهديده باجتياح الهند .

كما كان لدلهي ثمانية وعشرون بابا **(دروازا)** ويبدو ان كل باب منها كان يؤدي الى ناحية معينة يسمى بها ، فمثلا باب بادون يؤدي الى مدينة تغلق اباد ومنها الى بدايوان ،وباب مندوي **Menadoui** يؤدي الى المنطقة الزراعية خارج دلهي ، وباب جل **Gel** المؤدي الى البساتين والحقول ، فضلا عن باب شاه وباب بالم جنوب غرب المدينة وباب نجيب وكمال وغزنة والبجالصة[٦١٥]. وفي خارج المدينة والسور والابواب تقع المقابر التي يبنون عليها القباب والمحاريب واشجار الريبول والنسرين المزهرة [٦١٦] .

كما لم يفته وصف المساجد في الهند ومنها وصفه الدقيق والوافي لمسجد **قوة الاسلام** في دلهي والذي كان في الاصل معبدا هندوسيا حيث هدمه السلطان قطب الدين ايبك واستعمل انقاضه اساساً لعمارة المسجد عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م ، وتبلغ مساحة المسجد ثلاثة وأربعين متراً طولا و ثلاثة وثلاثين مترا عرضاً وتحيط به اروقة مشيّدة على اعمدة أُخِذتْ من المعابد الهندوسية

---

(613) FryKenberg ,R .:.op.cit p., 4، (نقلا عن العمري "مسالك الابصار ،ج ٢٤)

(٦١٤) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج ٣،ص ١٥،١٢٩ ، ١٠٣ .

(615) FryKenberg ,R : .op.cit p., 4 ، (نقلا عن العمري "مسالك الابصار ،ج ٢٤)

(٦١٦) ابن بطوطة :المصدر السابق، ج٣ ص٦١،١٠٧ ؛ Mujeeb,M .: op.cit .,p., 218

،امّا واجهة المصلّى فتتكوّن من طاق وسطي عرضهُ اكثر من ستة امتار وارتفاعه ستة عشر متراً وعلى جانبيه طاقان اقل عرضاً وارتفاعاً من الطاق الوسطي(٦١٧).

وكانت جدرانه وسقوفه مفروشة بالحجارة البيضاء المنحوتة وفيه ثلاث عشرة قبة من الحجارة فضلا عن المنبر ، وفي خارج ابواب المسجد يوجد صنمان كبيران من النحاس مطروحان على الارض (٦١٨) وفي وسطه العمود الهائل وارتفاعه ثلاثون ذراعاً وهو من الاجزاء التي نقلت من المعابد البوذية والهندوسية القديمة بدليل أنه مكوّن من عدّة معادن قديمة التصميم وترجع الى الطراز الهندي قبل الاسلام (٦١٩). وهو غير الصومعة الكبيرة للمسجد والمسمّاة (منار قطب) والتي يكون قطر قاعدها قرابة أربعة عشر متراً وتضيق لتنتهي بالمنارة بقطر ٢،٧٥ متراً وارتفاعها الكلي يكون ٧٢،٥ متراً . ويجدر بالذكر انّ السلاطين من بعده قاموا بتوسيعات وترميمات اليه ،امثال السلطان التمش الذي اضاف زخارف علىعدد من جدرانه ومدّ الاروقة ومقصورة الصلاة الى خارج السور الاصلي للمسجد فأصبحت مئذنة منار قطب داخل السور الجديد ، وعلاء الدين الخلجي الذي عمّر سقيفته (٦٢٠). ومن عناصرها المعماريه انها مبنية من الحجر الاحمر وتكون منقوشة ومرتفعة قليلا وعالية ومنها اجزاء من الرخام الابيض الناصع ومنها ما هو مرصّع بالذهب الخالص وتكون عليها خطوط باللغة العربية تتضمن ايات من القران الكريم ومدونات لابرز القادة الذين قادوا البلاد الى الانتصارات على المغول او الاعداء . وجدير بالذكر ان هذا المسجد هو نفسه الذي كلف ابن بطوطة بادارته.

وقد أستحدثت الاسرة التغلقية منشات معمارية جديدة محصنة ومنها مدينة تغلق اباد التي بناها غياث الدين قبل وفاته وبها كانت خزائنه وقصوره ومقبرته ، كما بنى ابنه محمد تغلق مدينة جديدة هي تغلق اباد (ديوجير) وكان السبب في بنائها فضلا عن الاسباب العسكرية والدفاعية هو الزيادة في عدد السكان في مناطق سيرى ودلهي ، كما انها تبعد ستة الاف ميل عن منار قطب (٦٢١) وكانت تلك المدينة تحتوي على ثلاث خطوط دفاعية بين الممر والقصبة وعلى اسوارها ابواب مستديرة منتظمة لابعاد مدعمة وليس بها اروقة او معلم يخلدها ولذلك فهي اقل المنشأت الهندية المعاصرة بروزا ، فضلا عن اقامته لعدّة قصور سلطانية مثل قصر **دار سرى** ، وقصر **هزار ستون** أي الالف عمود او سارية والذي اقيم في مدينة جهان بناه **Djahanpenah**

---

(٦١٧) شريف يوسف : المدخل لتاريخ العمارة العربية الاسلامية ،دار الجاحظ(بغداد–١٩٨٠)ص ١٨٧.

(٦١٨) لم يخبرنا أبن بطوطة ما إذا كانت تلك الاصنام هي بقايا لمعابد هندوسية ، فمن غير المعقول أن تكون ألاصنام داخل المساجد .

(٦١٩) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص١٠٩.

(٦٢٠) يوسف : المرجع السابق ،ص ١٨٥.

(٦٢١) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص١٤٤، ٢٤٤ .

على الطراز نفسه الموجود في مدينة تغلق اباد وتشّكل من الف عمود خشبي مسقفة ومنقوشة حول القصر لتحمي الناس من حرارة الشمس أو المطر [٦٢٢] ، وربما كانت عمارات السلطنة التغلقية عديمة الزينة والبهرجة ولكن من المرجح انها كانت مكسوّة بنقوش جصية ملوّنة او برسوم فنية غنية بالزركشة وبعض مصادر فن العمارة تؤكد وجود صور جصيّة لسلاطين وشخصيات عسكرية هندية كانت تزيّن جدران قصر (هزار ستون) قام السلطان فيروز تغلق فيما بعد بطمسها [٦٢٣].

كما تحدث عن تخطيط مدينة فندرينا التجارية الواقعة على الساحل البحري ، فذكر اسواقها الحسنة الكثيرة وبيوتها الواسعة ذات البساتين الجميلة ، وعرفنا من خلال حديثه عنها انها ذات اغلبية هندوسية وللمسلمين فيها ثلاث محلات متجاورة في كل محلة مسجد فضلا عن وجود المسجد الجامع الكبير على الساحل البحري وله مناظر جميلة وسعة كبيرة [٦٢٤] .

وتحدث كذلك عن مدينة حانسي وعمارتها المتقنة وسورها العظيم المحيط بها والذي انشأه السلطان كوره سلطان المدينة [٦٢٥] .ولم ينس وصف عدد من القبور الخاصة بالرجال الصالحين أو الشخصيّات السياسية الكبيرة ولاسيما ذكره لقبر السلطان غياث الدين تغلق المنتصب وسط بحيرة إصطناعية وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تنسدل جدرانه المتكوّنة من قوالب الحجارة الرملية الحمراء المنحدرة قليلا ويعلوه قبّة بيضاء مستوية ،ولايمتاز بزخرفة إلا على مستوى اطر البوابات الاربع التي تنطوي على افاريز الزينة [٦٢٦].

كما وصف صهريجا عاليا وكبيرا للماء يستخدم للسقي والاغتسال والوضوء للمصلين ويسمى (الباين **Waiin**) في مدينة ده فتن حيث قال : " **ان طوله ٥٠٠ خطوة** [أي حوالي ٤٠٠ مترا] **وعرضه ٣٠٠ خطوة** [أي حوالي ٢٠٠مترا] **وهو مبني بالحجر الاحمر المنحوت وعلى جوانبه ثمان وعشرين قبة من الحجر على كل قبة أربعة مقاعد للجلوس وكل قبة يصعد اليها بدرج** .. " [٦٢٧] ويبدو ان هذا الصهريج قد اعدّ خصيصا للمصلين بدليل وجود المسجد

([٦٢٢]) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣،ص ١٥٢،٢٢٤.

([٦٢٣]) بورخارت برانتياس : "الفن الاسلامي في شبه القارة الهندية" ،بحث منشور ضمن كتاب (الفن العربي الاسلامي)،منشورات الايسسكو،(تونس –١٩٩٥)،ص ٣٧٨.

([٦٢٤]) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤، ص ٤٤.

([٦٢٥]) ابن بطوطة :المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٠٣.

([٦٢٦]) أبن بطوطة : المصدر نفسه ، ج٣، ص١٤٤ ؛ برانتياس: المرجع السابق ، ص ٣٧٥.

([٦٢٧]) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤،ص٤٢؛ المعبري : المصدر السابق ، ص ٢٢٧؛ ؛ الشرقاوي : المرجع السابق ،ص ٣١٨.

الجامع للمدينة بقربه حيث وجد درج حجري للربط بين الصهريج والمسجد حيث ينزل المصلون للاغتسال .

اما في ذيبة المهل فقد وصف عدد من دورها العامة التي كانت اغلبها مبنيه من الخشب المتوافر[٦٢٨] هناك والذي يبدو انه يؤخذ من اشجار النارجيل . كما كانت تتوافر فيها مواد بناء جيدة ورخيصة ومتنوعة مما شجّع الهنود على التفنن والاصالة في بناء طرز معمارية فريدة وجميلة تسرّ الناظرين ولاسيما الحجر الملون (الاحمر والابيض) الذي مرّ بنا في مدينة دلهي وبعض المساجد ، كذلك مادة (الجهتيه) التي هي عبارة عن مواد خرسانية يصنع منها مواضع للجلوس كالتي في قصر السلطان محمد تغلق [٦٢٩] .

وابرز ما يلحظ على الجانب المعماري في الهند في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد هو تاثره بالطراز العربي الاسلامي الذي اختلط تدريجياً بالفن الهندي ليصبح فنا عرف بالفن المعماري الشرقي الذي خلا من التعقيدات والبهرجة مع ما فيه من رونق وبساطة وجمال[٦٣٠] وما النقوش والزخارف العربية التي شاهدها ابن بطوطة في مسجد دلهي ومنها ما كتبه السلطان غياث الدين تغلق من عبارات بالخط الكوفي خلّدت ذكراه وبطولاته الا تاكيدا على ذلك ، اذ تعد كتابة هذا النقش من النماذج الرائعة للخط الكوفي المبكر في المشرق الإسلامي ويمكننا أن نستدل من خلال ذلك على أن السلاطين والأمراء المسلمين في الهند كانوا يستعملون اللوحـــــات التذكاريـــــة منـــــذ بدايـــــة حكمهـــــم .

ولا يخفى أن النقوش الكتابية كانت تعد من أهم العناصر الزخرفية للعمارة الإسلامية إذ نادراً ما كان المسلمون يشيدون العمائر دون كتابات تذكارية أو لوحات تأسيسية تهدف في الغالب إلى تخليد اسم صاحب العمارة ومشيدها وذكر اسم السلطان المعاصر وتاريخ التشييد وان كان ابن بطوطة يذكر انواع الخطوط المستعملة في الهند ، إلا ان بعض المعلومات تشير الى استخدم الخط الكوفي من قبل الفنانين المسلمين في البداية ومن ثم اتجهوا إلى كتابة خط النسخ والثلث فيما بعد ، وظهرت أيضاً أساليب كتابة محلية من بينها الخط البهاري **Bihar**الذي كان في الغالب يستعمل في كتابة المصاحف فيعدد من مناطق الهند [٦٣١].

---

(٦٢٨) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ،ص ٥٧.

(٦٢٩) تشيرالدراسات الحديثة الى ان منطقة البنجاب كانت مركزا مهما لصناعة الآجر وخاصةَ الملون المستخدم في الزخرفة . ينظر :أبن بطوطة: المصدر السابق ، ج٣،ص ١٥٠؛ برانتياس: المرجع السابق ، ص ٣٧٧.

(٦٣٠) عادل محي الدين الالوسي : العروبة والاسلام في جنوب شرق اسيا ، هيئة كتابة التاريخ (بغداد –١٩٨٨) ، ص ٣٠.

(٦٣١) محمد يوسف صديق: النقوش الكتابية العربية على العمائر في المشرق العربي وأثرها في المحافظة على المعلومات التراثية العربية مقال منشورعلى شبكة المعلومات الدولية ، الانترنيت /موقع http://www.arabcin.net/arabic/5nadweh/pivot_6/arabic_inscription.htm.

وعرف بعض سلاطين الهند بعنايتهم البالغة بجودة الخط وزخرفته منذ بداية الأمر واشتهر بعضهم في فن الخطاطة ، فالسلطان ناصر الدين كان خطاطاً ماهراً ويقال أنه كان يبيع نسخ القرآن التي كان يكتبها بنفسه ليرتزق منها هو وأهله ويذكر لنا ابن بطوطة أنه شاهد نسخة من القرآن الكريم نسخها السلطان ناصر الدين محمود شاه عند القاضي كمال الدين وذلك أثناء زيارة ابن بطوطة لمدينة دلهي (٦٣٢) كما ان هذا الترابط بين الفن المعماري الهندي والاسلامي تاثّرت به ايضا المناطق المجاوره للهند كسيلان وجاوة وسومطره حيث اشتهرت اثارها الرائعة في فن النحت والعمارة انها من نتاج المذهب الهندوسي (٦٣٣) ثم جاء الاسلام وحول بعض تلك المعابد الى مساجد واضاف لها نكهة معمارية اسلامية جديدة بازالة التماثيل والاصنام وكتابة الايات القرانية بدلها .

ولم يفت أبن بطوطة وصف بعض الاثار القديمة التي خلّدت العمارة البوذية في الهند إذ شاهد أثاراً لسور ، وجدرانا لعدة بيوت ، وشاهد " **ما لايحصره العدّ من الحجارة مثل صور الادميين والبهائم وقد تغيير كثير منها ..**" وكان ذلك في مدينة تارنا **Tarna** القريبة من مدينتي لاهري وبكار (٦٣٤).

وعلى الرغم من أن المعلومات المذكوره عن الحياة الاجتماعية قد ذكرت في اثناء الرحلة من دون تركيز ووردت بشكل عرضي ولكنها عندما تجمع وتصنّف وتوضّح تظهر اهميتها ولاسيما تلك المعلومات التي وردت لاول مرة على عكس ما ذكره احد المؤرخين في القول بان الرحلة لم تضف شيئا جديدا الى معلومات الجغرافيين والرحالة السابقين الذين زاروا المنطقة(٦٣٥) ، كما نجد مدى التنوّع والاختلاف في العادات والتقاليد المحلية حتى فيما بين المدن المتقاربة على الرغم من انتمائها للأسلام (٦٣٦). ويظهر من كل ما سبق فائدة الرحلة في توثيق معرفة ما لدى الشعوب من عادات وتقاليد وعمران كما لاحظنا (٦٣٧).

---

(٦٣٢) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣، ص ١٢٤.

(٦٣٣) ك. كوك :" تاثير الفن الهندي في اسيا"، مجلة ثقافة الهند ، مج ١٦،ع ٤،عام ١٩٦٥،ص ٥٥.

(٦٣٤) أبن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣،ص٨٥.

(٦٣٥) خصباك ،المرجع السابق ،ص ٢٢٨.

(٦) فهيم : المرجع السابق ،ص ١٢٥.

(٧) فهيم :المرجع نفسه ، ص ٢٢.

الخلاصة

تبين من موضوع " الهند من خلال رحلة أبن بطوطة " ما ياتي :

١) كـان مـن بـين المظـاهر الاساسـية لعصـر أبـن بطوطـة المتعلقـة بالبلـدان الاسـلامية ، التجزئـة السياسية وتعدد مراكز القوى وفقدان الزعامة الروحية وغيرها ، ومن ثم فهذا العصر أمتداد لظواهر ما سبقة . إلا أن تواصل الروابط بين الشعوب الاسلامية وحرية التنقل والسفر أسهم في أستمرار تقارب المسلمين .

أما بصدد سيرة ابن بطوطة ورحلاته فعلى الرغم من تعليمه واتجاهه الديني وقيامه بأهم واطول رحلة عربية أسلامية في عصره ، إلا ان بعض الجوانب من سيرة حياته ودوافع رحلاته لاتزال يكتنفها الغموض .

٢) لم تخل الاوضاع السياسية في السلطنة الاسلامية في الهند من عدد من حالات التمرد والثورات الداخلية في بعض الاقاليم إلا أن ذلك لم يمنع السلطنة من القيام ببعض الاعمال الداخلية والخارجية ، الادارية منها والسياسية ،كتطوير الجيش وبناء بعض المدن والعناية بالدواوين وغيرها . فضلا عن العمل على أقامة العلاقات السياسية الخارجية مع بعض الدول المجاورة .

٣) تبين من خلال التعرف على الامكانيات الاقتصادية الكبيرة لبلاد الهند وجود نوع من الاكتفاء الذاتي المتعلق بالزراعة والصناعة و بعض الثروات ، فضلا عن الامكانيات الاقتصادية الاخرى (رواتب ، منح ، هدايا) لبعض طبقات المجتمع من الموظفين ورخص الاسعار ، الامر الذي أدى الى نشاط التجارة الخارجية وتصدير الكثير من المواد التي كانت مطلوبة خارج الهند . كذلك كان للضرائب المفروضة على التجارة اثر إيجابي على خزينة السلطنة مما ادى الى قلة وارداتها.

٤) أوضحت الرحلة مختلف الطوائف الاجتماعية في الهند وأديانها كما تطرقت الى مختلف العادات والتقاليد الرسمية والعامة التي كانت سائدة في عصر السلطنة بين المسلمين وغيرهم ومن بين ذلك : تعزيز مكانة المرأة والعناية بالاعياد الدينية وملابس الناس وأطعمتهم وتقاليدهم وغيرها .

٤) أُشير في الرحلة الى عناية السلطنة بالجانب الثقافي لصلة ذلك بالشريعة الاسلامية كعلوم القرآن الكريم وعلم الحديث والتصوف الاسلامي وغيرها ، وقد كانت تلك العلوم تلقى الدعم والرعاية من قبل السلطنة الاسلامية سواء للعلماء القادمين من خارج الهند أم الذين برزوا فيها من الداخل . فضلا عن العناية برعاية الاماكن الاسلامية المقدسة والمساجد والزوايا وغيرها أن ما حصل من تطور ثقافي كان نتيجة لجهود مشتركة من مسلمي الهند ومن العرب وغيرهم من خارج الهند .

٥) توصّل الباحث من خلال نصوص الرحلة الى أن أبن بطوطة وعلى الرغم من كونه فقيها دينيا ورحالة مجرد فقد كانت رحلته شاملة أثرت التراث العربي الاسلامي بمعلوماتها التاريخية عن الهند ومن ثم فقد حققت الرحلة أهداف صاحبها في الوصول الى الهند لكن رواياتها أيضاَ أثبتت أهميتها فـي مختلـف المجـالات إذ أنهـا اتـت بمعلومـات جديـدة تضـافرت بعض المصـادر اللاحقـة علـى

تاكيدها ، فضلا عن إدامتها للصلات القديمة مع بلاد الهند والتي ندر وجود مثل تلك الرحلة منذ القرن ٤- ٨هـ/ ١٠-١٤م بحيث أغنت التراث وأصبحت مصدراً للمؤرخين العرب والمسلمين عن بلاد الهند بعد أنقطاع .

٦) ظهر واضحاً اغفال ابن بطوطة لبعض الجوانب وعدم ذكره لها بتركيز ادق ومنها على سبيل المثال الاقتضاب بذكر الصناعات في الهند ، وعد التوسع بذكر علوم الطبقات الاخرى .

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أ- المصادر

الادريسي : ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن ادريس (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)

١- نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،مكتبة الثقافة ،(القاهرة - ١٩٩٤) .

الاصطخري : أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤١هـ/٩٥٢م)

٢- المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العالي ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، دار القلم ، (القاهرة - ١٩٦١).

ابن أيبك : أبو بكر عبد الله الدوادار (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٦م)

٣- كنز الدّرر وجامع الغرر، (الدّر المطلوب في مناقب بني أيوب)، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور، دار إحياء الكتب ، (القاهرة - ١٩٧٢).

ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطنجي اللواتي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

٤ - رحلة ابن بطوطة ، تحقيق : د. عبد الهادي التازي ، مطبعة المعارف ، (الرباط - ١٩٩٧) .

البغدادي : عبد اللطيف (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)

٥- الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر ، تحقيق :على محسن مال الله ، دار الحكمة (بغداد-١٩٨٧) .

البلاذري : احمد بن جابر بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

٦- فتوح البلدان ، دار الكتب ، (القاهرة - ١٩٦٤).

بولو : ماركو (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)

٧-ماركو بولو رحلاته واستكشافاته ، نشر: ريتشارد ولش ، ترجمة حسن حسين الياس ، منشورات دار البصري ، (بغداد - ١٩٧٩) .

البيروني : أبو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)

٨- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، دار المطبعة العثمانية ، (حيدر آباد الدكن – ١٩٥٨).

التجيبي : القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)

٩-مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق : عبد الحفيظ منصور ، الدار العربيه للكتاب (تونس- ١٩٧٥) .

التونسي : محمد بيرم (ت ١٣١٧هـ/ ١٩٠١ م)

١٠ -صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ،دار الكتب (بيروت-١٩٩٧).

ابن جبير : أبو الحسن محمد بن احمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)

١١- رحلة ابن جبير ، دار الكاتب اللبناني ، دار الكاتب المصري ، (بيروت – لات).

ابن حجر : شهاب الدين بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)

١٢- الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مطبعة المعارف العثمانية، (حيدر آباد – ١٩٧٢).

١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ،مكتبة الثقافة (القاهرة –٢٠٠٣) .

الحموي : شهاب الدين عبدالله بن ياقوت (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٧م)

١٤- معجم البلدان ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت – ١٩٦٥).

الحنبلي : ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدس، (القاهرة – ١٩٤٧).

الحنبلي : ابو اليمن مجير الدين (ت ٨٤٧هـ/ ١٤٤٨م)

١٦- الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ،المطبعة الحيدرية (النجف –١٩٦٨) .

ابن خرداذبة : ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)

١٧ – المسالك والممالك ، مطبعة بريل، (ليدن – ١٨٨٩).

ابن الخطيب : ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

١٨- الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : يوسف الطويل ، دار الكتب (بيروت - ٢٠٠٣) .

١٩- كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق : محمد شبانه ، دار الكاتب (القاهرة - لات) .

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

٢٠ -المقدمة ، دار القلم ، (بيروت -١٩٨٤) .

٢١-العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،دار الكتب العلمية ،(بيروت - ١٩٩٢) .

٢٢ -التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ،دار الكاتب (بيروت-١٩٧٩) .

الدمشقي : ابو الفضل جعفر بن علي (ت منتصف القرن ٥هـ/١٢م)

٢٣- الإشارة إلى محاسن التجارة ، تحقيق البشري الشوربجي ، ط١، مطبعة الغد، (القاهرة - ١٩٧٧).

الرامهرمزي : بزرك بن شهريار (عاش في القرن ٤هـ/ ١٠م)

٢٤- عجائب الهند ، بره وبحره وجزايره ، مطبعة بريل (ليدن -١٨٨٦) .

الزياني : ابو القاسم محمد (ت ١٢٤٧هـ/ ١٨٤٧م)

٢٥-الترجمانه الكبرى في اخبار المعمور ارضا وبحرا ، تحقيق:عبد الكريم الفيلالي ، نشر وزارة الانباء ، (الرباط -١٩٦٧).

الشهرستاني : ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)

٢٦- الملل والنِحل ، دار المعرفة ، (بيروت - ١٩٧٥).

الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

٢٧- البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، (بيروت – لات).

شيخ الربوة : ابو الفضل محمد بن ابي طالب الدمشقي (ت٧٢٧هـ /١٣٢٧م)

٢٨- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة بريل (ليدن – ١٩٢٧) .

طافور : بيرو (عاش في القرن ٩هـ/١٥م)

٢٩-رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، تحقيق : د. حسن حبشي ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٨) .

الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)

٣٠-تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف (القاهرة- ١٩٧٩).

ابن عربشاه : شهاب الدين احمد بن محمد (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)

٣١- عجائب المقدور في أخبار تيمور، المطبعة العثمانية ، (القاهرة – ١٨٨٧).

العمري : ابن فضل الله احمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

٣٢- التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، (القاهرة – ١٣١٢هـ).

٣٣-مسالك الابصار في ممالك الامصار ،دار الثقافة ، (دبي –٢٠٠٠).

الغرناطي: عبد الرحيم بن سليمان ابي حامد (ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م)

٣٤-تحفة الالباب ونخبة الاحباب ، تحقيق : اسماعيل العربي ، دار الافاق ، (المغرب – ١٩٩٣)

أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

٣٥- تقويم البلدان، تصحيح : دي سلان، دار المطبعة السلطانية، (باريس – ١٨٤٠).

٣٦- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، (القاهرة – لات).

ابن أبي الفضائل : المفضل (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)

٣٧- النهج السديد والدّر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، (باريس – ١٩٢٨).

ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد (ت ٣٦٠هـ/٩٧٨م)
٣٨- مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن – ١٨٨٤).

الفيروزابادي : محي الدين محمد بن يعقوب (ت٨٢٣هـ/١٤١٥م)
٣٩-القاموس المحيط ، (بيروت-لات) .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
٤٠- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، (بيروت – ١٩٦٠).

القلقشندي : احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
٤١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب، (بيروت – ١٩٨٧).
٤٢- ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، تحقيق راينهارت دوزي، (القاهرة – ١٩٥٣).

ابن كثير : اسماعيل بن عمر أبو الفدا الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
٤٣- البداية والنهاية في التاريخ، ط١، دار ابن كثير، (بيروت – ١٩٦٦).

ابو مخرمة : ابو عبد الله الطيب (عاش في القرن ٧هـ/١٣م)
٤٤- تاريخ ثغر عدن ، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والاهدل ، مطبعة ليدن ، (بريل -١٩٣٦) .

المروزي : شرف الزمان بن طاهر (عاش في القرن ٣هـ/ ٩م)
٤٥- أبواب في الصين والهند والترك ، منتخبة من كتاب طبائع الحيوان، (لندن – ١٩٤٢).

المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
٤٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس ، (بيروت – ١٩٨١).

المعبري : الشيخ زين الدين احمد (ت ٩٩١هـ/١٥٨٣م)

٤٧- تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين ، (لشبونا – ١٨٨٩).

المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

٤٨- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق : د. غازي طليمات ، نشر وزارة الثقافة ، (دمشق –١٩٨٠) .

المقري : ابو البركات احمد بن الحاج محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٤٢م)

٤٩-نفح الطيب في ذكر الاندلس الرطيب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي (بيروت –لات) .

المقريزي : تقي الدين أبي العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٥٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، (بيروت – لات).

٥١- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح محمد مصطفى زيادة ، ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة – ١٩٥٨).

٥٢- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيّال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة – ١٩٤٠).

المكناسي : محمد بن عثمان ( )

٥٣- الاكسير في فكاك الاسير ، تحقيق:محمد الفاسي،جامعة محمد الخامس (المغرب–لات).

الناصري السلاوي : ابو العباس أحمد بن خالد (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)

٥٤- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، دار الكتاب (الدار البيضاء –١٩٥٦) .

النصيبي : ابو القاسم محمد بن علي الموصلي ابن حوقل (٣٨٤هـ/ ٩٩٣م)

٥٥- صورة الارض ، دار الحياة ، (بيروت –١٩٧٩) .

النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م)

٥٦- نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطبعة أنستاس الكرملي ، (القاهرة – لات).

اليعقوبي : احمد بن يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧ م)
٥٧- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ،دار بيروت (بيروت -١٩٦٠) .

ب- المراجع العربية والمترجمة :

ابراهيم : عبد الله
٥٨- عالم القرون الوسطى في اعين المسلمين، ط١، دار الثقافة، (دبي -٢٠٠٠) .

احمد : زبيد
٥٩- الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ترجمة عبدالمقصود محمد شلقامي ، دار الحرية ، (بغداد - ١٩٧٨).

الالوسي : عادل محي الدين
٦٠-العروبة والاسلام في جنوب شرق اسيا ، هيئة كتابة التاريخ (بغداد -١٩٨٨) .

الاندونيسي: قهر الدين يونس
٦١-هذه هي اندونيسيا ، مطبعة الشبكشي ، (القاهرة -١٩٤٧) .

بحر العلوم : عز الدين
٦٢- الزواج في القرآن والسنّة ،دار الزهراء (بيروت -١٩٧٨) .

التازي :عبد الهادي
٦٣- ايران بين الامس واليوم ، قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطة ، نشر المعهد الجامعي ، (المغرب- ١٩٨٤) .

جواتين : شلمون دوف
٦٤- دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصي ، (الكويت - ١٩٨٠).

الجنابي : هاشم خضير

٦٥-جغرافية أوراسيا ،مطبعة جامعة الموصل ،(الموصل -لات) .

حسن : محمد زكي

٦٦- الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ، دار الرائد ، (بيروت- ١٩٨١) .

الحسني : فخر الدين عبدالحي

٦٧- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، حيدر آباد الدكن ، (الهند - ١٩٩٧).

٦٨- الثقافة الاسلامية في الهند، ط٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (نيودلهي - ١٩٧٢).

حقي : إحسان

٦٩- تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٩٧٨).

حمدي: عبد الرحمن

٧٠-الهند ، عقائدها وأساطيرها ، دار المعارف ، (القاهرة-١٩٧٨) .

الحنفي : جلال الدين

٧١- قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ،دار الحرية (بغداد-١٩٨٧) .

خصباك : شاكر

٧٢-رحلة مع ابن بطوطة ، مطبعة النجف ، (النجف -١٩٧٩) .

خليل : عماد الدين

٧٣ - عماد الدين زنكي ، مطبعة الزهراء ، (الموصل - ١٩٨٥) .

الدجيلي: خوله شاكر

٧٤- بيت المال ،نشأته وتطوره من القرن ١-٤هـ ، مطبعة وزارة الأوقاف ، (بغداد- ١٩٧٦) .

زامباور : فون ادوارد

٧٥-معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة : سيدة أسماعيل كاشف واخرون ، (بيروت -١٩٨٠) .

الزركلي : خير الدين
٧٦- الاعلام ، دار العلم للملايين ، (بيروت-١٩٧٩) .

زيادة : محمد مصطفى
٧٧- الجغرافيا والرحلات عند العرب ، (بيروت-١٩٦٠) .

الساداتي : احمد محمود
٧٨- تاريخ المسلمين وحضارتهم في شبه القارة الهندية ، دار الثقافة ، (القاهرة - ١٩٧٢).

السامر : فيصل
٧٩- الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى ، دار الشؤون الثقافية ، ط١، (بغداد - ١٩٨٦).

السامرائي: خليل ابراهيم
٨٠- الاوضاع السياسية للعالم الاسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة ، دار الشؤون الثقافيه ، (بغداد-١٩٨٦)

السامرائي : الشيخ يونس
٨١- العلماء العرب في شبه القارة الهندية، مطبعة الخلود، (بغداد - ١٩٨٦).

سرور : محمد جمال الدين
٨٢- دولة بني قلاوون في مصر ،دار الفكر ،(القاهرة - ١٩٤٧) .

سليمان : احمد السعيد
٨٣- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ط٣، دار المعارف، (القاهرة - ١٩٦٩).

أبن سوده : عبد السلام بن عبد القادر
٨٤- دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، دار الكتاب ، (الدارالبيضاء-١٩٦٠) .

الشرقاوي : محمود
٨٥- رحلة ابن طوطة من طنجة الى الصين ، مطبعة النجف (النجف-١٩٧٤).

أبن شقرون : محمد بن احمد
٨٦- مظاهر الثقافة المغربيه من ق١٣-١٥م ، مطبعة الرسالة (الرباط-١٩٨٢) .

شلبي : احمد
٨٧- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة ،(القاهرة -١٩٨٠) .

الصيني : بدر الدين حي
٨٨-العلاقات بين العرب والصين ، (القاهرة -١٩٥٠) .

العربي : اسماعيل
٨٩- الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، الدار العربية للكتاب، (الجزائر ١٩٨٥) .

عثمان : شوقي عبد القوي
٩٠- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت - ١٩٨٠).

فوزي : حسين
٩١- حديث السندباد البحري ، (القاهرة-١٩٤٣) .

فهمي : نعيم زكي

٩٢- طرق التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة – ١٩٧٠).

فهيم : حسين محمد
٩٣- ادب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت –١٩٨٩) .

كراتشوفسكي : اغناطيوس
٩٤-تاريخ الادب الجغرافي العربي ،ترجمة صلاح عثمان ، (القاهرة –١٩٦٣) .

كنون : عبد الله
٩٥-ذكريات مشاهير رجال المغرب –ابن بطوطة ، منشورات الايسسكو (الرباط –١٩٩٦)

الماحي : على حامد
٩٦- المغرب في عصر ابي عنان المريني، دار النشر المغربية (المغرب – ١٩٨٦).

مال الله : علي محسن
٩٧- أدب الرحلات في المشرق ، نشاته وتطوره حتى القرن الثامن الهجري ، دار الشوؤن الثقافية ، (بغداد –١٩٧٨) .

المباركبوري: ابو اطهر
٩٨-الفتوحات الاسلامية في الهند ، المطبعةالحميدية ، (اعظم كره–١٩٦٨) .

مجموعة مؤلفين :
٩٩ –موسوعة الاديان ، مطبعة ناشونال ، (باريس –٢٠٠٠) .

المصري : جميل عبد الله
١٠٠–حاضر العالم الاسلامي ،ط١، مكتبة العبيكان ، (الرياض -٢٠٠٠) .

مؤنس : حسين
١٠١- ابن بطوطة ورحلاته ،دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٨٠) .

النبهاني: يوسف بن اسماعيل
١٠٢–جامع كرامات الاولياء ،تحقيق: ابراهيم عطوة ، دار المعرفة (بيروت –٢٠٠٣) .

الندوي : محمد إسماعيل
١٠٣- الهند القديمة ، دار الشعب ، (بغداد – ١٩٧٠) .

النمر : عبدالمنعم

١٠٤- تاريخ الاسلام في الهند ، المؤسسه الجامعيه ، (القاهر ة -١٩٨١) .

هاو : سونيا بن

١٠٥- في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، مكتبة النهضة ، (القاهرة - ١٩٥٧).

ج - الاطاريح والرسائل الجامعية

بسرور : رشيدة

١٠٦- الأسكندرية في العهد المملوكي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (تونس - ١٩٨٦).

الطحطوح : حسين علي

١٠٧- مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في الهند ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل (الموصل - ١٩٧٩).

محمد : مزاحم علاوي

١٠٨- الدولة المرينية على عصر السلطان ابي الحسن عثمان بن علي ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة الموصل (الموصل -١٩٨٥) .

المشهداني : ياسر عبد الجواد

١٠٩- العلاقات المصرية الهندية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) رسالة ماجستير غير منشوره ،كلية التربية ، جامعة الموصل (الموصل -٢٠٠٠) .

الملا جاسم : ناصر عبد الرزاق

١١٠-ألمستشرق هاملتون كيب ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، (الموصل-٢٠٠٠) .

د- البحوث والدوريات العربية

ارنولد : توماس

١١١-مادة " سيلان " ، دائرة المعارف الاسلامية ،جمعها : محمد الشنتناوي واخرون ، (القاهرة – ١٩٢٧).

بشيشو : محمد علي

١١٢-" اسطورة وحيد القرن في الشرق والغرب " مجلة فكر وفن ، ع ٥ (برلين – ١٩٦٥) .

التازي : عبد الهادي

١١٣- " الرحلة كمصدر للعلاقات الدولية "،مجلة المناهل، ع٦٠ ،(الرباط –٢٠٠٠) .

١١٤- " اقدم نقش عربي في مالديف يتحدث عن المغرب ، مجلة البحث العلمي ، ع ٤٠، (المغرب – ١٩٩٠) .

١١٥- " بين المخطوط والمطبوع من رحلة ابن بطوطة ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ٧ (دمشق –١٩٩٥) .

١١٦- "ابن بطوطة في الدراسات الاستشراقية" ، مجلة البحث العلمي ،(المغرب –لات).

تقوى : سخي حسن

١١٧- "الافراح في الهند القديمة "،ثقافة الهند ، ع ٣ ، (دلهي - ١٩٦٥) .

توفيق : احمد

١١٨- "ابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة " ،مجلة المناهل ،ع٦٠،(المغرب –٢٠٠٠) .

الجومرد : جزيل

١١٩- "رحلة ابن بطوطة بين الحقيقة والتأليف"، مجلة الاكاديمية،ع١٨ ، (الرباط –٢٠٠١) .

خان : يوسف حسين

١٢٠- " نظام التعليم في الهند في القرون الوسطى " ، مجلة ثقافة الهند ، ع ٢ ، (دلهي - ١٩٦١).

خليل : فاطمة المسدالي

١٢١- "ابن بطوطة وادب الرحلة " ، مجلة المناهل،ع٦٠ ، (الرباط –٢٠٠٠) .

الزيادي: احمد

١٢٢-" مصطلحات المحلية المغربية ومظاهرها في رحلة ابن بطوطة " ، مجلة المناهل ع٦٠،(الرباط -٢٠٠٠) .

الساوري : عبد العزيز

١٢٣- " ابن بطوطة لواتي ام جراوي "، مجلة المناهل،ع٦٠،(الرباط -٢٠٠٠) .

سيناصر : محمد علال

١٢٤- "ظاهرة ابن بطوطة " ، مجلة المناهل،ع٦٠، (الرباط -٢٠٠٠) .

شحاذة: سليم افندي

١٢٥- "ابن بطوطة ،مجلة المقتطف ،مطبعة المقتطف،ع ٢٧، (القاهره -١٩٢٧) .

شيمل : انا ماري

١٢٦- مناهج التعليم في الهند ،مجلة فكر وفن ،ع ١٩ ، (برلين -١٩٧٦) .

الطحطوح : حسين على

١٢٧- " جزيرة سرنديب وبلاد العرب في القرون الوسطى" دراسة سياسيه وحضاريه ، مجلة التربيه والعلم ،كلية التربية ، جامعة الموصل ، ع ١١ ، سنة ٢٠٠٤.

١٢٨-امارة كجرات الاسلامية في الهند ،دراسة سياسية حضارية ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ع ١، سنة ٢٠٠٤م .

١٢٩-الزط في ظل الدولة العربية الاسلامية ،مجلة جامعة تكريت، مجلد ١٢ ، ع٥ ، ٢٠٠٥ م.

عبد الخالق: غسان اسماعيل

١٣٠- "من مكونات العلاقات العربية الآسيوية " ،ملاحظات ابن بطوطة حول الصين" ، مجلة أوراق ،(عمان -لات) .

عبد الفتاح : فتحي

١٣١- "رحلة ابن بطوطة وتكامل الحضارات "،مجلة المناهل،ع٦٠،((الرباط -٢٠٠٠) .

كوك : ك.

١٣٢-تاثير الفن الهندي في اسيا، مجلة ثقافة الهند ، مج ١٦،ع ٤، (دلهي - ١٩٦٥) .

لبيب : صبحي

١٣٣- "التجارة الكارمية وتجارة مصر الخارجية "، المجلة التاريخية المصرية، ع٢، (القاهرة – ١٩٥٧).

المباركبوري : ابو اطهر

١٣٤- "من النارجيل الى النخيل " ، مجلة ثقافة الهند ،مج ١٦ ، ع٣،(دلهي – ١٩٦٥) .

١٣٥- "العلاقات الطبية بين العرب والهند " ، مجلة ثقافة الهند ، ع٢ ، (دلهي – ٢٠٠٢).

مؤنس : حسين

١٣٦- "رحالة الاسلام ابن بطوطة" ، مجلة العربي ،ع ٢١٥ ، (الكويت-١٩٧٦) .

الندوي : ابو ظفر

١٣٧- " أسطول كجرات " مجلة ثقافة الهند ، ع ٤ ،(دلهي -١٩٦٥).

النعيمي: سليم

١٣٨- "الفاظ من رحلة ابن بطوطة" مجلة المجمع العلمي العراقي،ع ٢٦، (بغداد- ١٩٧٥)

هـ - المراجع الأجنبية

Ahmed : A.

139- Studies in Islamic Culture in Indian Environment, (Oxford – 1964).

Ahmad : M.

140- India&The Neighbouring Territories Brill ,(Leiden -1960).

ALI : M.

141- A History of Muslims in Bengal , (Arriyadh- 1986) .

Basham : A . L.

142- The Wonder that was India, (London – 1962).

Beckingham : C.

143- In search of Ibn Battuta ,J. of Assian Affiars. Vol.8 , 1977.

Fischel : W.G.

144- The Spice Trade In Mamluk Egypt, J.E.S.H.O., Vol., I, 1960.

Frykenberg : R.E .

145-Delhi Through The Ages , Oxford university Press,(London-1986) .

Gibb: H. A . R

146-The Travels Of Ibn Battuta ,Hakluyt Socity (Cambridge1-1958) 2 vol .

147 – "Review of Mahdi Husain's Rise &Fall Mohammed Tughlugh " , J.R.C.A.S., vol .26, (London – 1939).

Ikram : S.M.

148- Muslim Civilization in India, Columbia Press, (U.S.A. – 1964).

Hendon : R.

149-"Review of Hall's History of South East Asia ", J,M.W., vol. 47,(London -1957) .

Herbek : Ivan

150- Art." Ibn Battuta",Ency of Britannica, Vol.9 , (London- 1966).

151- Review of Gibb's" the Travels of Ibn Battuta", B.S.O.A.S 1973.

HOLT : P.M , & Others

152-Cambridge History of India ، (London-1960) ,2 Vol .

Husain: A.M.

153 -Le Gouvernement Du Sultanat De Delhi (Paris-1936).

Levi: S .

154- Hindus Beyond The Hindu Kush , Indians in the Central Asian Slave Trade , J.R.A.S.Vol. 12, (2002).

Mahmud : S.F.

155- The Story of Islam, (London – 1965).

Moreland : W.H.

156- A Short History of India, (London – 1968).

Mujeeb : M.

157- The Indian Muslims, (London–1967) .

Nehru : J.L.

158- Discovery of India , meridian book, (London – 1951).

Sastri : K.A. N.

159- Sources Of Indian History (London-1964) .

Sarjeant : R .

160- Review of Gibb's "the Travels of Ibn Battuta " , B.S.O.A.S , Vol. 53 , 1972 .

Thapar : R.

161- History of India , (Londo- 1966).

Yule: H.

162-Cathay and Way Thither ,Hakluyt Society(London-1915) .

Un Known :

163-Atlas Of Islam , (Netherland- 1960).

و- البحوث على شبكة المعلومات الدولية / الانترنيت .

التازي : عبد الهادي

١٦٤- سيرته ومذكراته ، موقع التازي .www.taziabdlhadi.com

زيدان : يوسف

١٦٥- الرحلة السفارية ، ابن بطوطة وخير الدين التونسي نموذجا ، بحث منشور على شبكة الانترنيت ، موقع يوسف زيدان للتراث -٢٠٠١ .http://www.ziedan.com/research/18.asp.

صديق: محمد يوسف

١٦٦- النقوش الكتابية العربية على العمائر في المشرق العربي وأثرها في المحافظة على المعلومات التراثية العربية مقال منشورعلى الانترنيت /موقع

http://www.arabcin.net/arabic/5nadweh/pivot_6/arabic_inscription.htm.

ظل الرحمن : سيد

١٦٧- وصول الطب اليوناني الى الهند ،(ايران —٢٠٠٠) موقع :

WWW.noormicrofilmindia/zillur11.htm

مجهول:

١٦٨- جزر المالديف : موقع . www.elsonna.com / subindex

مجهول :

١٦٩-نص مقتطف من تاريخ فرشته من شبكة الانترنيت موقع

WWW .Columbia Encyclopedia .Com

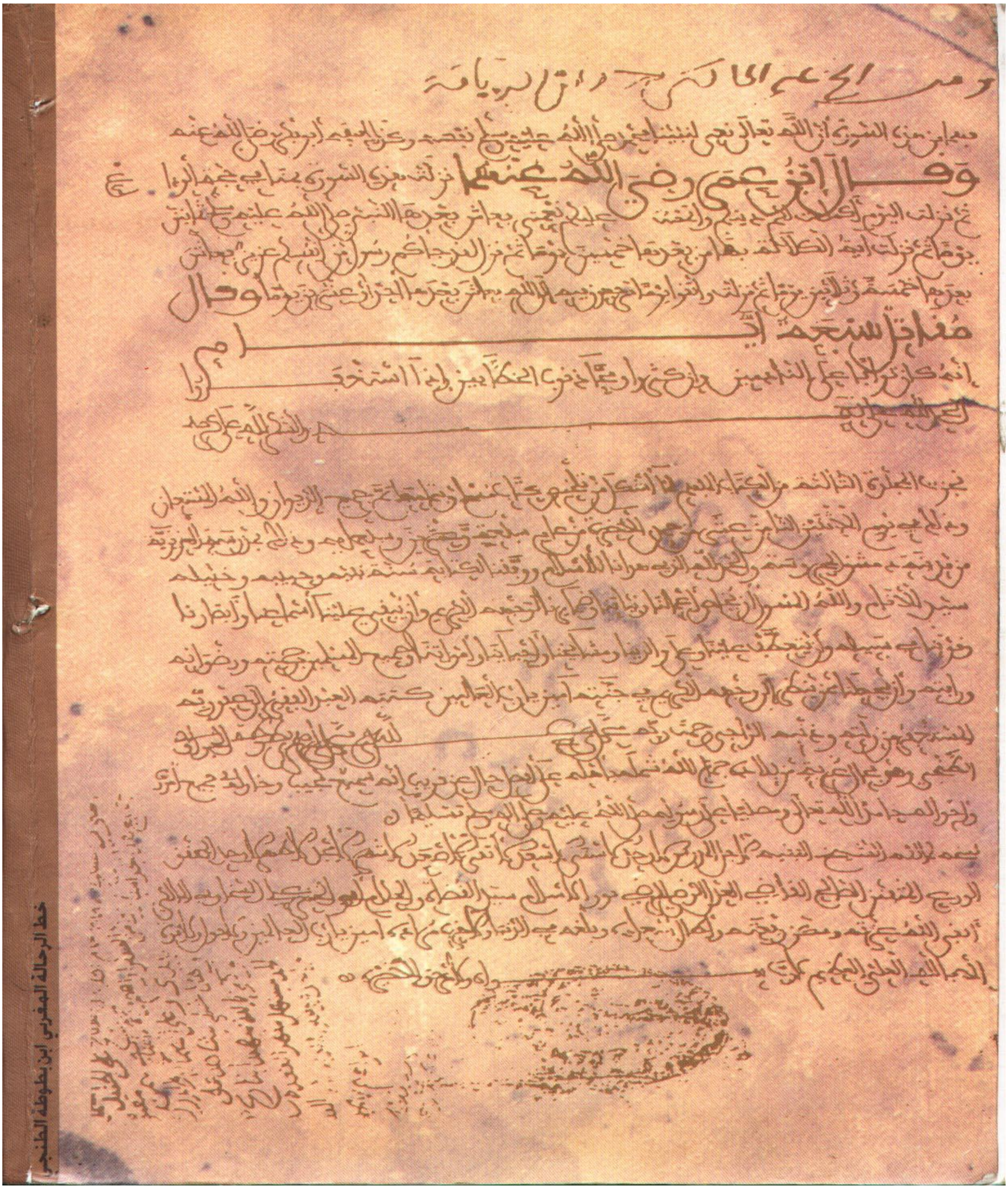
عروض الكتب من موقع مكتبة الامازون الاميركية :

170 - Revew Book : Ross, E. Dunn :The Adventures of Ibn Battuta: A Muslim Traveler of the 14th Century, Berkeley: University of California Press, (London- 1986) , P., 154, Internet On WWW.AMAZON.COM

الملاحق و الخرائط

ملحق رقم (١)

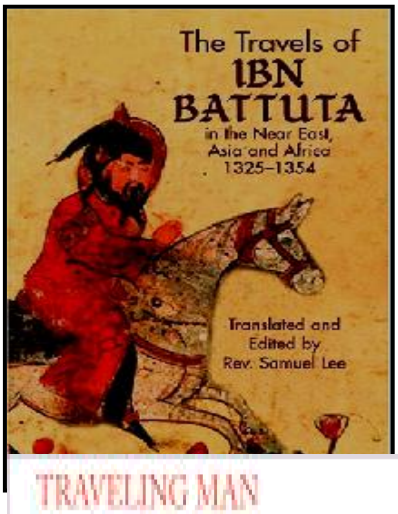
خط أبن بطوطة ونسبه •

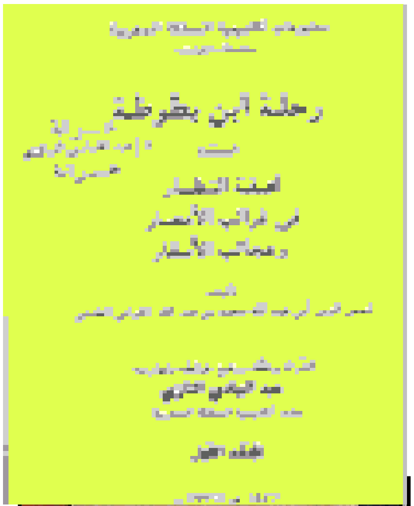


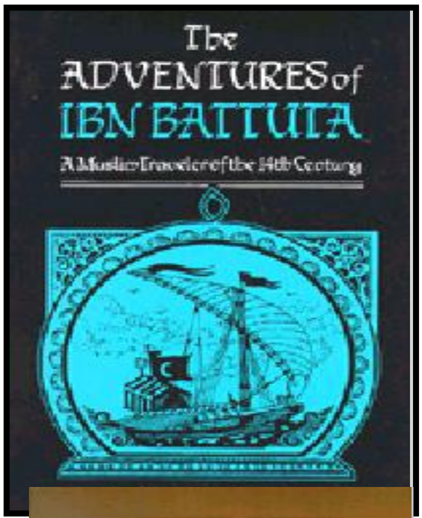
ملحق رقم (٢)

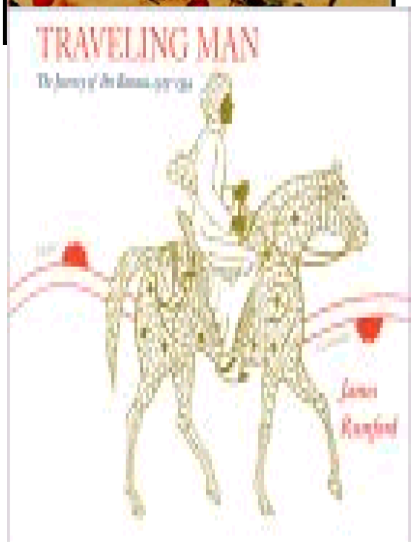
• نقلا عن مجلة المناهل ،عدد خاص عن أبن بطوطة ، (الرباط –٢٠٠٠).

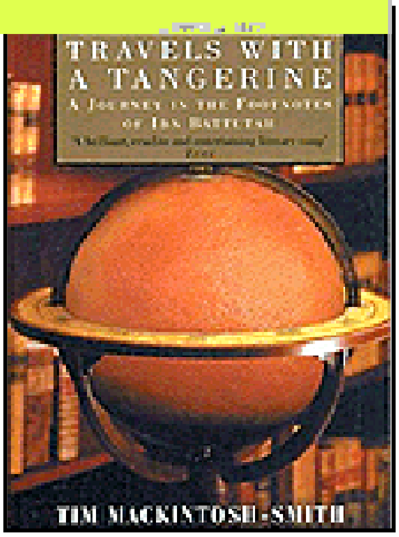
نماذج من الطبعات التجارية للرحلة(•)*

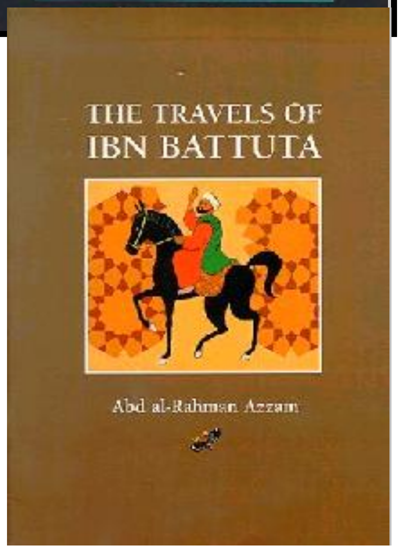


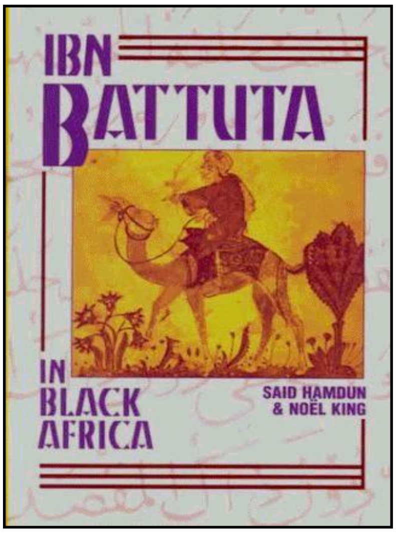


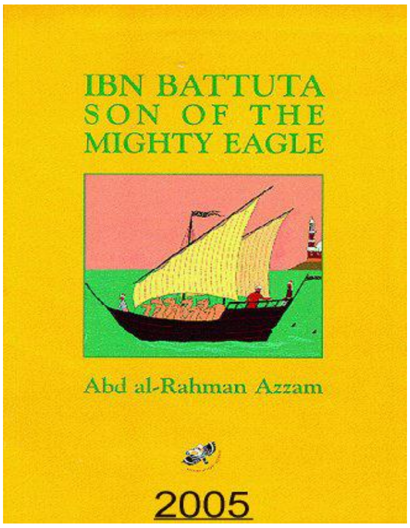


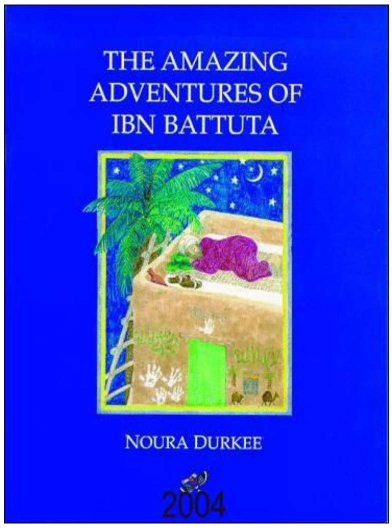












(•) الانترنيت موقع مكتبة الامازون الامريكية : www.Amazo.,com

ملحق رقم (٣)

الترتيب الزمني لرحلة ابن بطوطة في الهند

ت	أسم المدينة	تاريخ الوصول اليها	الجزء والصفحة
١	مدينة غزنة	حوالي شوال ٧٣٣هـ/ ايار ١٣٣٣م	٣/٦١
٢	قندهار و كابل	ذي القعدة ٧٣٣هـ/ اب١٣٣٣م	٣/٦٣
٣	البنجاب	١محرم ٧٣٤هـ/١٢ ايلول ١٣٣٣م	٣/٧١
٤	جناني	٣ محرم٧٣٤هـ / ١٥ ايلول ١٣٣٣م	٣/٧٧
٥	سيوستان ولاهري وتارنا وبكار وأوجّة	تنقل بينها حوالي الشهر / من صفر ٧٣٤هـ/ تشرين الاول ١٣٣٣م	٣/٧٩
٦	الملتان	ربيع الاول ٧٣٤هـ/ تشرين الثاني ١٣٣٣م	٣/٨٨
٧	ابو هر	١٠ ربيع الثاني ٧٣٤هـ/ كانون الاول ١٣٣٣م	٣/٩٣
٨	اجودهن	١٢ ربيع الثاني ٧٣٤هـ/ كانون الاول ١٣٣٣م	٣/٩٩
٩	سرستي وحانسي	١٦ ربيع الثاني ٧٣٤هـ/ كانون الاول ١٣٣٣م	٣/١٠٣
١٠	مسعود اباد	١٨ ربيع الثاني ٧٣٤هـ/ اوائل عام ١٣٣٤ م	٣/١٠٣
١١	دلهي	٢٢ ربيع الثاني ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤ م	٣/١٠٤
١٢	قنوج	اوائل عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م	٣/٢٣٠
١٣	بهراييج و هزار أمروها	اواسط عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م	٣/٢٤٥
١٤	بدء السفر الى امبراطورية الصين	١٧ صفر ٧٤٢هـ/ ٢ اب ١٣٤١م	٤/٩
١٥	بيانة و كول	خلال ربيع الاول ٧٤٢هـ/ ايلول ١٣٤١م	٤/١٠

ت	أسم المدينة	تاريخ الوصول اليها	الجزء والصفحة
١٦	مرّة وعلابور وبرون ورابري وكاليور وجنديري	خلال الاشهر ربيع الثاني - رمضان ٧٤٢هـ/ تشرين الاول ١٣٤١- شباط ١٣٤٢م	١٧،١٨/٤
١٧	قاليقوط	بقى فيها ٣ أشهر من شهر جمادي الثاني - رمضان ٧٤٢هـ/ ١٥ تشرين الثاني ١٣٤١م -شباط ١٣٤٢م	٤٤/٤
١٨	كولم	شوال ٧٤٢هـ/ نيسان ١٣٤٢م	٣٢/٤
١٩	نذربار و دولة اباد	ذي القعدة - ذي الحجة ٧٤٢هـ/ ايار - حزيران ١٣٤٢م	٢٥/٤
٢٠	صاغر وكنباية	اوائل عام ٧٤٣هـ/ اواسط عام ١٣٤٢م	٣٤/٤
٢١	بلاد المليبار " منجرور وهيلي ودهفتن وجرفتن ومدينة فتن وفاكنور "	تنقل فيها حتى شهر جمادي الاولى ٧٤٣هـ/ كانون الثاني ١٣٤٣م	٣٩/٤
٢٢	سندابور وهنور	١٣ جمادي الاولى ٧٤٣هـ / ١٥ تشرين الاول ١٣٤٢م	٣١/٤
٢٣	ذيبة المهل	٨ شوال ٧٤٣هـ/ ٢٤ اب ١٣٤٣م وبقى فيها ١٨ شهراً	٥٣/٤
٢٤	سرنديب	ربيع الثاني ٧٤٥هـ/ ديسمبر ١٣٤٤م	٧٩/٤
٢٥	بلاد المعبر	الاشهر الاولى من عام٧٤٦هـ/١٣٤٥ م	٩٢/٤
٢٦	البنغال	قضى فيها أغلب أشهر عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م	١٠٣/٤
٢٧	جاوة	نهاية عام ٧٤٦ وبداية عام ٧٤٧هـ/ بداية عام ١٣٤٦م	١٠٨/٤
٢٨	الوصول الى الصين	الاشهر الثلاث الاولى من عام ٧٤٧هـ/اواسط عام ١٣٤٦م	١٢٦/٤
٢٩	الرجوع الى الجزيرة العربية	ذي الحجة ٧٤٧ هـ/ ابريل عام ١٣٤٧م	١٤٠/٤

الملحق رقم (٤)

مصادر روايات ألرحالة أبن بطوطة عن الهند

ت	موضوع الرواية	ألــنّص	ألمصدر أو الشاهد	الجزء والصفحة
١	*زيارة زاوية*	وهم يذكرون..	*مجهول*	٣ /٦٠
٢	زيارة شيخ	**وذكر لي** أنّ..	*ألشيخ أطا اولياء*	٣/٦٠
٣	زيارة قبر	**ثم سافرنا** الى مدينة غزنة ..	شهادته الشخصية	٣/٦١
٤	ديوان ألبريد	**والبريد** ببلاد الهند صنفان. .	شهادته الشخصية	٣/٧٢
٥	إكرام ألغرباء	ومن عادة ملك الهند اكرام الغرباء ..	شهادته الشخصية	٣/٧٥
٦	ذكر الكركدن	وقد **رأيت** الكركدن مرة ثانية	شهادته الشخصية	٣/٧٧
٧	فتح السند	و**أخبرني** أن جده الاعلى شهد فتح السند في العسكر الذي بعثه لذلك الحجاج	الشيخ شمس الدين بن بهاء الدين زكريا	٣/٧٧
٨	الاكلات الشعبية	و**رأيتهم** يحفرون الرمل ويستخرجونه منه ..	شهادته الشخصية	٣/٧٩
٩	الخطابة في جامع سيوستان	و**لقيت** خطيبها ..وأراني كتاب امير المؤمنين ..	لقائه مع الخطيب الشيباني	٣/٧٩
١٠	ألضرائب	**أخبرني** ..أن مجبا هذه المدينة ستون لكاَ في السنة	أمير لاهور علاء الملك الخرساني	٣/٨٥
١١	أثار تارنا	**فرأيت** هناك ما لايحصيه العد من الحجارة	شهادته الشخصية	٣/٨٥
١٢	زيارة شيخ	**وذكر لي** أن عمره يزيد علىمائة وعشرين سنة	الشيخ شمس الدين محمد الشيرازي	٣/٨٧
١٣	التقاليد في المآدب	ويقف الحاجب على السماط قبل الاكل	شهادته الشخصية	٣/٩١
١٤	الزراعة في الهند	**واهل الهند** يزرعون مرتين في السنة	شهادته الشخصية	٣/٩٥
١٥	ظاهرة الحرق	ولما **رأيت** ذلك كدت اسقط من فرسي	شهادته الشخصية	٣/١٠١
١٦	جامع دلهي	**ذكر لي** بعض حكمائهم ..	مجهولين	٣/١٠٩
١٧	منار قطب	**حدثني من اثق** به انه رأى الفيل حين بنيت يصعد	مجهول	٣/١٠٩
١٨	أرتفاع المنار	وصعدتها مرة **فرايت** معظم دورالمدينة	شهادته الشخصية	٣/١١٢

١٩	فتح دلهي	**حدثني** الفقيه الامام العلامة قاضي القضاة	كمال الدين الغزنوي	١١٩/٣
٢٠	حروب غياث الدين تغلق	**ورأيت** مكتوبا على مقصورة الجامع بملتان:اني قاتلت الترك. .	شهادته الشخصية	١٣٩/٣
٢١	مقتل غياث الدين تغلق	**وحدثني** .. انه كان يومئذ مع السلطان وكان معهما ولد السلطان	الشيخ ركن الدين	١٤٣/٣
٢٢	اخبار السلطان محمد تغلق	وأما اخبارهذا الملك فمعظمها مما شاهدته ايام **كوني** ببلاده	شهادته الشخصية	١٤٩/٣
٢٣	المجاعات	وحدثني ..انهم دخلوا بلدة ..	طلبة من خراسان ؟	٢٢٣/٣
٢٤	القضاءعلىالكوارث والمجاعات	**وكنت** اصنع في المواسم… ماية منّ من الدقيق ومثلها لحماً..	مشاركته في الحدث	٢٤٤/٣
٢٥	سفارةالى الصين	وعين السلطان للسفر معي ..	مشاركته في الحدث	٩/٤
٢٦	حديث عن امير	**وأخبرت** انه كان يشرب	مجهول	١٨/٤
٢٧	السباع في مدينة برون	**وأخبرني**..من اهلها انه دخل داره ليلا وافترس صبيا	جار له هو محمد التوفيري	١٩/٤
٢٨	السحرة الجوكية	**ورايت** بمدينة منجرور	شهادته الشخصية	٢٠/٤
٢٩	تحريم السرقة	**وأُخبرت** ان بعض الهنود مرّوا على الطريق	مجهول	٣٦/٤
٣٠	فتح سندابور	فلما تجهزت المراكب **ظهر لي** ان اتوجه فيها الى الجهاد	مشاركته في الحدث	٥٢/٤
٣١	وصف اهل ذيبة المهل	واهل هذه الجزر اهل صلاح وديانة وايمان	شهادته الشخصية	٥٧/٤
٣٢	سبب اسلام ذيبة المهل	**حدثني الثقات** من اهلها ..ان هذه الجزر كانوا كفاراً	الفقيهين علي وعيسى اليمني والقاضي عبد الله	٦٢/٤
٣٣	*ذكر القرود*	**وذكر لي** بعض الثقات انه اذا ظفر قرد من هذه القرود	ثقات مجهولين	٨٥/٤
٣٤	جبل سرنديب	ولما **صعدناه** كنا نرى السحاب اسفل منا	شهادته الشخصية	٨٦/٤

ملحق رقم (٥)

سير بعض علماء التصوف في الهند

١) الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي (ت٦٣٣/١٢٣٥م) وكان تلميذا لمعين الدين الجشتي وسمي بالكعكي لانه كان يعطي كل رجل فقير كعكة من الذهب والفضة وقال "**انه ظاهر البركة كثير التعظيم** " له مزار في دلهي [٦٣٨]

٢) الفقيه علاء الدين الكرماني (نسبة الى كرمان) وهو احد الفقهاء الذين ينتمون الى اسرة هندية عرفت بنسبها الشريف في دلهي [٦٣٩] تعود الى الشريف الحسين بن على (رض) جده كان ملازما للشيخ نظام الدين البذواني المار الذكر وغالبا ما كان السلطان محمد تغلق نفسه يقصد المزار للتبرك [٦٤٠] .

٣) الفقيه علاء الدين الملتاني المعروف بقنره (ت ٧٤٠هـ/١٣٤٠م) وهو احد العلماء المبرزين في مجال التصوف [٦٤١]

٤) الامام العالم عز الدين الزبيري الذي يعود نسبه الى عشيرة الزبير ابن العوام الناشئة في المدينة المنوره ، لقيه في مدينة بيانه .

٥) الشيخ الصالح العابد شمس الدين ابن تاج العارفين الكوئلي احد المنقطعين الى الزهد والعبادة وكان مكفوف البصر ومن المعمرين ومن المكرمين لدى السلطان ولكن في احدى المرات طلبه السلطان فلم يحضر فسجنه ومات بسجنه لقيه في مدينة كول [٦٤٢] .

٦) الشيخ الصالح المعمر حسين بن عمر العُريضي الغياثبوري احد مصادر معلوماته عن بعض اخبار المدينة الثقافية والدينية اذ ذكر له ان عمره تجاوز الثلاثين بعد المائه وهو من تلامذة نظام الدين البذواني انتقل من دلهي الى كجرات ومن ثم الى مدينة (فتن Futtan) وعُين شيخا للطريقة الجشتية فيها [٦٤٣].

٧) الشيخ شاه جلال من مدينة سيلهات البنغال وتحديدا في جبال كامر Cammar المتّصلة بالصين والتبت التقى به عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م وهو احد العلماء البارزين ، كان قد رحل الى بغداد والتقى بأمام التصوّف ابي اسحق عمر السهروردي ولازمه مدّة طويلة ثم قدم الهند فأقام بها ،وذكر انه له كرامات عديدة مآثر عظيمة وهو من المعمرين حيث جاوز عمره مائة وخمسين عاماً وقد اخبره انه ادرك الخليفة المستعصم بالله العباسي في بغداد وذكر انه كان يفطر يوميا على حليب بقرة يملكها ويقوم الليل كلّه

---

(٦٣٨) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٣ ، ص١١٣.

(٦٣٩) ابن بطوطة: المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٦٤٠) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣ ، ص١٤٢.

(٦٤١) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج٣ ، ص ١٠٣ ؛ الحسني : نزهة ، ج٢ ، ص ١٧٦.

(٦٤٢) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤ ، ص ١٠ ؛ الحسني : نزهة ، ج٢ ، ص ١٦٢.

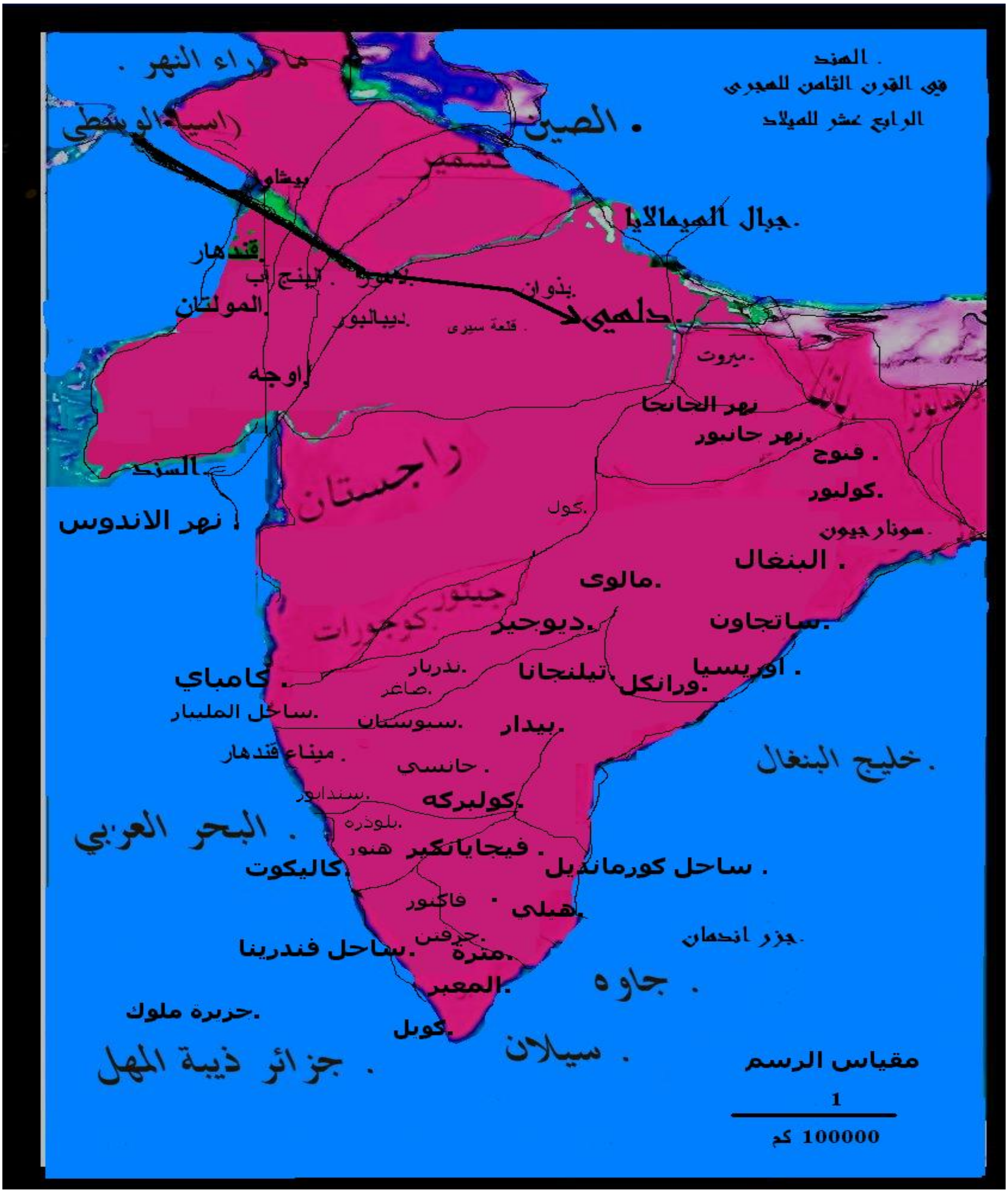
(٦٤٣) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤ ، ص ٤٣ ؛ الحسني : نزهة ، ج٢ ، ص ١٥٥ .

وكان نحيف الجسم طوّالا وعلى يديه اسلم الكثير من الهندوس في تلك الجبال ولذلك اقام بينهم ، وقد عده من الاولياء .ويقتضي التنويه هنا الى ان بعض المستشرقين اعتقدوا ان الشيخ شاه جلال هو نفسه الشيخ جلال الدين التبريزي (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) الذي نشأ في منطقة اسام **Assam** ولكن ألمؤرخ التازي صحح هذا الالتباس [٦٤٤] .

(٦٤٤) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج٤،ص ١٠٤ ، ١٠٥ وهامش (٣١٠) ؛ الحسني : نزهة الخواطر ، ج٢، ص١٤٩؛ Dunn ,R .: Op.,cit.p., 60

خارطة رقم (١)

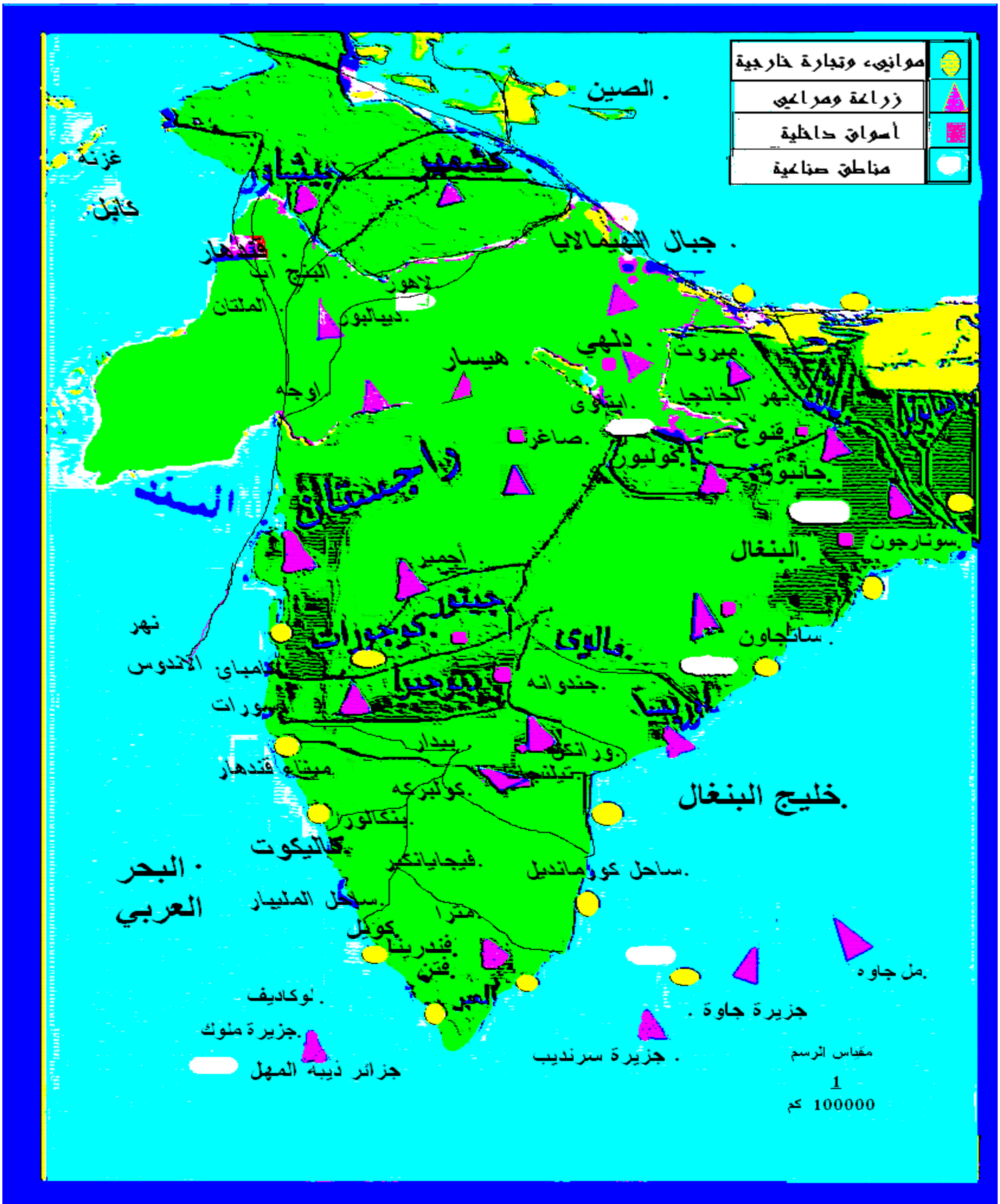
الهند في القرن ٨هـ/١٤م•



• من عمل وتعريب الباحث وبالاستناد على : Atlas of Islam : (Netherland-1966) p., 28.

خارطة رقم(٢)

توزيع الانشطة الاقتصادية في الهند•



• من عمل الباحث .